The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoul Ed-deen
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجـــامعة الإســـلاميـــة بـغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـلـيـــــــة أصــــول الــديـــــــــن
مـاجستير التفسيـر وعلـــوم القــرآن

المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها

(دراسة موضوعية)

The Educational Implications Derived from Al-Fath Chapter and its Impacts

(An Objective study)

إِعْدَادُ البَاحِثِ
ياسر فتحي أحمد أبو هلال

إشـــــراف
الدكتور/ إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم

قُدِّمَت هَذِه الرِّسَالةُ اسْتِكْمَالاً لِمُتَطَلَّبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ المَاجِسْتِيرِ فِيْ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ بِكُليّةِ أُصُولِ الدّيْنِ فِي الجَامِعَةِ الإسْلَامِيةِ بِغَزّة

رجب / 1439هـ – أبريل /2018م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها

(دراسة موضوعية)

The Educational Implications Derived from Al-Fath Chapter and its Impacts

(An Objective study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**ياسر فتحي أبو هلال**	**اسم الطالب:**
Signature:	**ياسر فتحي أبو هلال**	**التوقيع:**
Date:	**2018/04/09م**	**التاريخ:**

نتيجة الحكم





The Islamic University of Gaza

عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا — هاتف داخلي: 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2018/04/28م Date:

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **ياسر فتحي أحمد أبوهلال** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها (دراسة موضوعية)

The Educational Consequences Deducted from Al-faith's Surah and its Impacts (Objective Study)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **السبت 12 شعبان 1439**هـ الموافق **2018/04/28م** الساعة الواحدة مساءً، في قاعة مركز الجنوب، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. إبراهيم عيسى صيدم	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. جمال محمود الهوبي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. نمر محمد أبو عون	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

التاريخ: 6 / 5 / 2018م

المواد المصاحبة : 31064248

الموضوع/ مطابقة مواصفات النسخة الإلكترونية

بعد الإطلاع على الأسطوانات التي تحتوي على رسالة الطالب/ ماير فتحي أحمد بوجلال

رقم جامعي: 120100966 كلية: أصول الدين قسم: التفسير وعلوم القرآن

فإننا نحيطكم علماً بأنها مطابقة للمواصفات المطلوبة المبينة أدناه:

جميع فصول الرسالة في ملف (WORD) واحد وليست ملفات متفرقة.

تحتوي الأسطوانة على ملف (PDF + WORD).

مطابقة التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

مطابقة النص في الصفحة الورقية مع النص في الصفحة الإلكترونية لجميع صفحات الرسالة.

ملاحظة: ستقوم عمادة المكتبات بنشر الرسالة العلمية كاملة (PDF) على موقع المكتبة.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

توقيع المكتبة المركزية ....

ملخص الدراسة باللغة العربية

هدف الدراسة: هدفت الدراسة إلى بيان موضوع سورة الفتح، ومقاصدها، ومكانتها التربوية، واستنباط المضامين التربوية من السورة، من خلال التعرف على أهم المبادئ والقيم والأساليب، المستنبطة من السورة.

منهج الدراسة: الطريقة الاستنباطية التي هي إحدى أساليب المنهج الوصفي.

وقد اشتملت الدراسة على تمهيد وثلاثة فصول: الفصل الأول بعنوان المبادئ التربوية المستنبطة من سورة الفتح، والفصل الثاني بعنوان القيم التربوية المستنبطة من سورة الفتح، والفصل الثالث بعنوان الأساليب التربوية الواردة في سورة الفتح.

أهم نتائج الدراسة:

1- معرفة الله حق المعرفة، وتوقير نبيه، أعظم سبب لصلاح الفرد والمجتمع.

2- تنوع الأساليب في التربية مطلب مهم؛ ليتحقق بذلك الأهداف المرجوة.

3- تخلف المسلمين عن الجهاد، سبب لذل الأمة ومهانتها.

أهم التوصيات:

1- إعداد البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم، ونشرها بين المسلمين؛ لتعم الفائدة.

2- تربية المجاهدين على معاني سورة الفتح الجليلة؛ ليستحقوا وعد الله بالنصر.

3- إنشاء مراكز متخصصة في التربية، والعمل على تذليل الصعاب التي تواجه المربين.

Abstract

Objective of the study: This study aims at explaining the subject of Surat Al-Fath, its purposes, its educational status, and the development of the educational implications of the Surah, through identifying the most important principles, values and methods, derived from the Surah.

Research Methodology: the researcher used the deductive approach which is one of the descriptive methods.

The study consists of three chapters; an introductory chapter then a first chapter which is entitled the educational principles derived from Surat Al-Fath. The second chapter is entitled the educational values derived from Surat Al-Fath, while the third one is entitled the educational methods included in Surat Al-Fath.

The most important findings of the study:

1. Knowing Allah truly and honoring his Prophet is the greatest reason for the good and benefit of the individual and society
2. The diversity of educational methods is an important requirement to achieve the desired objectives.
3. Muslims' dropping of jihad is a reason to humiliate the nation.

The most important recommendations of the study:

1. Conducting educational research relevant to the verses and chapters of the Holy Quran, and spreading among Muslims for their own good and benefit.
2. Raising the Mujahedeen on the great meanings of Surat Al-Fath, so that they may merit the victory promise of Allah.
3. Establishing specialized centers for education, and working on overcoming the difficulties faced by educators.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾

[الجاثية: 20]

الإهداء

- إلى من علمني العطاء دون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، إلى والدي العزيز.
- إلى أعز إنسان في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة، وسر الوجود، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى والدتي الغالية.
- إلى الشمعة المتقدة التي تنير ظلمة حياتي، إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها، إلى من عرفت معها معنى الحياة، إلى من صبرت وتحملت وضحت، إلى زوجتي الغالية.
- إلى إخواني الأفاضل، وأخواتي الفضليات.
- إلى أولادي الأعزاء، وأخص بالذكر ابنتي الكبرى فاطمة.
- إلى أرواح شهدائنا الأطهار، وأخص بالذكر أبناء عمي، الشهيد أحمد محمد أبو هلال، وخالد حرب أبو هلال، وكذلك أيضاً شهداء مسيرة العودة.
- إلى علمائنا ومشايخنا وأبناء عائلتي الكرام وأصدقائنا الأحباب.
- إلى الجامعة الإسلامية حاضنة العلم والعلماء، وقلعة الشموخ والإباء.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

بادئ ذي بدء فإنني أحمد الله تعالى، وأشكره أن وفقني لإتمام هذا العمل، الذي ما رجوت منه إلا رضاه وعفوه، سائلاً الله عز وجلّ القبول.

وإن كان لا بد من توجيه كلمة شكر فإنني أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل، ومشرفي القدير، الدكتور/ إبراهيم عيسى صيدم، الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وجسد لي بذلك أفضل صور الإخلاص، والصدق في العمل.

والشكر موصول إلى عضوي لجنة المناقشة كل من:

الدكتور الفاضل/ جمال محمود الهوبي حفظه الله.

الدكتور الفاضل/ نمر مجمد أبو عون حفظه الله.

لتفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهما القيمة، فجزاهما الله خيراً.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى شيخنا الحبيب الدكتور يونس محيي الدين الأسطل الذي فتح لي قلبه، وأصغى إلي أذنيه، فقد بذل معي الكثير من الوقت والجهد، وأسدى إلي أصدق التوجيهات، والآراء السديدة، التي كان لها أكبر الأثر في الوصول بالدراسة إلى صورتها الحالية، فجزاه الله خير الجزاء، وجعل عمله هذا في ميزان حسناته.

وكذلك أتقدم بجزيل الشكر للدكتور الغالي رائد طلال شعت، (نائب عميد كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية) على جهوده المباركة في إتمام هذا البحث، ولا أنسى أيضاً دكتورنا الحبيب محمد علي عوض، وكذلك الشكر موصول للدكتور الفاضل موسى سالم أبو جليدان.

وفي الختام أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من رفع لله يداً، ودعا لي بالتوفيق، وإكمال البحث، وإلى كل من قدم لي عوناً أو توجيهاً، وإلى كل من تمنى لي السير في درب العلم وأهله، وحثني على ذلك.

الباحث/ ياسر أبو هلال

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، أما بعد:

قد جاءنا رسول الله ﷺ بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، جمع الله تبارك وتعالى فيه سنن الأولين، وأتم به الشرائع والدين، فهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به خرج من الظلمات إلى النور، وفاز بخيري الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء: 9]، إنه يهدي إلى دين الله القويم، وصراطه المستقيم، يعلمهم رشدهم، ويربيهم تربية إيمانية تزكو بها نفوسهم، وتصلح بها قلوبهم، وتنمو مواهبهم، وتتسع مداركهم، وتعلو همّتهم، فهو كتاب الله العظيم، الجامع لعقيدة الإسلام وشريعته وقيمه ومبادئه، الذي لا يعتريه نقصٌ، ولا يصيبه خللٌ، فهو دستور حياة متكامل، يشمل جميع جوانبها، فلا يغفل منها شيئاً، قال الله تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام:38]، وهو المصدر الأول للتربية، طبقه الرسول ﷺ واقعاً وسلوكاً، وجسّده الصحابة رضوان الله تعالى عليهم سيرةً وعملاً، فمكنهم في الأرض، وسخّر لهم به السيادة عليها، فواجبنا نحن المسلمين أن نستنبط المضامين التربوية، وقيمها، وأساليبها من هذا الكتاب، ونتبع سنة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، حتى يتحقق ذلك، وتجني الأمة ثمار الأخذ به.

ولما كانت كل سورة من سور القرآن الكريم تحتوي على كثير من المبادئ التربوية، كان موضوع دراستنا في إحدى سور القرآن الكريم، ألا وهي سورة الفتح؛ لننهل من نعيم تربيتها الفريدة؛ ولنستنبط منها المضامين التربوية التي احتوتها.

وفي ضوء ما عرضته السورة من مضامين تربوية عديدة ومتنوعة كانت دراستنا حول المبادئ والقيم والأساليب التربوية وآثارها.

وباستقراء آيات سورة الفتح فإن هناك ثلاثة جوانب تربوية:

1- مبادئ تربوية عديدة، مثل: توقير النبي ﷺ، وتحقيق الإيمان بأسماء الله الحسنى، وغرس صفات جيل التحرير في النفوس، وغيرها.

2- قيم تربوية، منها: الوفاء بالبيعة، والشكر، والحذر من النفاق، وغيرها.

3- أساليب تربوية مفيدة، مثل: أسلوب القدوة الحسنة، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب ضرب الأمثال.

لهذا الأمر يبرز أهمية تناول السورة؛ للكشف عن مضامينها التربوية، والاستفادة منها واقعاً عملياً، لذا اخترت الكتابة في هذا البحث الموسوم بعنوان: **(المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها – دراسة موضوعية).**

أولاً: أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة، منها:

1- جعل الله تعالى السور القرآنية منهجاً للتغيير الإيجابي، وترسيخاً للمبادئ والقيم التربوية، وبيّن أساليبها وآثارها في الواقع، وسورة الفتح هي إحدى هذه السور المؤدية إلى ذلك.

2- القرآن الكريم منهج حياة المسلمين، وبه تصلح أحوالنا إذا تمسكنا به، وعملنا بما جاء فيه، فيتحقق فينا أن نكون خير أمة أخرجت للناس، وإن سورة الفتح لها دور كبير في تحقيق ذلك.

3- بيان المضامين التربوية لسورة الفتح، إذ إنها تحتوي على جوانب تربوية مفيدة للمسلم في حياته، وتوجيه سلوكه.

4- إن كثيراً من الدراسات التربوية لا تستند إلى القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وبالتالي لا تلبي حاجة الإنسان من الناحية التربوية، بينما هذه الدراسة تستند على القرآن الكريم مبدأً، وهذا يعني أنها صادقة في مخرجاتها ونتائجها، وبالتالي تُعَد وسيلة ناجحة في بناء الفرد والمجتمع.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع :

1- إننا في مرحلة مقاومة وتحرير، ولذلك فحاجتنا ماسة للتوجيهات التربوية القرآنية التي نزلت في الفترة المدنية، ولما كانت سورة الفتح قد نزلت قبل فتح مكة كان من المناسب أن نتفيأ ظلالها التربوية؛ زيادة في التوعية والتعبئة؛ لمجابهة الاحتلال الصهيوني.

2- رغبةً بالبحث في أحد موضوعات القرآن الكريم التي ترسخ مبادئَ وقيماً وأساليبَ تربوية يستفيد منها الفرد المسلم.

3- من المعلوم أن خطر المثبطين القاعدين في المرحلة التي تسبق الاستخلاف والتمكين لا يقل عن خطر اليهود، فقد أضحى من الواجب تعريتهم، وقد تكفلت سورة الفتح بدحض أكاذيبهم.

4- تحديد الأخطار المحدقة والتي من الممكن أن تعرضنا لسنن الله، وقد حذرت سورة الفتح من بعضها مثل: الانشغال بالأهل والمال عن الجهاد في سبيل الله.

5- افتقار المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم يتناول هذا الموضوع من جوانبه المختلفة في إطار دراسة قرآنية، تربوية، تفسيرية، موضوعية.

6- دراسة موضوع قرآني من ناحية تربوية، حيث شجعني على الكتابة في هذا الاتجاه مشرفي الدكتور إبراهيم عيسى صيدم.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

توجد عدة أهداف لهذا البحث، منها:

1- معرفة المضامين التربوية المستفادة من سورة الفتح وتوظيفها واقعاً.

2- وضع دراسة تأصيلية صالحة؛ لتُدَرّس لأبنائنا، وفي مساجدنا، ومواطن التعليم، من شأنها بناء الفرد والأسرة والمجتمع بناء تربوياً من خلال إبراز القيم التربوية لسورة الفتح.

3- خدمة القرآن الكريم؛ وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته، وفتح آفاق جديدة أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة أو قريبة من هذا الموضوع، أو مستجدة تبدو خلال البحث.

4- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث قرآني تربوي يتحدث عن المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح دراسة موضوعية محكمة.

رابعاً: الدراسات السابقة :

بعد البحث والتحري في الدراسات الجامعية والرسائل العلمية، لم أجد من أفرد بحثاً حول المضامين التربوية في سورة الفتح خاصة، غير أنه يوجد بعض الرسائل العلمية التي تناولت هذا الموضوع في سور أخرى منها: الفاتحة، البقرة، الإسراء، الكهف، التحريم، العلق، وغيرها، لكنها لم تنفرد للحديث عن سورة الفتح بجميع جوانبها والإحاطة بها من شتى أبعادها، وهذا ما حاولت إظهاره في هذه الدراسة.

خامساً: منهجية البحث :

اعتمدت في هذا البحث – بعد عون الله سبحانه وتعالى – على الطريقة الاستنباطية التي تعد إحدى أساليب المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك حسب منهجية التفسير الموضوعي، ووفق الخطوات التالية:

1- دراسة النص القرآني لسورة الفتح من كتب التفاسير المعتمدة.

2- اعتماد الطريقة الاستنباطية؛ وذلك بهدف استخراج المبادئ والقيم والأساليب التربوية، والوقوف عليها، وربطها بالواقع المعاصر.

3- الاعتماد على آيات من سورة الفتح وتوزيعها على فصول البحث ومباحثه ومطالبه، مع التوسع بما يخدم البحث.

4- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.

5- تفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً إجمالياً وربطها بالواقع المعاصر.

6- بيان معاني مصطلحات البحث بالرجوع الى مصادرها الأساسية.

7- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وتخريجها من مصادرها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وإن لم يكن كذلك خرجته من مظانه مع ذكر حكم العلماء عليها من حيث درجة الصحة إن وجد.

8- الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين والمفسرين مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول، مع الاستعانة بمصادر ومراجع عامة تخدم الموضوع.

9- توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر رقم الآية في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي.

10- الترجمة للأعلام المغمورة التي ترد في البحث.

11- عمل مقدمة مختصرة لكل فصل، أو مبحث، أو مطلب.

12- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب الأصول.

13- إعداد الفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها؛ لتسهيل الانتفاع بهذه الرسالة.

سادساً: خطة البحث :

يتكون هذا البحث من: تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، منهجية البحث، خطة البحث .

تمهيد

بين يدي سورة الفتح

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف المصطلحات الواردة في البحث، ويشمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المضامين لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف المبادئ لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف القيم لغة واصطلاحاً.

المطلب الرابع: تعريف الأسلوب لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني :تعريف عام بالسورة، ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة.

المطلب الثاني: أسباب نزول السورة، وفضائلها.

المطلب الثالث : الجو الذي نزلت به السورة.

المطلب الرابع : هدف السورة الرئيس، وموضوعاتها.

المطلب الخامس: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب السادس: مناسبة السورة لما بعدها.

الفصل الأول:

المبادئ التربوية المستنبطة من سورة الفتح

ويشتمل على ستة مباحث:

**المبحث الأول: توقير النبي محمد **، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مهام النبي محمد .

المطلب الثاني: واجب الأمة نحو النبي محمد .

المطلب الثالث: الآثار التربوية لتوقير النبي محمد .

المبحث الثاني: تحقيق الإيمان بأسماء الله الحسنى، ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف أسماء الله الحسنى، وعددها، وأهمية معرفتها.

المطلب الثاني: أسماء الله الحسنى الواردة في السورة.

المطلب الثالث: الآثار التربوية للإيمان بأسماء الله الحسنى.

المبحث الثالث: غرس صفات أبطال الفتح والتحرير في نفوس الجيل، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: صفات أبطال الفتح والتحرير.

المطلب الثاني: الآثار التربوية المترتبة على غرس صفات أبطال الفتح والتحرير في نفوس المؤمنين.

المبحث الرابع: الحرص على زيادة الإيمان، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أركان الإيمان.

المطلب الثاني: أسباب زيادة الإيمان.

المطلب الثالث: الآثار التربوية لزيادة الإيمان.

المبحث الخامس: لزوم الإيمان بصدق رؤيا الأنبياء، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الرؤيا لغة واصطلاحاً وأنواعها.

المطلب الثاني: رؤيا الأنبياء في المنام وحي.

المطلب الثالث: الآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا الأنبياء.

المبحث الخامس: الحذر من الحسد، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحسد لغة اصطلاحاً.

المطلب الثاني: خطورة الحسد وعلاجه.

المطلب الثالث: الآثار التربوية للحسد.

الفصل الثالث:

الأساليب التربوية المستنبطة من سورة الفتح

ويشتمل على ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أسلوب القدوة الحسنة، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى القدوة، وأقسامها.

المطلب الثاني: أهمية القدوة الحسنة.

المطلب الثالث: الآثار التربوية لأسلوب القدوة الحسنة.

المبحث الثاني: أسلوب الترغيب والترهيب، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الترغيب والترهيب لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الثالث: الآثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث: أسلوب ضرب الأمثال، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى الأمثال لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية ضرب الأمثال.

المطلب الثالث: الآثار التربوية لأسلوب ضرب الأمثال .

الخاتمة، وتتضمن: أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتتضمن:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام والتراجم.

4- فهرس المصادر والمراجع.

5- فهرس الكلمات الغريبة

6- فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

مصطلحات عنوان الدراسة،

وتعريف عام بالسورة

المبحث الأول

مصطلحات عنوان الدراسة

المطلب الأول: الْمَضَامِينُ التربوية:

أ. المضامين لغة:

مَا فِي أَصلاب الفُحُول،[1] أو هي: اللواتي فِي بطُون أمهاتها[2]، يُقَالُ: ضَمِنَ الشيءَ بِمَعْنَى تَضَمَّنَه؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا[3].

ب. التربية لغة:

(رَبَا) الشَّيْءُ زَادَ، وقَوْلكَ: (أَرْبَيْتُ) إذَا أَخَذْتَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ، و(رَبَّاهُ تَرْبِيَةً) و(تَرَبَّاهُ)؛ أَيْ: غَذَّاهُ وَهَذَا لِكُلِّ مَا ينمّى كَالْوَلَدِ، وَالزَّرْعِ، وَنَحْوِهِ"[4]، وربَّى يُربِّي، تَربيةً، فهو مُرَبٍّ، والمفعول مُرَبًّى، وربَّى الأبُ ابنَه: هذَّبه، ونمّى قواه الجسميّة، والعقليّة، والخُلقيّة؛ كي تبلغ كمالها، ويقال: ربَّى الشَّخصُ المالَ: نمّاه[5].

ج. تعريف التربية اصطلاحاً:

هي: "عملية منهجية متدرجة، تهدف إلى تنشئة وتكوين الإنسان الصالح، وفقاً لغاية الخلق"[6].

د. المضامين التربوية اصطلاحاً:

" كافة المغازي، والأنماط، والأفكار، والقيم، والممارسات التربوية التي تتم من خلال العملية التربوية؛ لتنشئة الأجيال المختلفة عليها تحقيقاً؛ للأهداف التربوية المرغوب فيها"[7].

---

(1) انظر: مختار الصحاح، الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ص: 186، ولسان العرب، ابن منظور ج2/ 580.

(2) جمهرة اللغة، الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج2/ 911.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج13/ 258.

(4) انظر: مختار الصحاح، الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص: 117.

(5) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج2/ 852.

(6) مقدمة في التربية الإسلامية، أبو دف، ص3.

(7) العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية، الغامدي، ص 40.

ويعرف الباحث المضامين التربوية في ضوء هذه الدراسة بأنها: المبادئ، والقيم، والأساليب التربوية، سواء كانت في الجوانب العقدية، أو التعبدية، أو الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو التعليمية، التي اشتملت عليها سورة الفتح، سواء كان ذلك من منطوق الآيات أو من مفهومها.

المطلب الثاني: الأساليب:

أ. الأسلوب لغة:

"يُقَالُ للسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلوبٌ، وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوبٌ، والأُسْلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ؛ يُقَالُ: أَنتم فِي أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ على أَسالِيبَ، والأُسْلوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَساليب مِنَ الْقَوْلِ؛ أَي أَفانِين مِنْهُ"[1].

ب. الأسلوب اصطلاحاً:

"هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه"[2].

ويعرف الباحث الأساليب التربوية في ضوء هذه الدراسة بأنها: مجموعة الطرق التربوية الواردة في سورة الفتح، والتي يستفاد منها في تهذيب الفرد وتعديل سلوكه.

المطلب الثالث: القيم:

أ. القيم لغة:

القيمةُ، بالكسر: واحدةُ القِيَمِ، وما لَه قِيمةٌ، قَوَّمْتُ السِّلْعَةَ واسْتَقَمْتُها: ثَمَّنْتُها، واسْتَقَامَ: اعْتَدَلَ، وقَوَّمْتُه: عَدَّلْتُه، فهو قَويمٌ ومُسْتَقِيمٌ[3]. الْقيمَة: "الْأمة الْقيمَة المستقيمة المعتدلة، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿**وَذَلِكَ دين الْقيمَة**﴾ [البينة : 5]."[4]

والقيمة: مشتقة من الاستقامة، التي بمعنى الاعتدال[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور ج1/ 473، وتاج العروس، الزَّبيدي، ج3/ 71.

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج2/ 303.

(3) القاموس المحيط، الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص: 1152.

(4) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج2/ 768.

(5) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج5/ 2017.

مما سبق يتضح أن مادة (قَوَمَ) استعملت في اللغة لعدة معان، منها هذه الأربعة:

1. قيمة الشيء وثمنه.
2. الاستقامة والاعتدال.
3. الثبات والدوام والاستمرار.
4. نظام الأمر وعماده.

ولعل أقرب هذه المعاني لموضوع بحثنا هو الاستقامة والاعتدال، مع أن جميعها متناسبة؛ حيث إن الشيء توزن أهميته بقيمته، فقيمة الشيء تعتبر نظاماً وعماداً تتفاضل به الأشياء وتتمايز، في ثباتها واستمرارها.

ب. تعريف القيم اصطلاحاً:

القيمة: " هي صفة في شيء تجعله موضع تقدير، واحترام، أي: أن هذه الصفة تجعل ذلك الشيء مطلوبًا ومرغوبًا فيه، سواءً كانت الرغبة عند شخص واحد، أو عند مجموعة من الأشخاص "[1].

وتعرف القيم بأنها: " ضرب من النظام المتعالي على الواقع، يستمد قيمته من إرادة الله ثم من الإنسان، والوجود المادي"[2]، وهذا ينسجم مع المعنى العام للقيمة.

المطلب الرابع: الاستنباط:

أ. الاستنباط لغة:

النَّبَط: الْمَاءُ الَّذِي يَنْبُطُ – بضم الباء وكسرها – من قعر البئر إذا حُفرت، وأَنبطنا الماءَ؛ أَي: اسْتَنْبَطْنَاهُ وَانْتَهَيْنَا إِليه، ونبطَ الماءُ ينْبُطُ وينْبِط نُبوطاً: نَبَعَ؛ وَكُلُّ مَا أُظهر، فَقَدْ أُنْبِط، واسْتَنْبَطه، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ عِلْمًا وَخَبَرًا وَمَالًا: اسْتَخْرَجَهُ. والاسْتنْباطُ: الِاسْتِخْرَاجُ، واستنبَطَ الفَقِيهُ إذا اسْتَخْرَجَ الْفِقْهَ الْبَاطِنَ بِاجْتِهَادِهِ وفهمِه[3].

---

(1) القيم الإسلامية، وزارة الأوقاف السعودية، ص 1.

(2) علم الأخلاق الإسلامية، علي، ص 333.

(3) انظر: مختار الصحاح، الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص 303، ولسان العرب، ابن منظور، ج7/ 410، ومعجم لغة الفقهاء، قلعجي، وقنيبي، ص 65.

ب. أما التعريف الإجرائي لكلمة (المستنبطة) فهو:

استخراج المبادئ، والقيم، والأفكار التربوية من سورة الفتح؛ بإعمال الفهم والإدراك بعد التقصي والبحث الجاد.

المطلب الخامس: المبادئ:

أ. المبادئ لغة :

المبادئ جمع مبدأ، "ومبدأ الشَّيْء أَوله ومادته الَّتِي يتكون مِنْهَا، كالنواة مبدأ النّخل، أَو يتركب مِنْهَا، كالحروف مبدأ الْكَلَام، ومبادئ الْعلم، أَو الْفَنّ، أَو الْخلق، أَو الدستور، أَو القانون قَوَاعِده الأساسية الَّتِي يقوم عَلَيْهَا وَلَا يخرج عَنْهَا"[1].

ب. **المبادئ اصطلاحاً:**

"المقدمات التي تنتهي الأدلة والحجج إليها من الضروريات والمسلمات"[2].

ويفهم من التعريف أن المبادئ يُبنى عليها، فهي ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان.

ويقصد بالمبادئ في هذه الدراسة: مجموعة من القواعد والأسس المستنبطة من سورة الفتح.

---

(1) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج1/ 42.

(2) التعريفات، الجرجاني، تحقيق: نصرالدين تونسي، ص312.

المبحث الثاني

تعريف عام بالسورة

سورة الفتح جليلة في معانيها، وفي آدابها، وتوجيهاتها، كما باقي سور القرآن الكريم، وقد تضمنت آداباً وتوجيهات ربانية، وأرشدت إلى قضايا، تحقق للإنسان السعادة والفوز في الدنيا والآخرة.

وقبل الحديث عن المضامين التربوية لهذه السورة، وما فيها من المبادئ، والقيم، والأساليب، يجدر بالباحث أن يعطي نبذة سريعة عن سورة الفتح من حيث، تسميتها، عدد آياتها، مكان وأسباب نزولها، فضلها، مناسبتها لما قبلها ولما بعدها، والجو الذي نزلت فيه، ومقصودها، وأغراضها، والمعالم التربوية لها، وفيما يلي تفصيل ذلك:

المطلب الأول: تسمية السورة، وعدد آياتها، ومكان نزولها :

سورة الفتح لا يعرف لها اسم آخر غير هذا الاسم، وهذا ما ذكره الطاهر ابن عاشور[1].

وقد سُمّيت سورة الفتح بسبب افتتاحها ببشرى الفتح المبين، ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ [الفتح: 1].[2]، وهي سورة مدنية بإجماع[3]، وفيها " تسع وعشرون آية، وخمسمائة وستون كلمة، وألفان وأربعمائة وثمانية وثلاثون حرفاً"[4]، و"نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية"[5].

أما عن ترتيب نزولها، فنزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة التوبة[6].

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 141-142.

(2) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، تحقيق: عبد الله شحاتة، ج4/ 63، والتفسير المنير، الزحيلي، ج26/ 142.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج16/ 259.

(4) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ج9/ 40.

(5) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج4/ 331.

(6) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1/ 194.

المطلب الثاني : أسباب نزول السورة، وفضائلها:

نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله من الحديبية، في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ليقضي[1] عمرته فيه، وحالوا بينه وبين ذلك، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل، فأجابهم إلى ذلك على تكرُّهٍ من جماعة من الصحابة، منهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فلما نحر هديه حيث أُحصر، ورجع؛ أنزل الله- عز وجل- هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم، وجعل ذلك الصلح فتحاً؛ باعتبار ما فيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه، كما روي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- وغيره أنه قال: إنكم تعدون الفتح فتح مكة، ونحن نعد الفتح صلح الحديبية[2].

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه[3]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ[4] رَسُولَ اللَّهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ المُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ [الفتح: 1][5].

---

(1) يقصد بالقضاء الأداء، وليس المقصود عمرة القضاء.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج7/ 325.

(3) أبوه هو: أسلم العدوي، مولى عمر، ثقة مخضرم مات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة. ينظر: تقريب التهذيب، ابن حجر، ص104.

(4) نزرتَ: أي: أَكْرَهْتَ رَسُولَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَيْ أَتَيْتَهُ بِمَا يكره. الاستذكار، ابن عبد البر، ج2/ 497.

(5) صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية، ص1025، رقم الحديث 4177.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها:

عرّف الزركشي علم المناسبات بأنه: "علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض؛ فيقوي بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[1].

قال البقاعي: كانت سورة محمد بشارة للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز، والنصر، والظفر على كل من كفر، وإصلاح بالهم، وتثبيت أقدامهم، وتهديد لمن أعرض باستبداله بغيره، كان تأكيداً منه بأن هذا هو الفتح المبين، فافتتح هذه (سورة الفتح) بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله مؤكداً إعلاماً بأنه لا بد منه، وأنه مما ينبغي أن يؤكد لابتهاج النفوس الفاضلة به، وتكذيب من في قلبه مرض وهم أغلب الناس في ذلك الوقت[2].

وذكر المراغي بعض وجوه مناسبة سورة الفتح لما قبلها، ومنها هذه الثلاثة[3]:

1- إن الفتح المراد به النصر المترتب على القتال.

2- إن في كل منهما ذكراً للمؤمنين والمخلصين والمنافقين والمشركين.

3- إن في السورة السالفة أمراً بالاستغفار، وفى هذه ذكر وقوع المغفرة.

يتضح مما سبق أن سورة محمد قد تكلمت عن الجهاد في سبيل الله، ثم جاءت سورة الفتح تبشر المسلمين بالنصر؛ لأن النصر لا يكون إلا بالبذل والتضحية، ولهذا ذكر في سورة محمد ﴿**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: 35]. فإن المؤمن يدفعه للجهاد إيمانه، وثقته بوعد ربه، واعتماده عليه، ولا يوقفه عن مقارعة عدوه كثرة أعدادهم وعتادهم.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما بعدها:

أما مناسبة سورة الفتح لما بعدها جاء في (نظم الدرر):

لمّا وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه والمخصوصين بفضيلة مشاهدته، وكريم عشرته، فقال ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: 29]، فأثنى سبحانه عليهم، وشهد لهم بعظيم المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب

---

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1/ 35- 36.

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج18/ 273-274.

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج26/ 80.

الإيمانية، قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً على أوضح عمل، وأخلص نية، ومن ذلك عدم تقديمهم بين يدي النبي ، وعدم رفع أصواتهم فوق صوته، ونحو ذلك من الآداب والأخلاق التي تميزهم عن غيرهم[1].

المطلب الخامس: الجوّ الذي نزلت فيه السورة:

ذكر سيد قطب – رحمه الله – الجو الذي كان سائداً عند نزول سورة الفتح، فقال: من سياق السورة وجوها، وبالموازنة بينها وبين إيحاءات سورة محمد التي قبلها في ترتيب المصحف، يتبين مدى ما طرأ على الجماعة المسلمة في موقفها كله من تغيرات عميقة، حيث نضج إدراك العقيدة للجماعة، وتجانست مستوياتها الإيمانية، واطمأنت نفوسها لتكاليف هذا الدين، فلم تعد في حاجة إلى حوافز قوية للجهاد، ولا بيان حكمة الابتلاء بالقتال ومشقاته كما في سورة محمد.

إنما صار الحديث عن السكينة التي أنزلها الله في قلوب المؤمنين؛ لتهدئة فورتهم، وتخفيض حميتهم، وطمأنة قلوبهم لحكم الله وحكمة رسوله في المهادنة والملاينة، وعن رضا الله عن المبايعين تحت الشجرة. وكانت هذه الصورة الوضيئة في نهاية السورة للرسول ومن معه[2].

المطلب السادس: مقصود السورة:

إن اسم السورة يدل على مقصودها، وهو "يعم فتح مكة، وما تقدمه من صلح الحديبية، وفتح خيبر ونحوهما، وما تفرع عنه من إسلام أهل جزيرة العرب، وقتال أهل الردة، وفتوح جميع البلاد، الذي يجمعه كله إظهار هذا الدين على الدين كله، وهذا كله في غاية الظهور"[3].

ويتضح أن معظم مقصود السورة وعد للرسول بالفتح، والغفران، وإنزال السكينة على صحابته، وإيعاد المنافقين بعذاب الجحيم، ووعد المؤمنين بنعيم الجنان، والثناء على سيد المرسلين، وذكر العهد، وبيعة الرضوان، وذكر ما للمنافقين من الخذلان، وبيان عذر المعذورين، وصدق رؤيا رسول الله، وتمثيل حاله والصحابة بالزرع والزراع في البهجة، والنضارة، وحسن الشأن[4].

---

(1) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج18/ 353-354.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج6/ 3314-3315.

(3) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج2/ 492

(4) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، البلخي، تحقيق عبدالله شحاتة، ج4/ 63.

المطلب السابع: أغراض السورة:

نلخص أبرز تلك الأغراض في اثني عشر بنداً كما يلي:

1- بشارة المؤمنين بحسن عاقبة صلح الحديبية، وأنه نصر وفتح، فنزلت به السكينة في قلوب المؤمنين، وأزال حزنهم مِن صدهم عن الاعتمار بالبيت العتيق.

2- كان المسلمون عدة لا تغلب من قلة، فرأوا أنهم عادوا كالخائبين، فأعلمهم الله بأن العاقبة لهم، وأن دائرة السوء على المشركين والمنافقين ذكراناً وإناثاً.

3- التنويه بكرامة النبي عند ربه، ووعده بنصر متعاقب.

4- الثناء على المؤمنين الذين عزّروه ونصروه وبايعوه، وأن الله قدّم مثلهم في التوراة، وفي الإنجيل كذلك.

5- ذِكر بيعة الحديبية، والتنويه بشأن من حضرها.

6- فضح المتخلفين عن الحديبية من الأعراب، ولمزهم بالجبن، والطمع، وسوء الظن بالله، وبالكذب على رسول الله ومنعهم من المشاركة في غزوة خيبر، وإنباؤهم بأنهم سيدعون إلى جهاد آخر، فإن استجابوا غفر لهم تخلفهم عن الحديبية.

7- وعد النبي بفتح آخر يعقبه فتح أعظم منه.

8- فيها تذكير بفتح خيبر كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: 20].[1]

9- التصديق بأن إخبار القرآن بالغيب يقين، واجب التصديق، وأنه دال على أنه كلام الله أوحاه إلى رسوله .

10- تثبيت اليقين بأنه لا يملك النفع ولا الضر على الحقيقة إلا الله، ولذا وجب ألّا يطمع إلا فيه، ولا يرهب إلا منه.

11- حرمة ظن السوء في الله عز وجل، ووجوب حسن الظن به تعالى.

12- ذم التخلف عن المسابقة في الخيرات، والمنافسة في الصالحات.[2]

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 142- 143.

(2) انظر: في النقاط الأربع الأخيرة: أيسر التفاسير، للجزائري، ج5/ 101.

المطلب الثامن: المعالم التربوية للسورة:

من المعلوم أن القرآن الكريم يمثل منهج حياة، إذا التزمت به الأمة، وسارت عليه في تربية أبنائها، وإرشادهم لطريق الحق؛ حازت الظفر والسؤدد في الحياة الدنيا، وفازت برضوان الله في الآخرة، وسورة الفتح تمثل أنموذجاً فريداً في تربية الجندي المسلم على السمع والطاعة والثقة بقيادته، وكذلك تحقيق صفات الجماعة التي تستحق النصر.

ومن أهم المعالم التربوية في السورة ما يلي:

1- ضرورة العمل لزيادة الإيمان بالله تعالى؛ لتتحقق السكينة في قلوب المؤمنين؛ فيزدادوا إيماناً مع إيمانهم.

2- ضرورة الوفاء بالعهد، وعدم نقض المواثيق والعهود، وفي المقابل بيان الأجر العظيم للموفين بعهودهم.

3- التحذير من الانشغال بالمال والأهل، واتخاذ الأعذار الواهية؛ للتخلف عن الجهاد في سبيل الله.

4- استخدام أسلوب ترغيبي جميل، فيه حثٌّ على الجهاد في سبيل الله، وبيان أن ثمرة ذلك في الدنيا رضا الله تعالى، والنصر على الأعداء، والحصول على الغنائم الكثيرة، أما في الآخرة دخول جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها، ويكفر عنهم سيئاتهم.

5- استخدام أسلوب ترهيبي؛ لبيان جزاء المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، وأن مصيرهم في الآخرة نار جهنم والعياذ بالله تعالى.

6- ضرب الأمثال؛ لتقريب المعقول بالمحسوس كما في الآية الأخيرة، وزيادة مساحة الاستفادة من النصّ القرآني واقعيًّا وعمليًّا.

الفصل الأول

المبادئ التربوية المستنبطة

من سورة الفتح

المبحث الأول

توقير النبي محمد

إنّ الله تعالى خلق الخلق، وفضّل بعضهم على بعض، ففضل الله تعالى الرسل على جميع البشر، وفضل أولي العزم على باقي الرسل، وفضل سيدنا محمداً على العالمين، وقد أوضح ذلك ابن القيم – رحمه الله –: خلق الله السماوات سبعاً، وجعل أفضلها السابعة، وخلق الجنان، وجعل أفضلها الفردوس، وخلق الملائكة، وجعل أفضلهم جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وخلق البشر، وفضل منهم الأنبياء، وجعل أفضلهم محمداً [1].

قال رَسُول اللهِ : «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[2].

" الرسل عليهم الصلاة والسلام بهذا يكونون القدوة الحسنة لأقوامهم؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يرسل رسولًا إلى قومه إلا بعد اصطفاء واختيار، ويكون من عِلية القوم من حيث الحسب والنسب والشرف"[3].

هذا، وقد استدعى الحديث عن وجوه توقير النبي ، وعن آثارها التربوية أن أتناول وظائف النبي ومهامه، كما عرضتها سورة الفتح في ثلاث، وأن أستدرك بعض الزيادات من سور أخرى حسب حاجة البحث، ولذلك فقد انقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: مهام النبي محمد :

عرضت سورة الفتح بعض مهام رسولنا محمد ، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الفتح: 8].

تتلخص هذه المهام في الثلاثة التالية[4]:

1- الشهادة على الناس بإبلاغهم دعوة الله تعالى.

---

(1) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج1/ 43-45 .

(2) صحيح مسلم، مسلم، الفضائل/ فَضْل نَسَب النَّبِيّ ، 4/ 1782: رقم الحديث2276.

(3) أهل الفترة ومن في حكمهم، شكري، ص 33 .

(4) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2454، وأيسر التفاسير، الجزائري، ج5/ 97 .

2- تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات برحمة الله.

3- إنذار الكافرين، وتحذيرهم من غضب الله وعذابه.

وجاء في سورة الأحزاب أن مهام النبي لا تقتصر على هذه الثلاثة؛ بل زادت بمهمتين هما: الدعوة إلى الله وكونه سراجاً منيراً فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾ [الأحزاب: 45-46].

فإن قيل: ما الحكمة من ذلك ؟ الجواب: لأن المقام في سورة الفتح مقام ذكر للرسول وأحواله، وما تقدمه من المبايعة والوعد بالدخول ففصل هناك (يقصد في سورة الأحزاب) ولم يفصل هنا (يقصد في سورة الفتح)[1].

إن أصل الدين واحد، بعث الله به جميع الرسل فتوحدت دعوتهم، وتعددت شرائعهم، ولعل هذا ما قصده رسولنا في قوله: (**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**) [2]، وقد لخص علي الصلابي أصول دعوة الرسل في ثلاث نقاط وهي:

1- الدعوة إلى الله في إثبات التوحيد، وتقريره، وعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، فالتوحيد دين العالم بأسره من آدم إلى آخر نفس منفوسة من هذه الأمة.

2- التعريف بالطريق الموصل إليه –سبحانه- في إثبات النبوات، وما يتفرع عنها من الشرائع، من صلاة، وزكاة، وصيام، وجهاد، وغيرها.

3- التعريف بحال الخليقة بعد الوصول إلى الله: في إثبات المعاد، والإيمان باليوم الآخر، والموت، وما بعده من القبر، ونعيمه وعذابه، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، والثواب والعقاب، وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر، وبعث به جميع الأنبياء والرسل، وتلك هي الوحدة الكبرى بين الرسل والرسالات والأمم[3].

---

(1) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عبد الموجود ومعوض، ج17/ 487.

(2) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} مريم: 16، 4/ 167: رقم الحديث3443.

(3) انظر: أركان الإيمان، الصلابي، ج4/23-24.

أهم مهام النبي ﷺ:

أولاً: الدعوة إلى عبادة الله وحده:

إن الوظيفة الأساسية، والمهمة العظمى التي أُرسل من أجلها الرسل، هي توحيد الله تعالى، قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل: 36]، يعني اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، وهو كل معبود من دون الله، وجميع الرسل بعثوا لهذا الأمر العظيم(1).

قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: 25]. أي: "قلنا للجميع لا إله إلا الله، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول"(2)، وقال قتادة في تأويل الآية: " أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد"(3).

إذن السبب الرئيس لإرسال الرسل؛ وهو عبادة الله وحده، ويوم كان الناس على الفطرة لم يحتاجوا إلى رسل، " كان الناس في أول الخلق على الفطرة السليمة، يعبدون الله وحده، ولا يشركون به أحداً، فلمّا تفرقوا واختلفوا أرسل الله الرسل؛ ليعيدوا الناس إلى جادة الصواب، وينتشلوهم من الضلال، ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: 213]. أي: كان الناس أمّة واحدة على التوحيد والإيمان وعبادة الله، فاختلفوا؛ فأرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين"(4).

---

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج6/ 16، وكشف الشبهات، النجدي، ص 3، ومجموع فتاوى ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ج3/ 105، والجديد في شرح كتاب التوحيد، محمد القرعاوي، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، ص 21،

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج11/ 280.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج18/ 427.

(4) الرسل والرسالات، الأشقر، ص 51.

ونخلص من هذه الفقرة إلى أنه: "مما لا شك فيه أنّ كل نبي أو رسول قد دعا قومه إلى كلمة التوحيد بنصها أو معناها"[1].

ثانياً: التبشير والإنذار:

إن دعوة الرسل إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار؛ ولأنَّ ارتباط الدعوة إلى الله بالتبشير والإنذار وثيق جداً؛ فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما في بعض آياته، فقال تعالى: ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ**﴾ [الكهف: 56].[2].

وقد أوضح الرسول هذا بقوله: "**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ**[3]**، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ** "[4].

إن النفس البشرية جبلت على حب الخير، ودرء الشر، ولهذا كانت بشارة الرسل لمن تبعهم بحياة طيبة في الدنيا، وجنة عرضها السموات والأرض في الآخرة، كما قال تعالى ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: 13]، وفي المقابل إنذار المعاندين بحياة ضنك في الدنيا، وخزي وعذاب شديد في الآخرة قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: 124]. وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [النساء: 14].

وذكر البقاعي كلاماً جميلاً عن سبب استعمال اسم الفاعل في البشارة، واستعمال صيغة المبالغة في النذارة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الفتح: 8]،

---

(1) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الرحيلي، ج1/ 72.

(2) الرسل والرسالات، الأشقر، ص 47.

(3) قوله: "النَّذِيرُ العُرْيَانُ" مبالغة في الإنذار، وحجة على صدق قوله. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، ج4/ 142.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة / الِاقْتِدَاء بِسُنَنِ رَسُول اللَّه ، 9/ 93: رقم الحديث 7283.

فقال: "لما كانت البشارة محبوبة إلى النفوس، رغبهم فيما عنده من الخيرات، وحببهم فيه؛ بصوغ اسم الفاعل منها، مبالغة فيه، فقال تعالى: (وَمُبَشِّرًا) أي: لمن أطاع بأنواع البشائر، ولما كانت النذارة كريهة جداً، لا يقدم على إبلاغها إلا من كمل عرفانه بما فيها من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الإقدام على الصدع بها، أتى بصيغة المبالغة فقال تعالى: (وَنَذِيراً)[1].

ثالثاً: إقامة الحجّة والشهادة:

إنّ من مهام الرسل – عليهم السلام – إقامة الحجة على أقوامهم، والشهادة عليهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [الفتح: 8]. **أي: شاهداً** على أمتك بما يفعلون، وقال تَعَالَى: ﴿**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[النساء: 165].

إنّ الآية الكريمة توضح أنّ الله تعالى أرسل الرسل؛ لئلا يبقى للناس حجة عند الله تعالى يوم القيامة، "فلا أحد يوم القيامة يقول: أنا لم أَدْرِ أني مخلوق للعبادة، أنا لم أَدْرِ ماذا يجب علي، ولم أَدْرِ ماذا يحرم علي، لا يمكن أن يقول هذا؛ لأن الرسل – عليهم الصلاة والسلام – قد بلغتهم"[2].

ففي يوم القيامة يشهد كل رسول على أمته أنه أبلغهم رسالة ربهم، ورسولنا يشهد على كل الأمم، لقوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: 41]. وقال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾ [النحل: 89].

وكذلك يشهد النبي محمد على الأنبياء أنهم أبلغوا رسالات ربهم، قال قَتَادَةَ: " أَيْ: شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ، وَشَاهِدًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا"[3].

وقد أكرم الله تعالى أمة سيدنا محمد ؛ لتشهد على الأمم السابقة يوم القيامة، بأن رسلهم قد أبلغوهم ما أمرهم الله به؛ لأن الله قص علينا في كتابه نبأ الرسل السابقين [4].

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج18/ 292.

(2) شرح الأصول الثلاثة، صالح الفوزان، ص 49.

(3) تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، ج2/ 673 .

(4) انظر: شرح الأصول الثلاثة، صالح الفوزان، ص 49.

رابعاً: البلاغ المبين:

إن الرسل سفراء الله إلى عباده، وحملة وحيه، ومهمتهم هي إبلاغ هذه الأمانة التي تحملوها إلى عباد الله، أما الجزاء على مخالفة الأوامر فأمر ذلك إلى الله، والبلاغ يكون بتلاوة النصوص التي أوحاها الله، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ**﴾ [العنكبوت: 45.]"[1].

إن أوامر الله تعالى ونواهيه لا بد لها من مبلغ، وهذا المبلغ من البشر – أي: الرسل –؛ ليسهل الاقتداء بهم؛ ولأنّهم الأقدر على التعرف على مراد الله من وحيه، وإخبار الناس عن المغيبات اليقينية التي لا بد من الإيمان بها، قال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 44]، وقد بلغوا عن الله بأمانة دون زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**﴾ [الأحزاب: 39].[2].

وقد قصر الله تعالى مهمة الرسل – عليهم السلام – في بعض الآيات على البلاغ المبين، فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ**﴾ [آل عمران: 20].

ومن البلاغ أن يوضح الرسول ﷺ الوحي الذي أنزله الله لعباده، ويبينه للناس، فكانت السنة النبوية شارحة ومفصلة، ومبينة لكتاب الله في عباداتهم، ومعاملاتهم، سواء ذلك بالقول أو العمل، ومثال على ذلك الصلاة؛ قال رسول اللَّه ﷺ: **(صَلوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَت الصَّلاةُ فليُؤَذِّنْ لكم أحَدُكُم وليَؤمكم أكبركُم)**[3]، وهكذا باقي العبادات والمعاملات، وليس المقام مقام تفصيل.

خامساً: قيادة الأمة وسياستها:

إنّ الذين يستجيبون للرسل يُكونّون جماعة وأمة، وهؤلاء يحتاجون إلى من يسوسهم ويقودهم ويدبر أمورهم، والرُّسل يقومون بهذه المهمة في حال حياتهم، فهم يحكمون بين الناس بحكم الله، فقال تعالى﴿**فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ**﴾ [المائدة: 48].

---

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج13/ 121، والرسل والرسالات، الأشقر، ص 43.

(2) انظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، العمري، ص 95.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأذان/ الأذان للمسافر، 128/1: رقم الحديث631.

ونادى ربُّ العزة داودَ –عليه السلام– قائلاً: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾[ص: 26]، وأنبياء بني إسرائيل كانوا يسوسون أمتهم، فعن أبي هريرة قال ﷺ: (**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**)[1]، وقال الله تعالى عن التوراة: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا**﴾ [المائدة: 44].

فالرسل وأتباعهم من بعدهم يحكمون بين الناس، ويقودون الأمة في السلم والحرب، ويلون شؤون القضاء، والعدل بين الناس، وردع المتجبرين، و"الوقوف في وجه هذا الظلام الزاحف، والتصدي لتلك القوى العاتية من قوى الشرّ والعدوان"[2]، وكذلك القيام على رعاية مصالح الناس، وهم في كلّ ذلك عاملون بطاعة الله، وطاعتهم في ذلك كلّه طاعة لله، قال تعالى ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء: 80] ، "ولن يصل العبد إلى نيل رضوان الله ومحبته إلا بهذه الطاعة"[3].

هذه بعض مهام الرسل، ومن ضمنهم رسولنا محمد ﷺ التي يقومون بها تجاه أقوامهم؛ لكي ينالوا السعادة في الدارين.

المطلب الثاني: واجب الأمة نحو النبي محمد ﷺ:

إنّ حقوق النبي ﷺ واجبة على كل مسلم ومسلمة في كل زمان ومكان؛ فالله أوجب الإيمان به، ومحبته وطاعته، وموالاته ونصرته واتباعه، وأمر بالصلاة والسلام عليه، وسؤال الله له الوسيلة عند كل أذان، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأنه لا يؤمن العبد حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين؛ بل حتى يكون أحبَّ إليه من نفسه، إلى غير ذلك من الحقوق، وإليك بعضها في ست نقاط:

(1) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، 4/ 169: رقم الحديث 3455.
(2) صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، الشحود، ص 29.
(3) الرسل والرسالات، الأشقر، ص 54.

أولاً: الإيمان بنبوته:

كما هو معروف فإنّ الإيمان بالرسل – عليهم الصلاة والسلام – ركن من أركان الإيمان الستة؛ فقد جاء في جواب النبي على سؤال جبريل عليه السلام عن الإيمان، فقَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أما الإيمان بالرسول فهو المهم؛ إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به، ولا تحصل النجاة والسعادة بدونه؛ إذ هو الطريق إلى الله سبحانه؛ ولهذا كان ركنا الإسلام: " أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله "، ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق"[2]، و" لا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته"[3].

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفتح: 8–9].

"والغرض السامي من إرسالك أيها الرسول: هو أن تؤمن أمتك بالله ورسوله– والخطاب للرسول وأمته– وأن يعظموك ويفخموك، وأن يحترموك ويقدروك"[4].

ثانياً: تعزيره وتوقيره وتعظيمه:

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الفتح: 8–9].

1– معنى (تعززوه وتوقروه):

عرّف ابن القيم التعزير بأنه: "اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[5]، وقال الألوسي: " وَتُعَزِّرُوهُ أي: تنصروه"[6].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، المقدمة/ معرفة الْإِيمَان، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَر وَعَلَامَة السَّاعَة، 1/ 37: رقم الحديث 8.

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج7/ 638.

(3) تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن عثيمين، تحقيق: أشرف عبد الرحيم ص: 135.

(4) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2454.

(5) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص: 422.

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية، ج13/ 250.

وأما التوقير: فهو "اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال، والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار"[1]، وعرفه ابن كثير بأنه: " الاحترام والإجلال والإعظام"[2].

وتعتبر منزلة التعظيم أرفع من منزلة المحبة، قال الحليمي: "إن تعظيم النبي وإجلاله، وتوقيره، منزلة فوق المحبة؛ لأنه ليس كل محب معظمًا؛ ألا ترى أن الوالد يحب ولده، فيجمع له بين التكريم والتعظيم، والسيد قد يحب مماليكه، ولكن لا يعظمهم، والمماليك يحبون ساداتهم ويعظمونهم، فعلمنا بذلك أن التعظيم رتبة فوق المحبة "[3].

2- من مظاهر توقيره وتعظيمه:

إنَّ الله تعالى نهى نهياً صريحاً عن مناداة سيدنا محمد باسمه؛ تشريفاً له، فقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: 63].

ذلك نهي من الله أن يدعوا رسول الله باسمه لا يقولوا: يا محمد، أو يا ابن عبد الله، أو يا ابن عبد المطلب، ولكن يا رسول الله، أو يا نبي الله، أو بكنيته يا أبا القاسم، وكل ذلك بلين وتواضع [4].

وقد وصف الله تعالى الذين ينادون رسول الله باسمه بأنهم لا يعقلون، قال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4].

وجاء في سبب نزول هذه الآية، عَنْ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَقَالَ: " يَا مُحَمَّد، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ: **ذَاكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**"[5].

---

(1) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص 422.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج7/ 329.

(3) المنهاج في شعب الإيمان، الحَليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، ج2/ 124.

(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: شاكر، ج19/ 230، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: اللويحق، ص 576، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج18/ 309، والتفسير المنير، الزحيلي، ج26/ 215، وحقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ، عبد العزيز بن عبد الوهاب، ص 79.

(5) سنن الترمذي، الترمذي، تفسير القرآن/ ومن سورة الحجرات، 387/5: رقم الحديث 3267. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقد وصف الله تعالى الذين يؤدّون هذا الحق بأنهم مفلحون، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: 157].

وقد ضرب صحابة النبي أروع الأمثلة في توقير النبي ومن ذلك قول أسامةَ بنِ شَرِيكٍ[1]: قال: " **أتيتُ رسولَ الله وأصحابُه كأنما على رؤوسِهُم الطيرُ** "[2].

قوله: " كأنما على رؤوسهم الطير"، كناية عن سكونهم ووقارهم في حضرته ؛ لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن[3].

3- تعظيمه ميتاً كتعظيمه حياً: إن تعظيم النبي لا يقتصر على حياته، بل يمتد إلى بعد موته، فقد قال القاضي عياض: "واعلم أن حرمة النبي بعد موته، وتوقيره وتعظيمه، لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ، وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آل بيته وصحابته".[4]

ثالثاً: محبته :

يجب تقديم محبة النبي على النفس وسائر الخلق، والمحبة واجبة لعموم الأنبياء والرسل؛ إلا أن لنبينا مزيد اختصاص بها، ولذا وجب أن تكون محبته مقدمة على كل شيء، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: 24].

في هذه الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب، وفيها وعيد شديد، لمن كانت محبته لشيء أكثر من محبته لله تعالى ورسوله ، وواضح ذلك في قوله: **[فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ]**، والتربص هنا إشارة

---

(1) أسامة بن شريك الذبياني الثعلبي، من بني ثعلبة بن سعد، ويقال من بني ثعلبة بن بكر بن وائل، كوفي له صحبة ورواية، روى عنه زياد بن علاقة، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ج1/ 78.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، الطب/ الرجل يتداوى، 6/ 5: رقم الحديث 3855. إسناده صحيح: ينظر: النووي، خلاصة الأحكام، 921/2.

(3) انظر: المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، السبكي، تحقيق: أمين خطاب، ج9/ 62.

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج2/ 91.

إلى عذاب أو عقوبة، ولا تكون العقوبة إلا لترك واجب، فمن قدّم شيئاً من المحبوبات على محبة النبي □ فهو فاسق، متربص بعذاب ينزل عليه[1].

وأخرج البخاري في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ □ قَالَ: **(فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ)**[2].

وعن زُهْرَة بْن مَعْبَدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ هِشَامٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ □ وهو آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؛ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ □: **(لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)**، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ □: **(الآنَ يَا عُمَرُ)**[3].

نلاحظ من ردّ النبي □ أنه نفى اكتمال إيمان سيدنا عمر؛ حتى يكون النبي □ أحب إليه من نفسه، وقد أكد النفي بالقسم؛ ليدل على وجوب تقديم محبته على كل شيء، حتى على النفس التي جُبل الإنسان على محبتها.

"فمقتضى الحب الصحيح أن تنصره، وتفديه بالنفس والمال، وأن تغار على حرمات الله أن تُنتهك، تلك هي أهم جوانب تعظيم الرسول □ وتوقيره."[4]

ومن علامات محبة النبي □ الشوق إليه، والأُنْس عند ذكره، وتمني رؤيته، والجلوس إليه، وقد جاء في صحيح البخاري: عنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ □ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: **(وَيْلَكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا)** قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: **(إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)** فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: **(نَعَمْ)**، فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا[5]، ولما احتضر بلال – رضي الله عنه- قال: غدًا نلق الأحبة ... محمدًا وحزبه، فقَالَت امْرَأَتُهُ: وَاوَيْلاَهُ! فَقَالَ: وَافَرَحَاهُ![6].

---

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج2/ 257، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، ج3/ 18، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج8/ 95.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ حُبُّ الرَّسُولِ □ مِنَ الإِيمَانِ، 1/ 12: رقم الحديث 14.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأيمان والنذور/ كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ □، 8/ 129: رقم الحديث 6632.

(4) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبد الرؤوف محمد عثمان، ص 83.

(5) صحيح البخاري، البخاري، الأدب / مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، ج8/ 39: رقم الحديث 6167.

(6) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج3/ 218.

وقد كَانَ الْحَسَنُ البصري إِذَا حدث بهذا بكى، وقال: (يا عباد اللَّهِ: الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ؛ فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ)(1).

رابعاً: تجنب الغلو في رسول الله :

ذكرنا في البند السابق وجوب محبة النبي محمد ، وتقديم محبته على كل محبة، ولكن هذه المحبة ليست فوق محبة الله تعالى؛ فإنّ محبة الله تعالى هي أعلى المحبوبات وأوجبها على الإطلاق، ولا يجوز أن يساوى بين الله تعالى وبين غيره في المحبة، فإن كانت محبة النبي عظيمة ومقدمة على المحبوبات الدنيوية؛ لكنها تبقى في مرتبة البشرية، لا تبلغ مرتبة الألوهية؛ فلله تعالى محبة تخصه تسمى: محبة التألُّه.

وقد حذر النبي أمته من الغلو فيه، والتجاوز في إطرائه ومدحه؛ فعن عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ: **(لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ)**(2).

وقد عُرّف الإطراء بأنه: "الإفراط في المدح والتجاوز فيه الذي لا يؤمن فيه الكذب، ووصف الممدوح بما ليس فيه"(3).

فقد زعمت النصارى أنّ عيسى –عليه الصلاة السلام –إله، وأنه ابن الله تعالى ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**﴾ [الكهف: 5]، فقد خاف النبي على أمته من هذا المسلك، فنهى عن المبالغة في مدحه؛ حتى لا يُجعل في مرتبة الألوهية والربوبية.

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– : أنّ رجلاً قال للنبي : ما شاء الله وشئتَ! فقال له النبي **(أجعلتني والله عَدْلاً؟! بل ما شاء الله وحدَه)**.(4)

---

(1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، السبتي، ج1/ 584.

(2) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ قَوْل اللَّه، {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: 16] 4/ 167: رقم الحديث 3445.

(3) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحَمِيدي، تحقيق: زبيدة عبد العزيز، ص 39.

(4) مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عباس، 423/2: رقم الحديث 1839. إسناده حسن: ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 266/1ح139.

فسيدنا محمد بشر كما قال تعالى عنه ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110]؛ لا يعلم الغيب حيث قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: 50].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]، لذلك يحرم الاستغاثة برسول الله من دون الله تعالى في قضاء الحوائج، وتفريج الكربات، وغيرها مما لا يقدر عليه إلا الله وحده.

خامساً: سؤال الله الوسيلة لسيدنا محمد :

إنّ من حقوق النبي على أمته سؤال الله الوسيلة له ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ يَقُولُ: **(إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)**(1)، قال النووي: الوسيلة فَسَّرَهَا بِأَنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْوَسِيلَةُ الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ(2).

سادساً: الصلاة والسلام عليه:

إنّ من حقوق النبي على أمته أيضاً الإكثار من الصلاة والسلام عليه، كما أمر الله تعالى بذلك؛ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ–رضي الله عنه– قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: 56] الْآيَةَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا السَّلَامَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: "

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، الصلاة/ الْقَوْلِ مِثْلِ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ يَسْأَلُ لهُ الْوَسِيلَةَ، 1/ 288: رقم الحديث 384.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج4/ 86.

قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ "[1].

إن صلاة الله على رسوله تعني أن يرحمه، أما صلاة المؤمنين عليه تعني الدعاء للرسول بالرحمة، قال ابن عباس: الله تعالى يرحم النبي، والملائكة يدعون له، أي: يتبركون[2]، قال المبرد: " أصل الصلاة الترحم، فالصلاة من الله رحمة لعباده، ومن الملائكة رقة لهم، واستدعاء للرحمة من الله لهم، والصلاة من الناس سميت صلاة لطلب الرحمة بها"[3].

إنّ الملاحظ في الآية الكريمة أنّ النداء على (الذين آمنوا)، جاء في وسط الآية، وفي مجمل القرآن الكريم يكون النداء في صدر الآية؛ السبب في ذلك والله أعلم أنّ الأمر للمؤمنين بالصلاة على رسول الله جاء بعد صلاة الله تعالى عليه والملائكة، وفي هذا زيادة تشريف للنبي ، وفيه أيضاً دعوة للاقتداء بالله والملائكة مع اختلاف الصلاة في كلّ منهما، وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تحث على الصلاة على سيدنا محمد ، ومنها هذه الثلاثة :

1- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ يَقُولُ: **(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)**[4].

2- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ : **(البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)**[5].

3- عن أُبَي بن كعب: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: **(مَا شِئْتَ)**، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: **(مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)**، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: **(مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)**، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: **(مَا**

---

(1) مسند أحمد بن حنبل، أحمد، حديث كعب بن عجرة، 30/30: رقم الحديث 18104. إسناده صحيح: ينظر: تحقيق شعيب الأرنؤوط لمسند أحمد.

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، ج6/ 372.

(3) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية الشارقة، ج9/ 5847

(4) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ الْقَوْل مِثْل قَوْل الْمُؤَذِّن لِمَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ثُمَّ يَسْأَلُ لهُ الْوَسِيلَةَ، 1/ 288: رقم الحديث 384.

(5) سنن الترمذي، الترمذي، الدعوات/ قول رسول الله رغم أنف الرجل، 551/5: رقم الحديث 3546. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)[1].

فقد كَانَ لأبي بن كَعْب دُعَاء يَدْعُو بِهِ لنَفسِهِ، فَسَأَلَ النَّبِي ﷺ هَل يَجْعَل لَهُ مِنْهُ ربعه صَلَاة عَلَيْهِ ﷺ فَقَالَ: إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك، فَقَالَ لَهُ: النّصْف، فَقَالَ: إِن زِدْت فَهُوَ خير لَك، إِلَى أَن قَالَ أجعَل لَك صَلَاتي كلهَا؛ أَي أجعَل دعائي كُله صَلَاة عَلَيْك قَالَ إِذاً تُكْفَ همك وَيغْفر لَك ذَنبك[2]. فهذه بعض حقوق النبي ﷺ على أمته على سبيل الإيجاز.

المطلب الثالث: الآثار التربوية لتوقير النبي محمد ﷺ.

مما لاشك فيه أنّ توقير النبي ﷺ ينتج عنه عدد من الآثار التربوية على شخصية الفرد المسلم، ومن هذه الآثار:

1- معرفةُ الله تعالى المعرفةَ الصحيحة، وعبادته حق العبادة، ولا يتم ذلك إلا عن طريق ما جاء به النبي ﷺ.

2-السعادة: إن سعادة المسلم في الدنيا لا تتحقق إلا بتوقير النبي ﷺ واتباع سنته، قال ابن تيمية: "سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة، فهي ضرورية للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، فهي روح العالم ونوره وحياته[3].

3 – تحقيق الرغبات والنزعاتِ البشرية في معرفة ما لا يستطيعُ العقل البشريُّ الوصولَ إليه بمجرده، إذ لا معرفة لأمور الغيب إلا عن طريق الوحي.

4 – بيانُ إمكان بلوغِ البشر درجاتٍ عاليةٍ في القرب من الله تعالى بالطاعة؛ لأن المرسلينَ إليهم هم من جنسهم، قال الله تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يبينَ ذلك للناس: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ**﴾ [فصلت :6]. [4].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب صفة القيامة والورع والرقائق عن رسول الله/ باب ج637/4: رقم الحديث 2457. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(2) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ص 79.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج19/ 93.

(4) أَركانُ الإيمانِ، علي بن نايف الشحود، ص 133.

5 – محبةُ الرسول، والثناءُ والصلاةُ والسلامُ عليه، وتقدير ما تحمَّله من أذى؛ في سبيل نشر الإسلام، والصبر علي المشقات، والاقتداء والتأسِّي به في ذلك، واتباع نهجهِ وسنتهِ، وسيرتهِ، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21]. [1].

6– محبة آل بيته الأطهارِ، وأصحابه، وأتباعه، وأنصاره إلى يوم الدين، ونتولاهم ولا نبرأُ من أحدٍ منهم، بل نبغضُ من يبغضُهم، وبغير الخير يذكرهُم، فلا نذكرهُم إلا بخيرٍ، وحبُّهم عندنا دينٌ وإيمانٌ، وإحسانٌ نتقربُ به إلى الله تعالى، لقوله سبحانه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: 100].

7– تذوق حلاوة الإيمان:

عَنْ أَنَسٍ–رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**"[2].

إن من حلاوة الإيمان؛ هان عليه فعل الطاعات، وصعب عليه فعل المعاصي والمنكرات، ومن ذاق حلاوة الإيمان كان شاكراً عند الرخاء، صابراً عند البلاء، راضياً بالقضاء؛ لأنه يؤمن أن ما قدره الله تعالى هو لمصلحة العبد.

---

(1) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، ابن عثيمين، ص 33، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من علماء السعودية، ص 155، والطريق إلى الإسلام، حمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ص 67، وأركانُ الإيمانِ، علي بن نايف الشحود، ص 133.

(2) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ بَيَان خِصَال مَن اتَّصف بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَان،1/ 66: رقم الحديث 43.

المبحث الثاني

تحقيق الإيمان بأسماء الله الحسنى

إن العلم بالله، وبأسمائه، وصفاته، أشرف العلوم، وأعظمها وأوجبها، على الإطلاق، وفي ذلك يقول ابن القيم: "العلم بأسمائه وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم"(1)؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم، والبحث التام عنه، هو اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب، "وأسماء الله عز وجل كلها حسنى، ولهذا أمرنا الله بالتعبد بها"(2)، فأسماء الله وصفاته كاملة، لا يصيبها نقص، ولذلك بينها الرسول غاية التبيان، ولاهتمام الرسول ببيانه لم يختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم، كما اختلفوا في الأحكام.

إن الله تعالى أمرنا أن ندعوه بأسمائه، ولا نلحد فيها، فقَالَ سبحانه وتَعَالَى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف: 180]

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: تعريف أسماء الله الحسنى، وعددها:

وفيه فرعان:

أ- تعريف أسماء الله الحسنى:

"هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها" (3).

أما عن سبب تَسْمِيَة أسماء الله سبحَانَهُ وَتعالَى بِالْحُسنَى فهناك عدَّة أَقْوَال، منها هذه الأربعة(4):

---

(1) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ج1/ 163.

(2) موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري، ج1/ 101.

(3) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، ص 31.

(4) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، الحنفي، ج1/ 11.

1- لما فِيهَا من الْعُلُوّ والتعظيم وَالتَّقْدِيس والتطهير.

2- لما فِيهَا من وعد بالثَّوَاب.

3- لِأَنَّهَا حَسَنَة في الأسماع والقلوب.

4- لِأَنَّهَا تدل على توحيده وَكَرمه.

ب- عددها:

أخرج البخاري في صحيحه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1].

إن كلمة (أحصاها) في الحديث تحتمل ثلاثة معان، وهي :

1- الحفظ: إحصاءُ ألفاظها وعددها؛ بأن يعدَّها حتى يستوفيها حفظًا.

2- الفهم: فهم معانيها ومدلولها، وأثرها على المسلم وحسن مراعاتها.

3- الدُّعاء: دعاء الله تعالى بها دعاءَ ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة[2].

وقد انقسم العلماء في مسألة عدد أسماء الله الحسنى إلى قسمين:

القسم الأول : أسماء الله تعالى لا يعلم عددها إلا الله، ولا تنحصر بعدد وقد استدلوا على ذلك بحديث رسول الله : "ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ وحَزَنٌ: اللهمِ إني عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أَمَتك، ناصيتي بيدكِ، ماضٍ فيَّ حُكْمُك، عدْلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيْتِ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو عَلّمته أحداً من خَلْقك، أو استأثرت به في علم الغيبِ عندك، أن تجعل القرآنَ ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاءَ حزني، وذَهَاب هَمِّي، إلاَّ أذهب الله عز وجل هَمَّه، وأبدله مكان حُزْنه فَرَحاً"، قالوا: يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟، قال: "أَجَلْ، ينبغى لمن سمعهنَّ أن يتعلمهنّ"[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، التوحيد/ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، 9/ 118: رقم الحديث 7392.

(2) بدائع الفوائد، ابن القيم، ج1/ 164.

(3) مسند أحمد بن حنبل، أحمد، حديث عبد الله بن مسعود، 341/7: رقم الحديث 4318. إسناده صحيح: ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ج136/10.

قال ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: " وقوله: (أو استأثرت به في علم الغيب عندك) دليل على أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها غيره "[1].

وهذا الحديث يقسم أسماء الله الحسنى ثلاثة أقسام:

1- قسم أنزله الله تعالى في كتابه العزيز.

2- قسم سمّى الله تعالى به نفسه، فعرفه لمن شاء من ملائكته، أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

3- قسم استأثر الله به في علم الغيب عنده، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه.

وقد علق الخطابي على القسم الثالث بقوله : " فَهَذا يَدُلُّكَ على أن لله أسماء لم يُنَزِّلْهَا في كِتَابِهِ، حَجَبَهَا عَنْ خَلْقِهِ، وَلم يُظْهِرْهَا لهم"[2].

القسم الثاني : قالوا: إن أسماء الله تعالى محصورة في التسعة والتسعين اسماً كابن حزم[3] مستدلين بالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[4].

ويرجح الباحث الرأي الأول القائل: بأن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد؛ لقوة الأدلة التي أوردوها، وكذلك لو استعرضنا أسماء الله لوجدناها أكثر من تسعة وتسعين، وهذا ما أورده النووي[5]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[6].

المطلب الثاني : أسماء الله الحسنى الواردة في السورة:

وردت في سورة الفتح بعض أسماء الله الحسنى، أستعرض معانيها، وسبب تذييل الآيات بها:

1- ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح: 4].

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، ص 277.

(2) شأن الدعاء، الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ج1/ 25.

(3) المحلى بالآثار، ابن حزم، ج6/ 282.

(4) صحيح البخاري، البخاري، التوحيد/ إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلَّا وَاحِدًا، 9/ 118: رقم الحديث 7392.

(5) شرح صحيح مسلم، النووي، ج17/ 5.

(6) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج3/ 332.

ورد في هذه الآية الكريمة اسمان لله تعالى، هما: (العليم) و(الحكيم)، أما معنى (العليم) هُوَ: " العَالِمُ بالسَّرَائِرِ والخَفِيَّاتِ التي لَا يُدْرِكُهَا عِلْمُ الخَلْقِ"[1].

وأما معنى الحكيم: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها، والله تعالى حكيم في خلقه، وتقديره، وحكيم في شرعه، وأمره ونهيه، وقد أمر عباده بالحكمة، ومراعاتها في كل شيء[2].

أما عن سبب تذييل الآية الكريمة بهذين الاسمين؛ فقد قال الرازي: " لما ذكر أمر القلوب بقوله: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين)، والإيمان من عمل القلوب، ذكر العلم إشارة إلى أنه يعلم السر وأخفى، وقوله (حكيماً) بعد قوله (عليماً)، إشارة إلى أنه يفعل على وفق العلم؛ فإن الحكيم من يعمل شيئاً متقناً ويعلمه؛ فإن من يقع منه صنع عجيب اتفاقاً لا يقال له: حكيم، ومن يعلم ويعمل على خلاف العلم لا يقال له: حكيم"[3].

2- ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 7].

ورد في هذه الآية الكريمة اسمان من أسماء الله الحسنى، وهما: (العزيز) و(الحكيم)، وقد تم التعريج على اسم (الحكيم) أما (العزيز) فهو: " الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وهو الذي قهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته "[4].

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا ختم الله الآية الرابعة باسمي (العليم) و(الحكيم)، بينما ختم الآية السابعة باسمي (العزيز) و(الحكيم)؟

الجواب: إن المراد في الآية الرابعة أنه عز وجل المدبر لأمر المخلوقات بمقتضى حكمته؛ فلذلك ذيلت الآية بقوله تعالى:(عَلِيماً حَكِيماً) وههنا (يقصد الآية السابعة) فقد أريد به

---

(1) شأن الدعاء، الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ج1/ 57.

(2) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج6/ 433، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية،ج1/ 385، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج28/ 291، والأدب النبوي، الحولي، ص 196، وبهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن آل سعدي، تحقيق: الدريني ص 43، وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي، ج9/ 346 .

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 68.

(4) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص 214.

التهديد بأنهم في قبضة قدرة المنتقم؛ ولذا ذيل الآية بقوله تعالى: (وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) فلا تكرار، وقيل: إن الجنود جنود رحمة، وجنود عذاب، والمراد به هنا الثاني كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة[1].

إذن فقد ورد اسم (العزيز) بعد ذكره ما أعده للمؤمنين من الجنات، وتكفير السيئات، وتعذيب المنافقين والمشركين، بقوله تعالى: (عَزِيزًا) أي: قادر على ذلك (حَكِيمًا) فيما يفعله من إكرام المؤمنين، وتعذيب المنافقين والمشركين[2].

3-﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: 11].

(الخَبِيْر) هو: " العَالِمُ بِكُنه الشيء، المُطَّلِعُ عَلى حَقِيْقَتِهِ"[3].

وقد ختمت هذه الآية باسم (الخبير)، وهذا يناسب ما قبلها؛ حيث إن المخلفين من الأعراب ساقوا تبريراتهم الكاذبة لتخلفهم عن رسول الله، ثم طلبوا منه أن يستغفر لهم ظانين أن الله تعالى لا يعلم ما يخفون في صدورهم، " وذهلوا عن علم الله بما أضمروه "[4]، فجاء حرف الإضراب (بل) مع اسم الله الخبير؛ ليظهر كذبهم، وقد عقب أبو السعود على قوله تعالى: {بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً}، "إنه إضرابٌ عمَّا قالُوا، وبيانٌ لكذبِهم بعدَ بيانِ فسادِهم عَلى تقديرِ صدقِهِم، أي: ليسَ الأمرُ كَما تقولونَ؛ بلْ كانَ الله خبيراً بجميعِ ما تَعْمَلُونَ منَ الأعمالِ التي من جُملتها تخلفُكم"[5]

4-قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾** [الفتح: 14].

ورد في هذه الآية اسمان لله تعالى، وهما: (الغفور) و(الرحيم).

---

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 106، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ج13/ 249،

(2) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة الكناني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص 340.

(3) شأن الدعاء، الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ج1/ 63.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 162.

(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 107.

أما معنى الغفور: هو الذي يستر القبائح والذنوب بإسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة والعقاب عليها في الآخرة [1].

أما مَعْنَى (الرَّحِيمِ) فهو " الْمُثِيبُ عَلَى الْعَمَلِ، فَلَا يُضِيعُ لِعَامِلٍ عَمَلًا، وَلَا يُهْدِرُ لِسَاعٍ سَعِيًا، وَيُنِيلُهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ مِنَ الثَّوَابِ أَضْعَافَ عَمَلِهِ "[2].

وقد فرق العلماء بين اسمي (الرحمن) و(الرحيم) إذ لا مترادفات ولا تكرار في كتاب الله، قال الزجاج: "الرَّحْمَن والرحيم اسمان رقيقان، وَأَحَدهمَا أرق من الآخر: أما (الرَّحْمَن) فيخْتَص بِاللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يرحم خلقه كافة، وَلَا يجوز إطْلَاقه فِي غَيره، وأما الرحيم فهو خَاص فِي رَحمته لِعِبَادِهِ الْمُؤمنِينَ، بِأَن هدَاهُم إِلَى الْإِيمَان، وَهُوَ يثيبهم فِي الْآخِرَة الثَّوَاب الدَّائِم الَّذِي لَا يَنْقَطِع"[3].

إن الملاحظ في الآية السابقة أن الله تعالى قدم المغفرة على العذاب، فقال تعالى ﴿ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الفتح: 14]، يقول ابن عاشور عن الحكمة من ذلك: ليتقرر معنى الإطماع في نفوسهم فيبتدروا إلى استدراك ما فاتهم؛ وهذا تمهيد لوعدهم الآتي في قوله: {قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} إلى قوله: ﴿**فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: 16].

وزاد رجاء المغفرة تأكيداً بقوله: { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } أي: الرحمة والمغفرة أقرب من العقاب"[4].

والله تعالى هو المتفرد بملك السماوات والأرض، يتصرف فيهما كيف يشاء، فمن قام بأمره، وأطاع رسوله، وخالف هواه؛ غفر له، ورضي عنه، وفي المقابل من عصى الله ورسوله، واتبع هواه؛ غضب الله عليه، وأعد له سعيراً.

5–قال تعالى: ﴿**وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ [الفتح: 19].

ورد في الآية الكريمة اسمان من أسماء الله الحسنى، وهما : (العزيز) و(الحكيم) وقد أوضحنا معنى الاسمين في موضع سابق، أما عن سر تذييل الآية بهذين الاسمين؛ فقال ابن

---

(1) انظر: شأن الدعاء، الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، ج1/ 65.روح البيان، الخلوتي، ج4/ 88،

(2) الأسماء والصفات، البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ج1/ 135.

(3) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص 28.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 166.

عاشور: إن تيسير الفتح للمسلمين، وحصولهم على المغانم الكثيرة؛ من أثر عزة الله التي لا يتعاصى عليها شيء صعب، ومن أثر حكمته في ترتيب المسببات على أسبابها في حالة يظن الرائي أنها لا تيسر فيها أمثالها[1].

أما عن اقتران اسم الله الحكيم باسمه العزيز؛ لأن اسم الله (العزيز) من الأسماء التي تبعث في قلب من فهم معناها الخوف والوجل الشديد، وهنا يأتي اسم الله (الحكيم)؛ ليذهب ذلك الخوف الَّذِي انبعث في القلب من معرفة اسم الله العزيز، ويوازن القلب ويطمئنه، فالله سبحانه مع عزته وكمال قوته، وتفرده بالملك والتدبير، حكيماً؛ وما ذلك إلا لتعرف القلوب ربها معرفة متكاملة، تجعلها بين الخوف والرجاء في حالة تبعث فيها بوادر الخير والإقبال على الله، وتردعها عن نوازع الشر والانحياز إلى حزب الشيطان[2].

إن الله تعالى ذو عزة، فهو شديد الانتقام من أعدائه، كامل القدرة، خلق الخلق، وليس بحاجة لهم، لم يستكثر بهم من قلة، ولم يستأنس بهم من وحشة، فهو الغني عن عباده، حكيم في تصرفاته، يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

6-قال تعالى: ﴿ **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا** ﴾ [الفتح: 21].

ورد في هذه الآية الكريمة اسم من أسماء الله الحسنى، هو (القدير) أي : " كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد"[3].

أما عن سبب تذييل الآية الكريمة باسم (القدير)؛ فقد تحدثت الآية السابقة عليها عن وعد الله تعالى للمؤمنين أنه سيفتح عليهم البلاد، ويغنمون غنائم كثيرة، وفي المقابل هناك مدن: " لم تكونوا تقدرون عليها الآن، قد أحاط الله بها علماً؛ أنها ستؤول إليكم، وتفتحونها وتأخذونها؛ مثل؛ غنائم هوازن في معركة حنين، وفتوحات فارس والروم، وقد تحقق كل ذلك، ولله الحمد، أنجز الله وعده، وكان وما يزال على كل شيء قديراً مقتدراً، لا يعجزه شيء"[4].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 176.

(2) انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبد الله الجربوع ج3/ 1002-1003.

(3) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص 223.

(4) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2461.

ومعنى (أحاط) أي: "أحاط الله بها لأجلكم، وفي معنى الإحاطة إيماء إلى أنها كالشيء المحاط به من جوانبه، فلا يفوتهم مكانه، جعلت كالمخبوء لهم"[1].

7-قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الفتح: 24].

ورد في هذه الآية الكريمة اسم من أسماء الله الحسنى، وهو (البصير)؛ أي: " العليم بالمرئيات، أي: عليماً بعملكم"[2]، فالله تعالى أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، فيسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى نياط [3] عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وما هو أصغر من ذلك.

أما عن سبب تذييل هذه الآية باسم (البصير)؛ فلأن الله تعالى يعلم أنه لو تم فتح مكة بالقوة؛ لأدّى ذلك إلى قتل بعض المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات، وبذلك تلحقكم المعرة، قال الرازي: "يعني كان الله يرى فيه من المصلحة، وإن كنتم لا ترون ذلك، وبيّنه بقوله تعالى: { هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا} إلى أن قال: ﴿**وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ**﴾ [الفتح: 25]. يعني كان الكف محافظة على من في مكة من المسلمين؛ ليخرجوا منها، ويدخلوها على وجه لا يكون فيه إيذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات"[4].

8-قال تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الفتح: 26].

ورد في هذه الآية الكريمة اسم من أسماء الله الحسنى، هو العليم وقد عرجنا عليه، وعن سبب تذييل هذه الآية باسم الله (العليم) فقد تحدثت الآية عن صحابة رسول الله أنهم كانوا

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 180.

(2) المرجع السابق، ج26/ 186.

(3) النياط: عِرْقٌ مستبْطِن الصُّلْب تَحْتَ الْمَتْنِ، لسان العرب، ج7/ 419.

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 82.

أحق بكلمة التقوى وأهلها وهي (لا إله إلا الله)؛ لأنها تناسب قلوبهم الطاهرة العامرة بالإيمان، فجاء تذييل الآية {وَكَانَ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} أي: " لا يخفى عليه شيء من جميع أحوالكم"[1].

9-قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: 28].

ورد في هذه الآية الكريمة اسم من أسماء الله الحسنى، هو (الشهيد)؛ أي: " الّذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء، بل هو مطّلع على كلّ شيء مشاهد له، عليم بتفاصيله "[2].

أما معنى (الشهيد): " المطلع على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود، وهو الحضور، ومعنى ذلك أنه، وإن كان لا يوصف بالحضور الذي هو المجاورة والمقاربة؛ فإن ما يجري ويكون من خلقه لا يخفى عليه"[3].

وقد ذيلت هذه الآية باسم الله (الشهيد) حيث وعد الله المؤمنين بالتمكين، وأنها ستفتح لهم البلاد، وستكون كلمتهم فيها هي العليا، وأن وعده حاصل لا محالة، والله شهيد على نبوة سيدنا محمد ، أو شهيد بأن الرؤيا حق[4].

المطلب الثالث: الآثار التربوية للإيمان بأسماء الله الحسنى:

إن للإيمان بأسماء الله آثاراً على النفس الإنسانية، فالإنسان ضعيف يحتاج إلى التعلق بالقوي، وهو فقير، يحتاج إلى التشبت بالغني، وللإيمان بأسماء الله الحسنى آثار عامة، وآثار خاصة:

أولاً: الآثار العامة:

1- طريق معرفة الله: إنّ العلم بأسماء الله وصفاته هو الطريق إلى معرفته، وهذه المعرفة تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، فالله تعالى خلق الخلق ليعرفوه، ويعبدوه، وهذه هي الغاية المطلوبة منهم؛ فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، ج11/ 6968.
(2) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج3/ 433.
(3) المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، ج1/ 200.
(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 202، والتفسير المنير، الزحيلي، ج26/ 202-203.

له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خُلق له، وقبيح بعبد لم تزل نِعَمُ الله عليه متواترة أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته، يقول ابن القيم: "لا يَسْتَقِرُّ لِلْعَبْدِ قَدَمٌ فِي الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِصِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَيَعْرِفَهَا مَعْرِفَة تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْجَهْلِ بِرَبِّهِ، فَالْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ وَتَعَرُّفُهَا: هُوَ أَسَاسُ الْإِسْلَامِ، وَقَاعِدَةُ الْإِيمَانِ، وَثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ"[1].

2- زيادة الإيمان: من ازداد معرفة في أسماء الله تعالى يزداد إيمانه؛ لأنه بهذا العلم سيحرص على إرضاء الله تعالى؛ فتزداد أعماله الصالحة، وبذلك يزداد إيمانه، قال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ**﴾ [محمد: 17]. "ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه "[2].

3- طمأنينة القلب، والحياة الطيبة في الدنيا: يقول ابن القيم في هذا كلاماً جميلاً : " إن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره، ومحبته، وعبادته وحده، والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما في الدنيا؛ بل ليست الدنيا بأجمعها عوضا عن هذه الحياة، فمن كل شيء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شيء البتة." [3]، وفي المقابل البعد عن الله يؤدي إلى حياة تعيسة كئيبة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه: 124].

إنّ العبد في هذه الدنيا تتناوشه المصائب، والمكاره، فيلجأ إلى الركن الركين، والحصن الحصين، فيذهب عنه الجزع والهلع، وتنفتح له أبواب الأمل.

4- تحقق السعادة: إن معرفة الله تدعو إلى محبته وخشيته وخوفه ورجائه وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، والتفقه بمعانيها، وأحكامها، ومقتضياتها.

---

(1) انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: البغدادي، ج3/ 324.

(2) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص 72.

(3) الداء والدواء، ابن القيم، ص 84.

5- تزكية النفوس: هذه الثمرة من أجلّ الثمرات التي تحصل بتحقيق الإيمان بأسماء الله وصفاته، فالشريعة المنزلة من عند الله تهدف إلى إصلاح الإنسان، وطريقُ الصلاح هو إقامة العباد على منهج العبودية لله وحده لا شريك له، والعلمُ بأسماء الله وصفاته، يعصم بإذن الله من الزلل، ويفتح للعباد أبواب الأمل، ويثبت الإيمان، ويعين على الصبر، فإذا عرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، واستحضر معانيها أثّر ذلك فيه أيما تأثير، وامتلأ قلبه تعظيماً وإجلالاً لله، وخضوعاً وخشوعاً وانكساراً بين يديه عز وجل.

6- الانزجار عن المعاصي: إن النفوس قد تهفو إلى مقارفة المعاصي، فتتذكر أن الله يبصرها ويسمعها ويراقبها، فتنزجر وترعوي، وتجانب المعصية، وتملأ قلبه مراقبةً لله في الحركات والسكنات، وفي الجلوات والخلوات.

7- سؤال الله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، والثناء عليه، كما قال سبحانه: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: 180]، ومثال ذلك أن يقول: اللهم إني أسألك بأنك الرزاق فارزقني. . . [1]، وتمجيد الله بأسمائه وصفاته أعظم ما نمجد الله به ونثني عليه به، وهو من أفضل الذكر الذي أمرنا به في قوله: ﴿**يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً** ﴾ [الأحزاب: 41][2].

8- التخلق بأخلاق الله تعالى: من عرف الله تعالى حق المعرفة؛ انعكس ذلك على أخلاقه وتعامله مع الناس؛ حيث يقول الغزالي: " قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر، والإحسان واللطف، وإفاضة الخير والرحمة على الخلق، والنصيحة لهم، وإرشادهم إلى الحق، ومنعهم من الباطل "[3].

إنّ الله تعالى من محبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بالعمل بموجبها ومقتضاها، فأمرهم بالإحسان، والبر، والعفو، والجود، والصبر، العدل، والمغفرة، والرحمة، والصدق، والعلم، والشكر، والحلم، والأَناة، وغيرها، قال ابن القيم: " لما كان سبحانه يحب أَسماءَه وصفاته كان أَحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأَبغضهم إليه من اتصف بالصفات التى

(1) التوحيد للناشئة والمبتدئين، عبد العزيز بن آل عبد اللطيف، ص 52.

(2) العقيدة في الله، الأشقر، ص 217.

(3) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج4/ 306.

يكرهها، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأَن اتصافه بها ظلم، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه، لمنافاتها لصفات العبيد"[1].

فكما تحب أن يتعامل معك الله تعالى ينبغي أن تتعامل مع الناس بهذه الطريقة : " فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك؛ فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه، وتقابل به إساءتهم؛ ليعاملك الله هذه المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل الله معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقاً فانتقم بعد ذلك أو اعف، وأحسن أو اترك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباده يفعل معك" [2].

إنّ العبد يسعى جاهداً للاتصاف والتحلي بصفات الله تعالى على ما يليق به، فالمحب يحب أن يتصف بصفات محبوبة.

ثانياً: الآثار الخاصة:

بعد عرض الآثار العامة للإيمان بأسماء الله الحسنى، أستعرض الآن الآثار الخاصة لكل اسم من أسمائه الواردة في سورة الفتح:

1- (الرحيم): إن إيمان المرء باسم الله الرحيم، يقتضي منه أن يتصف بصفة الرحمة، يرحم المخلوقات، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ**»[3]، يتضح من خلال هذا الحديث أن رحمة الله للإنسان مرتبطة بمدى رحمته لغيره، ولهذا يحمل هذا الحديث التحذير الشديد لمن لا يرحم الناس.

2-(العزيز): تحرير العبد من رقّ المخلوقين، وتسلطهم، والتّعلّق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزّ الحقيقيّ والشّرف العالي[4]، فالمسلم يطلب العزة من الله تعالى وحده، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: 8].

---

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص 129.

(2) بدائع الفوائد، ابن القيم، ج2/ 244.

(3) صحيح البخاري، البخاري، التوحيد/ قَوْل اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى} [الإسراء: 110] 9/ 115: رقم الحديث 7376.

(4) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين، ج4/ 1341.

وهذا الأمر يربّي لديه عزة النفس ويورثه الشجاعة، فلا يتهافت على أعتاب الرؤساء، ولا الأمراء، ولا يبيع دينه بعرض من الدنيا، ولا يخشى في الله لومة لائم؛ قال ابن القيم: "فَعلم العَبْد بتفرد الرب تَعَالَى بالضر والنفع، وَالعطَاء وَالْمَنْع، والخلق والرزق، والإحياء والإماتة؛ يُثمر لَهُ عبودية التَّوَكُّل عَلَيْهِ"[1].

3-(الغفور): هذا الاسم الجليل يدفع المسلم بالإسراع بالتوبة من المعاصي، حيث لا أحد معصوم من الخطأ سوى الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-، فعَنْ أَنَسٍ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[2]، فإيمان المؤمن بأن الله غفور؛ تفتح له باب الرجاء، وتقطع الطريق على الشيطان، والذي يحاول جاهداً تيئيس العبد، وإساءة الظن بربه، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: 53] قال الطبري في تأويل الآية أي: " لا تيأسوا من رحمتي، إن الله يغفر الذنوب جميعاً"[3].

4- (القدير): يعتقد المسلم اعتقاداً جازماً أن الله يدبر أمور الخلق، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، وهذا الأمر يربّي عند المسلم تعظيم الله وحده، والالتجاء إليه وقت الشدة؛ لأنه قادر على كل شيء.

5- (البصير): الإيمان بهذا الاسم يردع المسلم من الوقوع بالمعاصي؛ لأن النفوس في لحظات الضعف تنغمس في شهواتها، فتتذكر بأن الله مطلع عليه فيبتعد عن المعاصي؛ ولا يجعل الله تعالى أهون الناظرين إليه؛ وإن داوم على ذلك يصل أعلى درجات العبادة، وهي درجة الإحسان، وهي: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[4].

6- (العليم): إن المسلم يحجم عن كل فعل يغضب وجه الله تعالى؛ لأن الله يعلم السر وأخفى، قال تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ**﴾ [غافر: 19]، وقال أيضاً: ﴿**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**﴾ [الأعلى: 7].

---

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ج2/ 90.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، صفة القيامة/ ما جاء في صفة أواني الحوض، 659/4: رقم الحديث 2499. وقال الترمذي: هذا حديث غريب. وقال ابن حجر في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ص542، سنده قوي.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، ج21/ 306.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/سُؤَال جِبْرِيلَ النَّبِيَّ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، 1/ 19: رقم الحديث 50.

إن هذا الأمر يدفع المسلم لإخلاص أعماله لله تعالى؛ لأن الله تعالى يحاسب الإنسان على نيته؛ كما قال رَسُول اللَّهِ : «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1]، وكذلك عندما يؤمن المسلم بأن علم الله لا حدود له، كما قال الله: ﴿ **إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا** ﴾ [طه: 98]؛ يدفعه ذلك للتواضع؛ لأنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً، بشهادة قوله سبحانه وتعالى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 76].

7- الشهيد: إذا آمن المسلم بأن الله تعالى عالم الغيب والشهادة، يقضي بين عباده بعلمه، وسمعه، وبصره الذي لم يفارقهم في الدُّنيا طرفةَ عين؛ فإن ذلك سيدفعه إلى الابتعاد عن كل ما يغضب الله، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ** ﴾ [الأنعام: 19]، فشهادة الله لا ظلم فيها؛ بل حرم الظلم على نفسه.

8- الحكيم والخبير: إن المسلم يؤمن بأن الله يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللّائقة بها، فلا يضع الشّيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزله، الّتي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فلا يضع الحرمان والمنع موضع العطاء والفضل... [2]، هذا الأمر يدفع المسلم لئن يتخلق بالأخلاق الحسنة، ويجعل أعماله وأفعاله كلها لله؛ فيضع الأشياء في محلها فلا يحكم إلا بالحق والعدل، ولا يتعامل مع الناس إلا بالصدق والأمانة، ويحرص أن يكون حكيماً في جميع أعماله، فالحكيم الذي يتقي الله، ويسعى إلى نفع الناس؛ ابتغاء ثواب الله، والحكيم الذي يغض بصره، ويحفظ فرجه، وفضول كلامه، ويؤدي الفرائض[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، بدء الوحي/ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؟ 1/ 6: رقم الحديث 1.

(2) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج2/ 191.

(3) انظر: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين بن محمد المهدي، ج2/ 49-50.

المبحث الثالث

غرس صفات أبطال الفتح والتحرير في نفوس الجيل

بعدما بيّن الله تعالى في سورة الفتح الغاية من إرسال الرسول وهي هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ووعده أن يظهر هذا الدين على جميع الأديان بقوله: ﴿ **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾ [الفتح: 28]. أتبع ذلك بتوضيح صفات الرسول الكريم وصحابته الكرام، فوصفهم بصفات مدح، وأثنى عليهم، وأوضح أنهم بتلك الصفات أصبحوا سادة الأمم، ونشروا دين الله، وهذه الصفات موجودة في الآية الأخيرة، كما قال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح: 29]. وهذا المبحث يشتمل على مطلبين كما يلي:

المطلب الأول : صفات أبطال الفتح والتحرير:

إن الصحابة – رضوان الله عليهم – أحسن الناس أخلاقاً، وأكملهم خلقاً وسيرة؛ لا يتكلمون إلا خيراً، ويكرمون الجار، ويحسنون إليه، ويكرمون الضيف؛ بطيب الكلام، وطلاقة الوجه، وغيرها الكثير من الصفات الحسنة، وقد تناولت في هذا المطلب صفات أبطال الفتح والتحرير حسب ورودها في الآية الأخيرة من سورة الفتح في ثلاثة أفرع كما يلي:

أولاً: " أشدّاء على الكفار": أول صفات أبطال التحرير أنهم أشداء على الكفار، والمقصود بالشدة: " قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح "[1] ، وقال ابن عادل[2]: أي: "غِلاظٌ عليهم كالأسد على فريسته، لا تأخذهم فيهم رأفة"[3].

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 204.

(2) هو العلامة سراج الدين عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي صاحب تفسير اللباب في علوم الكتاب. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، العثماني، ج4/ 73.

(3) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض ج17/ 513.

قد أمر الله تعالى رسوله بأن يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم؛ فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:9]، وقال أيضاً: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة:123]، "فإذا كَانَتِ الْغِلْظَةُ وَالشِّدَّةُ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ، وكَذَلِكَ الْغَضَبُ وَالْحِدَّةُ؛ فهي صِفَةُ مَدْحٍ، وَنَعْتُ وثَنَاءٍ" [1]، وقد وُصف سيدنا عمر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– بالشدة، وذلك عندما أشار على النبي بقتل أسرى بدر.

وتكون الشدة مع الأعداء بكل أنواع الشدة، سواءً باللسان أو السنان، فهذا رسولنا يحرّض الشعراء على هجاء كفار قريش، قال رَسُول اللهِ : «اهْجُوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقٍ النَّبْلِ»، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ حَسَّانٌ قَالَ: «قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ»، ثُمَّ دَلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَفْرِيَنَّهُمْ فَرْيَ الْأَدِيمِ[2] »[3]، "قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُراد بِذَنَبِه هنا لسانه، فشبهه بِالْأَسَدِ فِي انْتِقامه وَبَطْشه إِذَا اغْتَاظَ، وَحِينَئِذٍ يَضْرِبُ بِذَنَبِهِ جَنْبَيْهِ، كَمَا فَعَلَ حَسَّانُ بِلِسَانِهِ حِينَ أَدْلَعَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَشَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْأَسَدِ، وَلِسَانَهُ بِذَنَبِهِ، قَوْلُهُ (ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ)، أَيْ: أَخْرَجَهُ عَنِ الشَّفَتَيْنِ"[4].

وقد وصف الله تعالى عباده الذين يحبهم بصفات كثيرة، منها أنهم أعزة على الكافرين، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: 54].

فالمؤمنون أعزة على الكافرين يعني: " أنهم أقوياء أمام الكافر، لا يلينون له، ولا يداهنونه، ولا يوادونه، كل هذا بالنسبة للكافر حرام على المؤمن لا يجوز للمؤمن أن يواد الكافر، ولا يجوز له أن يذل له؛ لأن الله تعالى جعل له ديناً يعلو على الأديان كلها؛ بل يجب علينا أن نبغض الكفار"[5].

---

(1) بحر الفوائد، الكلاباذي، تحقيق: محمد إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ص: 359

(2) أي: لأمزقن أعراضهم تمزيقاً وتقطيعاً كقطع الجلد. إكمال المعلم بفوائد مسلم، السبتي، ج7/ 529.

(3) صحيح مسلم، مسلم، مسلم، فضائل الصحابة/ فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، 4/ 1935: رقم الحديث 1936.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج16/ 49.

(5) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج6/ 241.

وقد وصف الله العباد الذين أرسلهم على بني إسرائيل في المرة الأولى، بأنهم أولو بأس شديد، فقال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا**﴾ [الإسراء: 5]، وقد اختلف المفسرون في هؤلاء العباد، وهذا ليس بمقام التفصيل، ولكن الذي عليه المفسرون أن صفة (أولي بأس شديد) أي: أصحاب بطش شديد في الحروب والقتال، فأذلوكم وقهروكم[1]، فالأحرى بنا – ونحن لا زلنا نرزح تحت ظلم الاحتلال– أن نعد العدة، وننشئ جيلاً يتصف بالبأس الشديد؛ لنرهب بهم أعداء الله، ونرى هذا الجيل في ساحات القتال جيوشًا تصول وتجول؛ يخشى بأسهم قتلة أنبياء الله.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا قال الله تعالى (رُحَماءُ بَيْنَهُمْ) عقب (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ)؟

الجواب: هذا لون بلاغي يُسمى التَّكْمِيلُ، أو الِاحْتِرَاس، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى به فِي الكَلَام " لدفع إيهام خلاف المقصود"[2]؛ لأنه " لَوِ اقْتَصَرَ عَلَى (أَشِدَّاءَ) لَتُوهِّمَ أَنَّهُ لِغِلَظِهِمْ"[3] فأعقب ذلك رحماء بينهم.

وقال ابن عاشور في سبب الجمع بين هاتين الصفتين المتضادتين الشدة والرحمة: "إن في ذلك إيماء إلى أصالة آرائهم، وحكمة عقولهم، وأنهم يتصرفون في أخلاقهم وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد، فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة، وعدم الرؤية"[4].

لقد ضرب الصحابة المثل الأعلى في الجمع بين هاتين الصفتين: الشدة والغلظة على الكافرين، واللين والذلة بين المؤمنين، ومن هذه الأمثلة:

سيدنا أبو بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه – فقد كان مشهوراً بأنه كثير البكاء من خشيته لله تعالى؛ وقلبه رقيق مليء بالرحمة على المؤمنين، ولكن بعد وفاة رسول الله ﷺ ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام، وأرادت أن تفرق بين الصلاة والزكاة، فما كان من خليفة رسول الله

---

(1) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ج2/ 246، والتفسير الوسيط، طنطاوي، ج8/ 291.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ج3/ 216.

(3) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج3/ 251.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 205.

 أبي بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْه –؛ إلا أن جهز جيشاً لقتالهم، فأراد بعض الصحابة أن يثنوه عن ذلك، فَقَالَ قولته المشهورة: "**وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا**[1] **كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا** "[2].

لو حدثت هذه الشّدة من سيدنا عمر لكان الأمر مألوفاً؛ لما يعرف عنه من الغلظة، أما أن تحدث من أبي بكر المعروف برقة القلب؛ فهذا يوضح ضرورة اتصاف المؤمن بهاتين الصفتين.

يقول ابن كثير: "هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً على خصمه وعدوه"[3].

ثانياً: رحماء فيما بينهم:

إن أتباع الأنبياء والمصلحين لا بد أن تسود بينهم المحبة، والأخوة الصادقة، والتي من نتائجها التراحم فيما بينهم، وفي هذا دلالة واضحة على قوة إيمانهم، فقد ورد عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: " **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** "[4].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ أيضاً: " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[5].

وقد ضرب الأنصار –رضوان الله عليهم– أروع الأمثلة في التعامل الطيب مع إخوانهم المهاجرين الذين فروا بدينهم تاركين وراءهم أهلهم وديارهم وأموالهم، فما كان من الأنصار إلا أن فتحوا لهم بيوتهم، وقاسموهم أموالهم، فأثنى الله تعالى عليهم بقوله: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ**

---

(1) العناق: "هي الجذعة من المعز التي قاربت الحمل، قاله على جهة التقليل". مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، ج5/ 8.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الزكاة/ وُجُوب الزَّكَاة، 2/ 105: رقم الحديث 1400.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج3/ 136

(4) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ حلاوة الإيمان، 1/ 12: رقم الحديث16.

(5) صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/ تَرَاحُم الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفهمْ وَتَعَاضُدهِمْ، 4/ 1999: رقم الحديث 66.

وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: 9].

وقد كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أول أعمال الرسول ﷺ بعد بنائه المسجد النبوي فور وصوله إلى المدينة مهاجراً إلى ربه.

وقد مدح رسول الله ﷺ الأشعريين؛ لتراحمهم فيما بينهم، فقال: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا[1] فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[2].

قد أوضح النبي ﷺ أن طريقة الأشعريين وطريقته واحدة، وهي الرحمة والعطف واللين.

وقد نفى رسولنا الرحيم ﷺ كمال الإيمان وتمامه عن الذي لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

فعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[3].

وقد بيّن النبي ﷺ الوسائل التي تقوي أواصر المحبة والأخوة بين المؤمنين، ومنها هذه الخمس:

1- **إخبار أخيك أنك تحبه:** فعن أَنَس بن مَالِكٍ–رضي الله عنه– قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: " هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَلِكَ؟ "، قَالَ: لَا، قَالَ: " قُمْ فَأَعْلِمْهُ " قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا هَذَا، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللهِ، قَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ "[4]، فإن إخبار الأخ في الدين بأنك تحبه يقوي المحبة والأخوة، وهذا ما عناه النبي ﷺ من قوله: " قُمْ فَأَعْلِمْهُ ".

---

(1) أَي: إِذا فني زادهم، من الإرمال، بِكَسْر الْهمزَة وَهُوَ فنَاء الزَّاد وإعواز الطَّعَام، وَأَصله من الرمل، كَأَنَّهُمْ لصقوا بالرمل من الْقلَّة، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج13/ 44.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الشركة/ الشَّرِكَة فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ، 3/ 138: رقم الحديث 2486.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، 1/ 12: رقم الحديث 13.

(4) مسند أحمد، أحمد، مسند أنس بن مالك، 19/ 418: رقم الحديث 12430. إسناده صحيح: ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، 778/1.

وإن المؤمن يجد أثر هذه المحبة يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»[1].

2- **رد السلام، والبشر عند لقائه:** من الآداب الطيبة التي يغرسها الإسلام في نفوس المسلمين إذا تلاقوا أن يحيّي بعضهم بعضاً بتحية أهل الجنة، فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأن يرد الآخر بمثل هذا الرد أو بزيادة، كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء:86]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[2].

وكذلك إذا لقي المسلم إخوانه أن يبشّ في وجوههم، فعنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[3].

3- **إجابة الدعوة:** إن من حقوق المسلم على أخيه إجابة دعوته؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ "[4].

4- **الهدية:** إن الهدية مهما كانت قليلة الثمن لها أثرها في زيادة المودة والمحبة بين المسلمين، وخاصة إذا كانت من الذين لا يجدون إلا جهدهم ممن قُدر عليهم رزقهم، بخلاف ما إذا أشعرت وضاعتها بالبخل من المهدي، إذا كان من أولي الطول والسعة، أو قدم هدية بهدف أن يكافأ عليها بأنفس منها، فيكون ممن أتى بهدية لتربو في أموال الناس، وهي لا تربو عند الله، إنما المطلوب أن يكون ممن يريدون وجه الله، فعَنْ أبي هريرة: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تَهَادَوْا تَحَابُّوا**»[5].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، 4/ 1988: رقم الحديث 37.

(2) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ بَيَان أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، 1/ 74 : رقم الحديث 93.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، البر والصلة/ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ، 339/4: رقم الحديث 1956. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الجنائز/ الأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، 2/ 71: رقم الحديث 1240.

(5) الأدب المفرد، باب قبول الهدية، ص 208، رقم الحديث: 594. حسنه الألباني، يُنظر تعليقاته على الكتاب.

5- **الزيارة:** إن الزيارة بين المسلمين تزيد الألفة، وتزيل الحواجز، وقد كان الصحابة يكثرون التزاور فيما بينهم دون إثقال، وقد رغب النبي في الزيارة عندما بيّن عظيم الأجر للزائر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ، قال: " **أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ** "(1) .

هذه الرحمة والمحبة يجب أن تسود بين المجتمع المسلم بشكل عام، وبين أبطال التحرير بشكل خاص؛ لكي يقوى الصف المسلم، ويكون أشبه بالبنيان المرصوص، وهنا لطيفة تطرق لها ابن عاشور عن سبب تعليق رحماء مع الظرف (بين) المفيد للمكان الداخل: " تنبيه على انبثاث التراحم فيهم جميعا"(2).

ثالثاً: راكعون ساجدون خاشعون لله:

أما الصفة الثالثة لأبطال التحرير فهي الإكثار من الركوع والسجود، وفي هذا مجاز حيث أطلق الجزء، وأراد الكل، ونلاحظ أن الفعل (تراهم) مضارع؛ لأنه يفيد الاستمرار والتجديد؛ قال ابن عاشور: " وإيثار صيغة المضارع للدلالة على تكرر ذلك؛ أي: تراهم كلما شئت أن تراهم ركعا سجداً، وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها"(3).

ولكي تكون الصلاة صحيحة مقبولة عند الله تعالى؛ لابد أن تقف سداً منيعاً بينه وبين ارتكاب الفواحش والمنكرات؛ كما قال تعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: 45]؛ فإن اشتغاله بالصلاة يمنعه من الاشتغال بالمنكر، وقد قال ابن مسعود: "من لم يطع صلاته لم يزدد من الله إلا بعداً، وذلك أن طاعته لها إقامته إياها بحدودها، وفي طاعته لها مزدجر عن الفحشاء والمنكر"(4).

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، 4/ 1988: رقم الحديث 2567.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 205.

(3) المرجع السابق، ج26/ 205.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج20/ 42.

والخطاب في قوله: (تراهم) ليس موجهاً لشخص بعينه؛ بل لكل من إذا رآهم رآهم منشغلين في صلاتهم راكعين ساجدين، وفي هذا كناية عن كثرة ركوعهم وسجودهم.

إن هذه الصلاة تترك أثراً وعلامة واضحة، وقد اخُتلف في تفسير هذه العلامات فقيل:

1- صفرةُ الوجهِ من خشية الله تعالى.

2- نَدى الطَّهورِ وترابُ الأرضِ.

3-استنارةُ وجوهِهم من طولِ ما صلَّوا بالليلِ، وَقِيلَ لِلْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَا بَالُ الْمُتَهَجِّدِينَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وُجُوهًا؟ قَالَ: لِأَنَّهُمْ خَلَوْا بِالرَّحْمَنِ فَأَلْبَسَهُمْ مِنْ نُورِهِ نُورًا"[1].

4- ثفنات[2] في الجبين تشبه ثفنات البعيرِ، وكان الإمامُ زينُ العابدينَ وعليٌّ بن عبد الله بن العباس رضي عنهُمَا يقالُ لهما ذُوا الثفنات[3].

5- علامات الصلاة تبدو في وجوههم يوم القيامة، عن ابن عباس قال: "صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة"[4].

6- الاطمئنان والراحة النفسية

نخلص من كلام المفسرين أن هناك ثلاثة آثار للسجود لا تتعداها إما أن تكون:

1- آثاراً محسوسة في الدنيا.

2- آثاراً نفسية في الدنيا.

3- آثاراً تظهر في وجوههم يوم القيامة.

وحيث إن الآثار المحسوسة قد تكون حتى في غير المصلين، أوفي بعض المرضى، أو في ذوي البشرات الملونة، فإن الأولى أن يصار إلى القول الثاني والثالث.

---

(1) مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، المَرْوَزِي، ص 58.

(2) ثَفِناتِ البعير، وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغَلُظ، كالركبتين وغيرهما. انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، ج5/ 2088.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 114.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج22/ 262.

وقد بيّنت الآية الكريمة أن المؤمنين يطلبون من هذا الركوع والسجود رضى الله ورضوانه، ويحتسبون عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة، والرضا أكبر من الجنة[1].

المطلب الثاني: الآثار التربوية المترتبة على غرس صفات أبطال الفتح والتحرير في نفوس المؤمنين

إن لغرس صفات أبطال التحرير في النفوس آثاراً عديدة منها:

1- النصر على الأعداء: إن النصر على الأعداء والظفر بهم من أهم ثمار غرس صفات أبطال التحرير في النفوس، فما أعظم هذه الثمرة، وما أحوجنا إليها اليوم! ونحن نعيش في مرحلة من الهزيمة والذل، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا النصر والظفر وعد مَن لا يخلف الميعاد؛ في حال اتصف المؤمنون بصفات المنتصرين، قال تعالى: ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: 47]، قال الشوكاني: "هذا إخبار من الله سبحانه بأن نصره لعباده المؤمنين حق عليه، وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد، وفيه تشريف للمؤمنين، ومزيد تكرمة لعباده الصالحين"[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾ [غافر: 51]، فهذه بشارة لأهل الإيمان بالنصر على الأعداء. قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: 7].

2- التمكين والاستخلاف في الأرض: قال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾ [النور: 55]، هذا الوعد عام يعم جميع الأمة بشرط الإيمان والعمل الصالح بالاستخلاف لهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من الأمم[3]، "فالاستقامة والتقوى تؤديان إلى التمكين في الأرض"[4].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 205، والتفسير المنير، الزحيلي، ج26/ 205.

(2) فتح القدير، الشوكاني، ج4/ 265.

(3) انظر فتح القدير، الشوكاني، ج4/ 55.

(4) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الراغب، ص 281.

من المعلوم أن هناك أسباباً للتمكين لا بد من تحققها، وغرسها في نفوس الجيل؛ لكي يكونوا أهلاً لذلك، وعلى رأس هذه الصفات غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب في النفوس، " العقيدة الإسلامية هي السبب في حصول التمكين في الأرض، وقيام دولة الإسلام"[1]، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: 105].

"المراد بالأرض أرض العدو، يورثها الله المؤمنين في الدنيا"[2]، بدليل قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [الأحزاب: 27]

3- **دفاع الله عنهم:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ [الحج: 38]، فالله – عز وجل- يدافع عن أهل الإيمان؛ بل يعلن الحرب على من يعادي أولياءه، فالله مولى المؤمنين، قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ** ﴾ [محمد: 11] ،عنْ أَبِي هُرَيْرَة –رضي الله عنه– ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: **مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**"[3].

4- **تماسك المجتمع:** إن غرس صفة الرحمة في نفوس الجيل؛ يرقق النفس البشرية، ويجعلها تشعر بحاجة الفقير واليتيم؛ فالمؤمن الذي تأصل الإيمان في قلبه رحيم تملأ قلبه الشفقة تجاه خلق الله، فهو مرهف الحس، فيشعر بغيره إذا تعرّض لنائبة من نوائب الدنيا وأهوالها، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» **وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**[4]، وعن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَر– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ،**

(1) التوحيد للناشئة والمبتدئين، آل عبد اللطيف، ص 32.

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج4/ 250.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الرقاق/ التَّوَاضُع، 8/ 105: رقم الحديث 6502.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الصلاة/ تَشْبِيك الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، 1/ 103: رقم الحديث 481.

وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

فكلما ازداد تمسك المؤمنين بأخلاق الإسلام، انتشرت المحبة والألفة في المجتمع، "إن للأخلاق الفاضلة التي حثّ الإسلام عليها أثراً عظيماً في قوة الرابطة الإيمانية بين أفرد المجتمع المسلم"[2]؛ فإذا تحققت قيم التراحم والتواد والتعاطف؛ أصبح المجتمع قوياً متماسكاً، يقوى على مجابهة الأعداء، ومنفذاً لأمر الله، حيث قال: ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ [آل عمران:103]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات:10]، بالوحدة تنهض الأمة وترتقي، قال الزحيلي: "بالوحدة تتوصل الدولة المسلمة إلى نهضة حيوية شاملة في جميع مرافق الحياة، وتصبح عزيزة الجانب، مرهوبة السلطان"[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، المظالم والغصب/ لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، 3/ 128: رقم الحديث 2442.

(2) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع، ج2/ 564.

(3) الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، ج8/ 6382.

المبحث الرابع

الحرص على زيادة الإيمان

إنّ الله تعالى خلق الإنسان لغاية عظمى، أوضحها في كتابه الكريم، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]. فخَلق الإنسان ليس لعباً ولا سدى، قال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، وقد كلف الله الإنسان بتكاليف أعظمها الإيمان، فهو حق الله عز وجل على عباده، مَن حققه كان له الفوز والفلاح والنجاح، وكان له التمكين في الأرض، ومن أخلّ به كان له الخسران المبين، ولا فرق في ذلك بين الأمم أو الأشخاص، فالكل مطالب بتحقيق الإيمان، فإن حققته الأمة كتب الله لها النصر والعزة التمكين في الأرض، وإن أخلت به كتب الله عليها الذلة والصغار.

إن قضية الإيمان قضية مصيرية، ينبغي للإنسان أن يهتم بها؛ لأنه ينتج عنها السعادة الأبدية في جنة عرضها السماوات والأرض، وهذه النعمة التي نحمد الله عليها لها ثمار يانعة، وفوائد عظيمة وجليلة يشاهدها كل من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبياً ورسولاً، فثمار الإيمان أكثر من أن تحصى.

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهاك بيانها:

المطلب الأول: الإيمان: تعريفه وأركانه:

وفيه فرعان، الأول لمعنى الإيمان، والثاني لأركانه.

1- معنى الإيمان لغة واصطلاحاً:

أ- الإيمان لغة:

"التّصديق نفسه"[1]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: 17]، أي: بمُصَدِّق، ذلك أن إخوة يوسف قد زعموا أنّ الذئب قد أكله، وأضافوا أنّ أباهم غير مصدق لهم.

(1) العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج8/ 389، ومجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق: زهير سلطان، ص 102، والمخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل جفال، ج4/ 54.

قال الأزهري[1]: " اتفقَ أهل العلم من اللُّغويين وَغيرهم أَن (الْإِيمَان) معنَاه: التَّصديق"[2].

وبعد البحث تبيّن أن كلامه غير دقيق، وأن أهل العلم من اللغة لم يُجمعوا على هذا التعريف؛ بل هناك تعريفات أخرى للإيمان، قيل: " الثِّقَةُ، وإِظْهارُ الخُضوعِ، وقَبولُ الشَّريعَةِ"[3].

وقيل: "الإقرار"[4] وقيل: "أصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف"[5].

وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الإيمان اللغوي أنه بمعنى الإقرار؛ لأنه رأى لفظة أقرّ أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الإيمان؛ لأن" أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد"[6].

ب-**الإيمان اصطلاحاً**: "إِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ"[7].

يتضح من التعريف أن الإيمان يشمل القول باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح؛ أي: لا بد من أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، كل هذا من الإيمان، وبهذا التعريف يشمل الدين كله[8].

2- أركان الإيمان: سُئل النبي عَنِ الْإِيمَانِ، فقَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[9].

3-

---

(1) مُحَمَّد بن أَحْمد الْأَزْهَرِي الْهَرَوِيّ، ولد سنة 282هـ، إِمَام كَبِير فِي علم اللُّغَة، وَكتابه الموسوم ب: " تَهْذِيب اللُّغَة " يدل على جلالة قدره، وَهُوَ خير عُمْدَة فِي هَذَا الْفَنّ، وَله كتاب " التَّقْرِيب " فِي التَّفْسِير، شافعي المذهب، توفّي سنة 370هـ. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، ج1/ 83-84.

(2) تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج15/ 368.

(3) القاموس المحيط، الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص: 1176.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ج2/ 4.

(5) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ص 90.

(6) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيميه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص 519.

(7) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، تحقيق: أحمد الغامدي، ج1/ 203.

(8) انظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح الفوزان، ص 198.

(9) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، 1/ 37: رقم الحديث 8.

إنّ معتقد أهل السنة والجماعة في أصول الإيمان يقوم على هذه الأركان الستة؛ "فَلَا يتمُّ إيمانُ أحدٍ إِلَّا إِذَا آمَنَ بها جَمِيعًا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ الَّذِي دلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فمَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْهَا، أَوْ آمَنَ بِهِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ؛ فَقَدْ كفر"[1]؛ لقَوْلِهِ ﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء:136] فالإيمان لا يقوم إلا على أركانه تامة، كما لا يقوم البنيان إلا على أركانه مكتملة.

هَذِهِ الأركان الستة هي: "الْأُصُولُ الَّتِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَتْبَاعُ الرُّسُلِ"[2].

وقال ابن القيم: "إن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل: والقول قسمان: قول القلب، وهو: الاعتقاد، وقول اللسان، وهو: التكلم بكلمة الإسلام، والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح"[3].

إن الإيمان له أركان وله شعب، أما أركان الايمان فقد بيّنها النبي ﷺ في حديثه السابق، وأما شعب الإيمان فقد بيّنها النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو هريرة–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ– أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ– شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[4].

يعدّ هذا الحديث دليلاً على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح؛ لقوله ﷺ: «أعلاها لا إله إلا الله»، هذا يدل على القول، وقوله ﷺ: «أدناها إماطة الأذى عن الطريق»، هذا يدل على العمل، وقوله ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»، الحياء إنما يكون في القلب.

وقد أفرد الإمام البيهقي كتاباً كبيراً أوضح فيه شعب الإيمان، وقد اختصره أبو القاسم الكرخي (المتوفى699هـ).

---

(1) شرح العقيدة الواسطية، الهراس، ص 61–62.

(2) شرح العقيدة الطحاوية، الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص 276.

(3) الصلاة وأحكام تاركها، ابن قيم الجوزية، ص 56.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ شعب الإيمان، 1/ 63: رقم الحديث 35.

المطلب الثاني: أسباب زيادة الايمان:

إنَّ للإيمان إقبال وإدبار، ومدّ وجزر، وهذا معتقد أهل السنة، أن الايمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[الفتح: 4]، وقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: 2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [محمد: 17].

وروى أَبو أُمَامَة–رضي الله عنه–، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»[1].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحثّ بعضهم بعضاً على الجلوس للفكر والذكر؛ لكي يزداد عندهم الإيمان، ومن ذلك قول : مُعَاذ بْن جَبَلٍ: «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»[2]، وكَانَ عُمَرُ رُبَّمَا يَأْخُذُ بِيَدِ الرَّجُلِ وَالرِّجْلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: "**قُمْ بِنَا نَزْدَد إِيمَانًا**"[3].

من أهم أسباب زيادة الإيمان ما جاء في البنود السبعة التالية:

أولاً: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته:

إن العبد كلما ازداد معرفة بالله، وبأسمائه، وصفاته؛ ازداد إيماناً، ولهذا تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته ما لا يعلمه غيرهم تجدهم غالباً أقوى إيماناً من الآخرين، وممَّا يدلُّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28] "والخشية أثرٌ لقوة الإيمان في قلوبهم، وإلاَّ فالعلم الذي لا يُورِث هذه الخشية علم مدخُول"[4].

قال السعدي: إن " أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، معرفة الأسماء الحسنى؛ فهي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها"[5].

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، الإيمان/ الدَّلِيل عَلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، 220/4: رقم الحديث 4681. إسناده حسن: ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، 728/1.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ قَوْل النَّبِيِّ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»، 11/1.

(3) مصنف ابن أبي شيبة، ابن ابي شيبة، 6/ 164: رقم الحديث 30336 والحديث إسناده صحيح.

(4) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/ 33.

(5) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص 72.

ثانياً: ذكر الله تعالى والحرص على حضور مجالس العلم والذكر:

كلما ازداد العبد من ذكر الله تعالى ازداد إيمانه، فالإكثار من ذكر الله كل وقت، من أسباب دواعي الإيمان، ويدلُّ على ذلك قول الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال: 2]، "إن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها، وينميها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر، فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومحبة الله هي الإيمان، بل هي روحه"(1).

فبذكْر الله تعالى تحيا القلوب، وتموت بالبعد عنه، فعن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(2).

كما أنّ الحرص على حضور مجالس العلم والذكر يرفع منسوب الإيمان عند المؤمن؛ بدليل حديث حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا(3) الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ(4)، فَنَسِينَا كَثِيرًا، وعندما ذهبنا وسألنا رَسُول اللهِ ﷺ، قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ، وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**(5).

يوضّح الحديث السابق أثر حضور مجالس العلم على زيادة الإيمان؛ لأن العبد في مجالس الذكر يسمع ما يحثُّه على فعل الطاعات.

---

(1) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص 78.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الدعوات/ فَضْل ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، 8/ 86: رقم الحديث 6407.

(3) عَافَسْنَا: خَالَطْنَاهُمْ وَلَاعَبْنَاهُمْ وَعَالَجْنَا أُمُورَهُمْ وَاشْتَغَلْنَا بِمَصَالِحِهِمْ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، ج4/ 1550.

(4) الضَّيْعَات: كل ما يكون منه معاش الرجل من مال وصَنْعَةٍ. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قرقول، ج4/ 359.

(5) صحيح مسلم، مسلم، التوبة/ فَضْل دَوَام الذِّكْر، 4/ 2106: رقم الحديث 2750.

ثالثاً: التأمُّل في آيات الله الكونية ومخلوقاته:

إنّ العبد كلما تفكَّر في آيات الله في هذا الكون؛ امتلأ قلبه بتعظيم الله، فازداد إيمانه، ولأهمية التفكر في آياته أمر الله تعالى به في أكثر من موضع من كتابه العزيز، منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190] .

قال ابن القيم: دَعَا الله عباده إلى التفكر فِي أنفسهم، وَالِاسْتِدْلَال بهَا على فاطرها وباريها، وَالْعبْرَة الحَاصِلَة وَالْمَنْفَعَة العَظِيمَة من التفكر؛ تزِيد الْمُؤمن إيماناً[1].

والتأمل في مخلوقات الله المتنوعة العجيبة، من إنسان وحيوان ونبات، وسماء وأرض، وشمس وقمر، وكواكب ونجوم، وليل ونهار، وجبال وأشجار، وبحار وأنهار، وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى، لمن أعظم دواعي الإيمان، وأنفع أسباب تقويته[2].

وقد حرص الصحابة على هذه العبادة؛ فعن عامر بن عبد قيس قال: "سمعت غير واحد، ولا اثنين، ولا ثلاثة من أصحاب محمد يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر "[3].

لهذا كله كان التفكر من أفضل أعمال الْقلب، وأنفعها لَهُ، فالتفكر هُوَ الَّذِي ينْقل من الغفلة إلى الْيَقَظَة، وبه يزداد إيمان العبد.

رابعاً: قراءة القرآن وتدبره:

إذا تدبَّر العبد آيات الله تعالى، وما فيها من وعد ووعيد، وجنة ونار، والأعمال التي تسوق إليهما؛ زاد إيمانه ويقينه بوعد ربه ووعيده، ويدلُّ على ذلك قول الله تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: 2]، ففي تدبُّره أعظم النفع لزيادة الإيمان، وأمَّا القلوب الغافلة التي ليس فيها إيمان فلا تتدبَّره؛ ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

---

(1) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ج1/ 271.

(2) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، البدر، ص 206.

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج2/ 409.

قال ابن القيم – رحمه الله –: " قراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى الى حُصُول الإيمان، وذوق حلاوة الْقُرْآن "[1].

والمتدبر للقرآن لا يزال يستفيد من علومه ومعارفه، ما يزداد به إيماناً، وكذلك إذا نظر إلى انتظامه وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف، تيقن أنه ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: 42] وأنه لو كان من عند غير الله، لوجد فيه – من التناقض والاختلاف – الكثير، كما قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [سورة النساء: 82] ، وهذا من أعظم مقويات الإيمان[2].

خامساً: تقديم ما يحبُّه الله ورسوله على ما سواهما:

إنّ تقديم ما يحبُّه الله ورسوله على ما سواهما تكون نتيجته تذوق طعم الإيمان، ويدلُّ على ذلك حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**"[3].

قال ابن حجر معقباً على الحديث: " إنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا ما يحب"[4].

ولا تتحصل محبة الله تعالى إلا باتباع النبي ﷺ ، وتقديم ما يحبُّه الله ورسوله على ما سواهما، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: 31].

---

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ج1/ 187.

(2) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص 72.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ حَلاَوَة الإِيمَان، 1/ 12: رقم الحديث 16.

(4) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج1/ 61 .

سادساً: القيام بالأعمال الصالحة:

إنّ اجتهاد المسلم في القيام بالأعمال الخالصة لوجه الله تعالى، والمداومة عليها، من أعظم أسباب قوة الإيمان وزيادته؛ لأن الإيمان يزيد بزيادة الطاعات وكثرة العبادات، وقد وصف الله المؤمنين في بداية سورة (المؤمنون) بصفات كثيرة؛ إن قاموا بها أفلحوا، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: 1 – 9] "فهذه الصفات الثماني، كل واحدة منها تثمر الإيمان وتنميه، كما أنها من صفات الإيمان، وداخلة في تفسيره"[1].

فعلى سبيل المثال عندما يجاهد المسلم نفسه لأداء الصلاة على وقتها يحافظ على خشوعها وركوعها وسجودها؛ فهذا يعمل على زيادة الإيمان، وقد سمّى الله الصلاة إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: 143]، فالصلاة أكبر حاجز عن ارتكاب الفحشاء والمنكر، وكل ما ينافى الإيمان، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45]، وهكذا كل أعمال الجوارح الواردة في الآيات من زكاة، وإعراض عن اللغو، وكذلك حفظ الفرج عن الفواحش (العفة)، فهذا من علامات خوفه من ربه، وبذلك يتحقق قول الله فيه: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ [النازعات:40] وكذلك رعاية الأمانات والعهود وحفظها وغيرها من أعمال الخير.

قال ابن عثيمين: "ولزيادة الإيمان أسباب منها ... فعل الطاعة؛ فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل، وجنسه، وكثرته، فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم.."[2].

سابعاً: سؤال الله زيادة الإيمان وتجديده:

شبه رسول الله ﷺ الإيمان بالثوب الذي يبلى، ويحتاج الى تجديد؛ فإذا شعر المؤمن بذلك سأل الله أن يجدد له إيمانه، ويدل على ذلك حديث عبد اللهِ بن عمرٍو، قال: قال رسولُ اللهِ

---

(1) زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستثناء فيه، البدر، ص 224.

(2) انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، ابن عثيمين، ص 122.

□: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلَقُ؛ فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**»[1]، وقد كان الصحابة يدعون الله زيادة الإيمان، فهذا عبدالله بْن مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا، وَيَقِينًا، وَفِقْهًا**»[2] .

ما تقدم من أهمِّ أسباب زيادة الإيمان، وهناك أسباب أخرى: كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزيارة القبور، ومعرفة النبي □، والقراءة في سِيَر السلف، والاهتمام بأعمال القلوب؛ كالخوف والرجاء، والمحبَّة والتوكُّل، وغيرها، والدعوة إلى الله – تعالى – والزهد في الدنيا، والتقلل من المباحات والفضول في الطعام والكلام والنظر، وتنويع العبادة، ومصاحبة الأخيار، ومعرفة محاسن الدين، وتذكُّر منازل الآخرة، ومناجاة الله – تعالى – والانكسار بين يديه، وتعظيم حرماته، والولاء والبراء، وغيرها كثير.

المطلب الثالث : الآثار التربوية لزيادة الإيمان:

إن للإيمان في حياة المسلم آثاراً تربوية كثيرة، منها هذه العشرة:

أولاً: الحياة الطيبة: إن لزيادة الإيمان آثاراً وثمرات عاجلة وآجلة، ومن الآثار العاجلة التي تعود على صاحبها بالخير، الحياة الطيبة في الدنيا، والشعور بانشراح الصدر، وسعة العيش، والقناعة بما رزقه، يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:97].

قال ابن كثير: " هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً، (وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه) من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"[3].

وفي الآية شرط وجواب فشرط الحياة الطيبة لكل ذكر وأنثى الإيمان والعمل الصالح.

---

(1) المعجم الكبير، الطبراني، 14/ 69 : رقم الحديث 14668. إسناده حسن: ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، 52/1ح158.

(2) السنة، الخلال، 4/ 39: رقم الحديث 1120. إسناده صحيح: ينظر: تحقيق عطية الزهراني للكتاب.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج4/ 601.

ثانياً: التمكين والأمن في الأرض: حيث وعد الله المؤمنين المستقيمين على دينه بالاستخلاف في الأرض، والعيش بالأمن بعد الخوف، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾ [النور: 55].

إنّ الإيمان سبب للأمن "بمجموع ما كان في الدنيا مع الأمن في الآخرة"(1)؛ كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام:82].

ثالثاً: الثبات: إنّ حياة الإنسان مليئة بالفتن والمحن، والإيمان هو مصدر الثبات أمامها، كما قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم:27].

وقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:22].

رابعاً: زيادة إيمان العبد تدفعه للزيادة من أعمال الخير؛ طمعاً في رضا الله، ورغبةً في دخول الجنة، وكذلك ستكون هذه الزيادة حاجزاً بينه وبين ارتكاب المعاصي والمنكرات؛ خوفاً من عقاب الله عز وجل، وبذلك ينطبق عليه حديث الرسول ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**»(2)؛ فإذا وصل إلى هذه المرحلة زادهم الله هداية ووفقهم، كما قال تعالى: ﴿**ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾ [مريم:76].

خامساً: ولاية الله الخاصة: إنّ من أعظم ثمرات الإيمان الاغتباط بولاية الله سبحانه وتعالى، التي تعد من أعظم ما تنافس فيه المتنافسون، وأجلّ ما حصّله الموفقون هو ولاية الله لهم، فهذا يشعرهم بالغبطة، والسعادة، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [يونس: 62]، وقال الله سبحانه: ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [سورة البقرة: 257]؛أي: يخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات

---

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج6/ 3763.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله/ باب... 4/ 633: رقم الحديث 2450. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر [1].

إن الله تعالى هو النصير والمعين لأهل الإيمان يتولاهم بعونه، ولا يكلهم إلى غيره، سبحانه قال الطبري: أي: " نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه"[2].

فإذا وصل العبد هذه المرتبة المتقدمة؛ فإنه يصبح في معية الله، ويوفقه لعمل الخير، ويدافع الله عنه، وينجيه من جميع الشدائد والكربات.

سادساً: القبول في الأرض: إن الله إذا أحب عبداً قذف محبته في قلوب العباد؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾ [سورة مريم: 96]، ومن أحبه الله، وأحبه المؤمنون من عباده؛ حصلت له السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " **إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ** " [3].

المقصود بقوله (القبول في الأرض) المحبة في قلوب من يعرفه من المؤمنين ويبقى له ذكر صالح، وثناء حسن.

سابعاً: الشكر في السراء، والصبر في الضراء: إنّ زيادة الإيمان تحمل صاحبه على الشكر في السراء، والصبر على الضراء؛ لأنه يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وفي الحالتين كلتيهما خير للمؤمن؛ فعَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[4].

ثامناً: السكينة: إن سعادة البشرية في الدنيا والآخرة، باتباع أوامر الله، والسير على نهج النبي ﷺ، إذ لا سكينة إلا بالإيمان، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأصل السكينة هي الطمأنينة

---

(1) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص 85.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج5/ 424.

(3) صحيح البخاري، البخاري، بدء الخلق/ ذِكْر المَلاَئِكَةِ، 4/ 111: رقم الحديث 3209.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرقائق/ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، 4/ 2295: رقم الحديث2999.

والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات"[1].

إن السكينة تجعل المسلم يستشعر باللذة أثناء القيام بالطاعات والفرائض، واجتناب المعاصي والآثام، وتجد في قلبه سعادة لا توصف، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها؛ فالإيمان بالله تعالى والقرب منه؛ يسبل على قلب المؤمن السكينة، ويحيي في قلبه اللهفة والشوق إلى لقاء الله تعالى، والنظر إلى وجهه الكريم، فتراه يقبل على النوافل لما يشعر باللذة في أدائها، قال إبراهيم بن أدهم " والله إنا لفي لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف"[2]، "وأعز ما نزل من السماء وهو السكينة المنزلة في قلوب المؤمنين لمزيد الإيمان"[3].

تاسعاً: حسن الخلق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[4]؛ فالإيمان إذن يستلزم وجود الصفات الحسنة والأخلاق الكريمة في نفس المؤمن.

عاشراً: استشعار المؤمن عظمة الخالق سبحانه وتعالى: إن زيادة الإيمان تملأ قلب المؤمن تعظيماً لله، وخشية منه؛ مما يدفعه إلى التقرب الى الله بالطاعات، واجتناب الوقوع في المعاصي؛ خوفاً من عقابه، ورجاء ثوابه؛ وهو بذللك يصل مرتبة الإحسان، وهي: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[5].

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، تحقيق: البغدادي، ج2/ 471.

(2) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني، ج9/ 100.

(3) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، ج2/ 147.

(4) صحيح البخاري، البخاري، البخاري، الأدب/ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، 8/ 11: رقم الحديث 6018.

(5) صحيح البخاري، البخاري، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، 1/ 19: رقم الحديث 50.

المبحث الخامس
لزوم الإيمان بصدق رؤيا النبي

إنّ موضوع الرؤى موضوع مهم، وتتضح أهميته من جوانب متعددة منها:

اهتمام القرآن الكريم بالرؤيا الصالحة، وخاصة رؤى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذلك اهتمام السنة النبوية بالرؤى، فلا تجد كتابًا من كتب الحديث إلا ويفرد مؤلفه بابًا أو كتابًا للرؤى والتعبير، كما في الصحيحين، فقد أفرد الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه بابًا بعنوان الرؤيا من الله، وكذلك الأمر في السنن، والمسانيد، والجوامع، والمصنفات، والمستخرجات، والمستدركات، وغيرها، وكذلك تكتسب الرؤيا أهميتها من حيث كونها من مبشرات النبوة، وجزءًا من أجزائها، وكون رؤيا الأنبياء مبدأ الوحي، فعنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: **أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**"[1]، وتناولت في هذا المبحث، تعريف الرؤيا لغة واصطلاحاً، وأنواعها، ورؤيا الأنبياء في المنام وحي، والآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا الأنبياء.

المطلب الأول: تعريف الرؤيا لغة واصطلاحاً، وأنواعها، والفرق بينها وبين الرؤيا الحلم:

أولا: تعريف الرؤيا لغة واصطلاحاً:

الرؤيا لغة:

الرُّؤْيا: ما رأيته في منامك، وهي الرُّؤى، ورأيت عنك رؤى حسنة، أي: حلمتها، وأرْأى الرجل، إذا كثر رؤاه، وهي أحْلامه، جمع الرؤيا، ورأى في منامه رُؤيا، على فعلى بلا تنوين وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين»[2]، " وهو غَيْرُ مُنْصَرِفٍ لِألف التَّأْنِيثِ"[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، بدء الوحي/ كيف كان بَدْءِ الوَحْيِ إلى رسول الله، 1/ 7: رقم الحديث 3.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج14/ 297.

(3) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، ج1/ 247، ومختار الصحاح، الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد ص: 115.

الرؤيا اصطلاحا:

عرّف القاضي أبو بكر بن العربي الرؤيا بأنها: " إدراكات علّقها الله تعالى في قلب العبد، على يدي ملك، أو شيطان، إما بأسمائها، أي: حقيقتها، وإما بكناها، أي: بعباراتها، وإما تخليط"[(1)]. بعدما عرِفنا أن الرؤى في اللغة جمع رؤيا، وهي ما يراه الإنسان في منامه، "فإننا لا نجد فرقًا بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، وإنما اختلف الناس في بيان كيفية هذه الرؤى وحقيقتها"[(2)].

قال المازري[(3)]: " كثر كلام النّاس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غَير الإسلاميّين أقَاويل كثيرةً منكرةً، لمّا حَاولوا الوقوف على حقائق لا تعلم بالعَقل، ولا يقوم عليها برهان، وهم لا يصدّقون بالسمع؛ فاضطربت لذلك مقالاتهم"[(4)].

ج-أنواع الرؤيا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: " **إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**"[(5)].

قد بيّن نبينا في هذا الحديث الرؤيا بيانًا واضحًا، فقسمها إلى ثلاثة أقسام:

1-رؤيا حق من الله عز وجل، والله أعلم بكيفية ذلك.

2- رؤيا باطلة فهي أضغاث أحلام من تهويل الشيطان، وتحزينه، وتمثيله لابن آدم.

3- ما يحدّث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في منامه.

قد قسم العلماء الرؤيا بناء على حديث النبي ثلاثة أقسام ومنهم على سبيل المثال ابن القيم[(6)].

---

(1) ذكره في فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج12/ 352.

(2) الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، العتيبي، ص 44.

(3) أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد التميمي المازري الفقيه المالكي المحدث؛ أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث، والكلام عليه، وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه كتاب "المعلم بفوائد كتاب مسلم"، توفي سنة 536هـ . انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج4/ 285.

(4) المعلم بفوائد مسلم، المازري، تحقيق: النيفر، ج3/ 199-200.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الرؤيا، 4/ 1773: رقم الحديث 2263.

(6) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج1/ 75.

د–الفرق بين الرؤيا والحلم:

الرؤيا في اللغة هي ما يراه الإنسان في منامه، والحلم كذلك كما قال ابن منظور:

"الحُلْمُ والحُلُم: الرُّؤْيا، وَالْجَمْعُ أَحْلام. يُقَالُ: حَلَمَ يَحْلُمُ إِذا رأَى فِي المَنام"[1].

فالحُلم بهذا المعنى اللغوي، وهو ما يراه الإنسان في منامه من الخير والشر، فهو مرادف للرؤيا، فهل من فرق بين الرؤيا والحُلم؟

غلب في الاصطلاح الشرعي استعمال الرؤيا في الخير والشيء الحسن، وغلب استعمال الحلم على خلافه، قال ابن الأثير[2] رحمه الله: " الرُّؤيا والحُلم عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَكِنْ غَلَبَت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وغَلَب الحُلم عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ، ويُستعمل كلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْآخَرِ "[3].

ودل على هذا التفريق أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري –رحمه الله– من حديث أبي قتادة –رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ ، قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[4].

وقد كره أن يُسمى ما كان من الله وما كان من الشيطان باسم واحد، فالتي تضاف إلى الله لا يقال لها حلم، والتي تضاف للشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا[5].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج12/ 145.

(2) هو علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشّيباني الجزري، أبو الحسن، المعروف بابن الأثير، الإمام المؤرّخ الأديب، صاحب «الكامل»، و«أسد الغابة»، و«اللباب في تهذيب الأنساب»، وغيرها، ولد بجزيرة ابن عمر سنة خمس وخمسين وخمسمائة، رحل إلى الشام، والقدس، ثم عاد إلى الموصل توفي في الخامس والعشرين من شعبان من سنة ثلاثين وستمائة. انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي، ج1/ 52.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوى، محمود الطناحي، ج1/ 434.

(4) صحيح البخاري، البخاري، التَّعْبِيرِ / الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ ج9/ 30. رقم الحديث6984

(5) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج12/ 369، وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج10/ 118.

المطلب الثاني: رؤيا الأنبياء في المنام وحي .

قال الله: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الشورى: 51].

بَيَّن اللَّهُ تعالى في الآية الكريمة مقامات وحيه إلى أنبيائه وهي ثلاثة:

المقام الأول: الوحي أو الإلهام: قال الطبري: " وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً، يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهاماً وإما غيره"[1].

والإلهام هو الإلقاء في روع الموحَى إليه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **إِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي**"[2].

ومن الإلهام: رؤيا الأنبياء "ليست من قبيل أضغاث الأحلام، فإذا كانت الرؤيا إدراك يقوم بجزء من القلب لا يحله النوم فإن الأنبياء لا يستولى النوم على قلوبهم، ولا على جزء منها"[3]، وهذا الذي دفع سيدنا إبراهيم –عليه السلام– إلى تنفيذ أمر الله بذبح ولده، بسبب رؤيا منامية، ولو لم يكن الأمر هكذا لما أقدم على ذلك، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الصافات: 102 – 105].

المقام الثاني: تكليم الله لرسله من وراء حجاب: قال الطبري: " يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه ﷺ"[4]، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ [الأعراف: 143]. وكذلك كما وقع لآدم عليه السلام، قال عز وجل: ﴿**قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**﴾ [البقرة: 33].

المقام الثالث: الوحي إلى الرسول بواسطة مَلَك الوحي جبريل عليه السلام، ونادرًا ما يوحى إليه بواسطة غيره من الملائكة .

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: شاكر، ج21/ 558.

(2) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، مَا ذُكِرَ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ فِي الزُّهْدِ، 7/ 79: رقم الحديث 34223.

(3) البحر المحيط في التفسير، ابن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج9/ 349.

(4) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: شاكر، ج21/ 558.

نماذج من رؤى الأنبياء في القرآن:

النموذج الأول: رؤيا سيدنا محمد ﷺ، قد وردت كلمة رؤيا في القرآن الكريم متعلقة بسيدنا محمد ﷺ مرتين، المرة الأولى، قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: 60]،هذه الرؤيا رؤيا عين، يدل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: «**هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ**»[1].

وهذه الرؤيا ليست مجال بحثنا، إنما مجال بحثنا الرؤيا المنامية، وهي التي وردت في سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ [الفتح: 27]، تتحدث الآية الكريمة عن رؤيا رسول الله محمد ﷺ بدخوله المسجد الحرام، قال الطبري: " لقد صدق الله رسوله محمداً ﷺ رؤياه التي أراها إياه أنه يدخل هو وأصحابه بيت الله الحرام آمنين، لا يخافون أهل الشرك، مقصراً بعضهم رأسه، ومحلقاً بعضهم"[2].

ونزلت هذه الآية لبيان فساد ما قاله المنافقون، بعد إنزال الله السكينة على رسوله ﷺ، وعلى المؤمنين، ووقوفهم عند ما أُمروا به من عدم الإقبال على القتال، وذلك قولهم ما دخلنا المسجد الحرام، ولا حلقنا، ولا قصرنا، وكان النبي ﷺ قد أخبرهم برؤياه، ولم يعيّن لهم وقتاً، فقطعوا بأن الدخول يكون عام الحديبية، فلما صالحوا ورجعوا، قال المنافقون استهزاءً: ما دخلنا ولا حلقنا، فنزلت الآية مؤكدة بالقسم، قال تعالى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا }؛ يعني والله ليقعن الدخول، وليظهرن الصدق فلتدخلن[3].

وقد كانت مجموعة غير قليلة من الصحابة رافضة لهذا الصلح، وكانت ترى فيه نوعاً من الذلة، والإهانة، وفرض الشروط المجحفة، ومن هؤلاء: سيدنا عمر، ويدل على ذلك الحوار الذي دار بين سيدنا عمر –رضي الله عنه– من جانب، وبين رسول الله ﷺ وأبي بكر من جانب

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار/ المِعْرَاج، 5/ 54: رقم الحديث 3888.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: شاكر، ج22/ 257.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 86.

آخر، فقد أخرج البخاري في صحيحه، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: أَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ، قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِ الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، – قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ –: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: **«قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**(1).

يبين الحديث الحالة النفسية التي وصل إليها الصحابة، من جراء توقيع الصلح، حيث أن رسول الله أمرهم ثلاث مرات، أن ينحروا، ويحلقوا، فلم يتحرك أحد، ولم تطمئن قلوبهم، وتهدأ ثورتهم حتى نزلت سورة الفتح؛ لتؤكد أن الصلح فتح من الله، وأن الرؤيا ستتحقق، ويدل على ذلك حديث الرسول مع عمر –رضي الله عنه– "فلما رجعوا من الحديبية، وأنزل الله على النبي سورة "الفتح"، دعا عمر بن الخطاب وقرأها عليه، وفيها قوله: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِيْنَ**﴾ [الفتح: 27] (2)، وقوله إن شاء الله قال الرازي: " الدخول لما لم يقع عام الحديبية، وكان المؤمنون يريدون الدخول ويأبون الصلح قال: لتدخلن؛ ولكن لا بجلادتكم ولا بإرادتكم، إنما تدخلون بمشيئة الله"(3)، وقال ابن كثير: " ليس هذا من الاستثناء في شيء"(4).

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، الشروط/ الشُّرُوط فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَة الشُّرُوطِ، 3/ 196: رقم الحديث 2731.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سلامة، ج8/ 455.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 87.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سلامة، ج7/ 356.

النموذج الثاني: رؤيا سيدنا إبراهيم، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[الصافات: 102].

فقد رأى سيدنا إبراهيم في المنام أنه يذبح ابنه، وظاهر اللفظ يدل أن رؤياه في المنام، ولكن معناه: إني قد أمرت بذبحك، بدليل ما قال في سياق الآية: يا أبت افعل ما تؤمر[1]، قال الماتريدي[2]: " قد عرف حرمة ذبح بني آدم وقتلهم، فقال له ولده: (افعل ما تؤمر) ولو لم يكن أمراً لم يقل: (افعل ما تؤمر)، ولا قال له إبراهيم: (إني أرى في المنام أني أذبحك)، وقد عرف حرمة ذبح بني آدم وقتلهم الذي لا يسع الإقدام عليه، والله أعلم"[3].

المطلب الثالث: الآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا النبي ﷺ:

إنّ للتصديق برؤيا الأنبياء آثاراً تربوية كثيرة منها:

1- زيادة إيمان المؤمن وطمأنينته: إن إيمان المسلم برؤيا الأنبياء، وأنها وحي من الله تعالى، يزيد من إيمانه، ويلقي الطمأنينة في قلبه، قال ابن عبد البر رحمه الله: " الرؤيا الصادقة من الله وأنها من النبوة وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه"[4]، قد وصف الله تعالى الرؤيا بالصدق؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي فآلت إلى معنى الخبر، وهذا تطمين لهم بأن ذلك سيكون لا محالة[5].

إن الأنبياء لا يقولون إلا الحق، والصدق، سواء صدر ذلك منهم يقظة أو منامًا، وذلك لعدم تمكن الشيطان منهم[6]، وهذه المسألة لا خلاف فيها: " لا خلاف في ترتب الأحكام

---

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 147، والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، تحقيق: الخالدي ج2/ 195.

(2) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، إمام الهدى، له كتاب "التوحيد" و"المقالات" و"بيان وهم المعتزلة" و"تأويلات القرآن"، مات بسمرقند سنة 333هـ. انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا، ص ص 249-250

(3) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج8/ 578.

(4) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: العلوي، والبكري، ج1/ 285.

(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج26/ 198.

(6) انظر الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، العتيبي، ص 184.

الشرعية على رؤى الأنبياء –عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام– ؛لأنها وحي من الله –عز وجل–، فالرؤى وسيلة من وسائل تلقي التكاليف الشرعية، والنواميس الإلهية؛ التي بها تنتظم أمور العباد مما يتعلق بالمعاش والمعاد، وهذا مختص بالأنبياء –عليهم أفضل الصلاة والسلام–"[1].

2- تثبيت المؤمن: عندما عقد النبي □ صلح الحديبية مع كفار مكة، ولم يدخل المسلمون مكة تزعزع الصف، وانقسم إلى فريقين: فريق المنافقين المستهزئين الذين قالوا: لا حلقنا ولا قصرنا، وفريق المؤمنين الثابتين الموقنين بصدق رؤيا النبي □، قال ابن زيد، في قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، قال: قال لهم النبي □: " إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلقين رءوسكم ومقصرين " فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك، فقالوا: أين رؤياه؟"[2].

إن في آخر الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تخطئ، وذلك لأن المؤمن في آخر الزمان ومع اشتداد المحن يكون في حاجة ماسة إلى تثبيت الله له، وخاصة مع قلة الأنصار وكثرة الأعداء، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ □ قَالَ: " **إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**"[3]

3- البشارة والنذارة: من الآثار المترتبة على الرؤيا الصادقة أنها تحمل البشارة أو النذارة، عندما أخبر النبي أصحابه بالرؤيا استبشروا، قال السمرقندي: قد حقق الله تعالى رؤيا رسول الله □ بالوفاء، والصدق، وذلك أن النبي □ رأى في المنام قبل الخروج إلى الحديبية، أنهم يدخلون المسجد الحرام. فأخبر الناس بذلك، فاستبشروا[4].

إن الرؤيا الصالحة هي الباقية من مبشرات النبوة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ □ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ**»[5].

---

(1) أصول بلا أصول، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ص 79.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج22/ 258.

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الرُّؤْيَا، 4/ 1773: رقم الحديث 2263.

(4) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 320.

(5) صحيح مسلم، مسلم، الصلاة/ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، 1/ 348: رقم الحديث 479.

وفائدة المبشرات أنها تدفع للمزيد من الطاعات، وفائدة المنذرات أنها تعمل على الردع عن فعل المعاصي؛ فهذا ابن عُمَرَ تمنى أن يرى رؤيا فيقصها على رسول الله ، وذات ليلة رأى رؤيا فقصها عَلَى حَفْصَة، فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «**إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ» فَقَالَ نَافِعٌ: «فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْثِرُ الصَّلاَةَ**»[1]، نرى كيف كان لرؤيا ابن عمر -رضي الله عنه- الفضل في المحافظة على قيام الليل.

(1) صحيح البخاري، البخاري، التعبير/ الأَمْن وَذَهَابِ الرَّوْعِ فِي المَنَامِ، 9/ 40: رقم الحديث 7028-7029.

المبحث السادس

تحقيق صلاح القلب لاستجلاب النصر

إن صلاح القلب بسلامته من الشبهات والشهوات، وعمرانه بالخير، يجعله في حصن حصين من دعاة الضلال وأسبابه، ولا يعمر القلب إلا بالإيمان؛ الذي يطهره من الأدران، التي هي مداخل للأفكار الإبليسية، والوساوس الشيطانية.

وفي هذا المبحث تحدثت عن أهمية القلب، وأنواعه، وأسباب صلاحه، والآثار التربوية المترتبة على صلاحه، في ثلاثة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول : أهمية القلب، وأنواعه:

1- أهمية القلوب:

إن الحياة الحقيقية هي حياة القلوب، ولا تكون حياة القلوب حياة سعيدة إلا بامتثال أمر الله عز وجل، واجتناب نهيه، والمسلم يسعى دائماً لتعهد قلبه؛ لأنه لا ينفع المرء يوم القيامة إلا القلب السليم.

إن القلب مصدر السعادة، ومكمن الشقاء للإنسان؛ فإن احتوى الجسد على قلب مطمئن، مؤمن بلقاء الله، وبجنته وناره؛ فصاحبه من السعداء، فالقلب بمثابة الملك للأعضاء، قال الكفوي: القلب هو " رَئِيس الْبدن الْمعول عَلَيْهِ فِي صَلَاحه وفساده"[1]، وقد بين النبي □ عظم شأن القلب، وأن الجوارح تابعة له، وأنه بصلاحه تصلح الأعضاء، وبفساده تفسد الأعضاء، فقال: "**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً**[2]**: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** ".[3] أي: "إِذا صلح الْقلب بالمعارف وَالْأَحْوَال صلح الْجَسَد كُله بِالطَّاعَةِ والإذعان، وَإِذا فسد بأضداد الْعرْفَان وَالْأَحْوَال فسد الْجَسَد كُله بالمخالفة والعصيان"[4].

---

(1) الكليات، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ص 703.

(2) المُضْغَةُ: القِطْعةُ مِنَ اللحمِ، قَدْرَ مَا يُمْضَغُ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج4/ 339.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ فَضْل مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، 1/ 20: رقم الحديث 52.

(4) الفوائد في اختصار المقاصد، العز بن عبد السلام، تحقيق: إياد خالد الطباع، ص 145.

وقال أيضاً: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ» وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ"، وفي رواية أخرى "وأعمالكم"**[1]، وهذه الكلمة مهمة جدًّا؛ لأن كثيرًا من الناس يتصورون أن قلوبهم سليمة دون أن تصدّق جوارحهم كلامهم، "والحقيقة أنه لا يمكن تصور صلاح القلوب إلا بصلاح الأعمال، ولا صلاح الأعمال إلا بصلاح القلوب"[2]، ومعنى نظر الله هنا، هو مجازاته ومحاسبته؛ أي: إنما يكون ذلك على ما في القلب، دون الصور الظاهرة.

ولأهمية القلب أصبح قاضياً على المفتين بالحكم؛ لأن البر يورث الطمأنينة في القلب، كما قال رسول الله: «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ، فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[3].

ولأهميته أيضاً نُسِبَ له في القرآن الكريم أشرفُ الأعمال، وخُصَّ بأمور لم تكن لغيره من الأعضاء، فخصَّ بوظيفة التعقُّل والتفقُّه، فقال سبحانه: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾ [الحج: 46]، وقال تعالى أيضاً عن أهل جهنم: ﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا** ﴾ [الأعراف: 179]، وقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على القلب كما في قوله: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾ [الشعراء: 193- 194].

و قد نسبَ الله تعالى إلى القلب الإيمان والهداية، فقال سبحانه: ﴿ **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [التغابن: 11].

2- أنواع القلوب:

تحدث الرسول عن القلوب، وأنواعها، ومدى تعلقها بالخير والشر، حيث قال: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَالِهِ، 4/ 1987: رقم الحديث2564.

(2) موسوعة الألباني في العقيدة، الألباني، ج4/ 30.

(3) جامع بيان العلم وفضله، النمري القرطبي، بَابُ جَامِعِ بَيَانِ مَا يَلْزَمُ النَّاظِرَ فِي اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ، 2/ 903: رقم الحديث.1692 والحديث إسناده حسن. يُنظر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر، ج338/18.

تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ، مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[1] كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا[2] لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[3].

وقد قسّم رسول الله القلوب في هذا الحديث إلى قسمين أساسين؛ قلوب بيضاء، وقلوب سوداء، وقد تحدث السلف الصالح عن أنواع القلوب فذكر بعضهم أنها أربعة وذكر آخرون أنها ثلاثة ولا تعارض بين تقسيمهم وتقسيم الرسول؛ إذ إن تقسيم الرسول هو تقسيم مجمل بذكره النوعين الأساسين، أما السلف فذكروا أنواع القلوب بالتفصيل.

قال الغزالي[4]: القلوب في الثَّبات على الخير والشر والتردُّد بينهما ثلاثة:

القلب الأول: قلْب عُمِر بالتقوى، وطهُر مِن خبائث الأخلاق، وهو القلْب السَّليم:

الذي سلِم صاحبه مِن الوقوع في الشبهات والشهوات، واستقام على أمْر الله، واقتدى بسُنة رسول الله ، فنَتج عن ذلك سلامة قلْبه في الدُّنيا مِن أمراض القلْب التي تعتريه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء: 88- 89]

قال الطبري في تأويل الآية: " هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات".[5]

القلب الثاني: القلب المخذول، المشحون بالهَوى، المدنَّس بالأخلاق المذمومة والخبائث، المفتوح فيه أبوابُ الشياطين، المسدود عنه أبوابُ الملائكة، وهو القلب الميِّت: الذي لا حياةَ فيه، فهو لا يعرِف ربَّه ومولاه، وخالقه ورازقه؛ لا يعبده ولا يأتمر بأمره، ولا ينتهي عن نهيه، ولا يحبُّ ما يحبُّه ويرضاه، ولا يُبغض ما يبغضه، بل هو واقع في شهواته ورغباته، كمن اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، بل إذا ذُكر الله وحده اشمأزت قلوبهم، وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون.

---

(1) مرباداً: الَّذِي فِي لَونه ربدة، وَهِي لون بَين السوَاد والغبرة كلون النعامة، وَلِهَذَا قيل للنعام ربد. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج1/ 396.

(2) كالكوز مجخيًا: يعني منكوسًا يصير أسفله أعلاه، وَالْمعْنَى: مائلا عَن الاسْتقَامَة منكوسا. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج1/ 396، والإفصاح عن معاني الصحاح، الشيباني، ج2/ 240.

(3) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان/ بَيَان أَنَّ الْإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، 1/ 128: رقم الحديث144.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 46-47.

(5) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج19/ 366.

القلب الثالث: قلْب تبْدو فيه خواطرُ الهوى، فتدعوه إلى الشرِّ، فيلحقه خاطر الإيمان فيَدْعوه إلى الخير، فهم كما قال الله سبحانه و تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: 135].

المطلب الثاني: الطريق العملي لصلاح القلب:

لعظيم أمر القلب ذكره الله تعالى في كتابه في أكثر من موضع، منها قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: 18].

فقد أوضحت الآية الكريمة أن سبب رضى الله عن المؤمنين؛ بيعتهم لرسول الله ﷺ تحت الشجرة، وكذلك علم الله بصفاء قلوبهم، ووفائهم ببيعتهم مع الله، قال كثير من المفسرين: " فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك؛ إذ يبايعونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يبايعونك عليه، والصبر معك"[(1)]، وأضاف سيد قطب: " علم ما في قلوبهم من حمية لدينهم لا لأنفسهم، وعلم ما في قلوبهم من الصدق في بيعتهم، وعلم ما في قلوبهم من كظم لانفعالاتهم تجاه الاستفزاز، وضبط لمشاعرهم؛ ليقفوا خلف كلمة رسول الله ﷺ طائعين مسلمين صابرين"[(2)]، وهذا يدل على أن عطاء الله وإكرامه مرتبط بما يعرفه الله ويطلع عليه من خبيئة القلوب، فإذا كانت صادقة مؤمنة استحقت الطمأنة والنصر والتأييد.

بعد هذه المقدمة التي أوضحت فيها أهمية إخلاص النية لله، وصفاء القلوب، والتسليم لأمر الله؛ والتي كانت سبباً لبشرى الفتح والتمكين، كان لزاماً أن أتحدث عن أسباب صلاح القلب؛ لأن الشريعة ما جاءت إلا لإحياء القلوب بالإيمان، وتطهيرها من آفاتها، وينبغي أن يُعلم أن الله عز وجل قد شرع لنا ما فيه صلاح القلوب، والأعمال، فما من خير يؤدي إلى صلاح القلب، وإصلاح عمله؛ إلا ودلنا عليه نبينا ﷺ، ومن أهم أسباب صلاح القلب :

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج22/ 227، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 110، وأوضح التفاسير، ابن الخطيب، ج1/ 630،

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج6/ 3326.

أولاً: الإيمان:

إن الإيمان بأركانه الستة هو السبب الرئيس لصلاح القلب؛ بل قل لحياة القلب، وقد وصف الله الكفار بالأموات، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الأنعام: 122]

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً، أي: في الضلالة، هالكاً حائراً، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان"[1]، وقد قال كثير من المفسرين أن المقصود بالحياة في الآية «هو الإيمان»[2].

وقد جعل الله الإيمان سبباً لهداية القلب، فقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [التغابن: 11].يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[3]، "وقُرِئت (**يَهْدَ قلبُه**) [4]، تَأويل هَدَأَ قَلْبُه يهدأ إذا سكن"[5].

إن التسليم لأمر الله وسكون القلب؛ سببه الإيمان؛ الذي هو العامل الأساس لحياة القلب وراحته، قال الرازي: " فإذا آمن عبد، وأراد الله ثباته؛ فحينئذ يشرح صدره؛ أي: يفعل به الألطاف التي تقتضي ثباته على الإيمان، ودوامه عليه"[6]، وهذا التسليم يجعل صاحبه مطمئن القلب، وتتساوى عنده السراء والضراء؛ لأنه يؤمن أن ما قُدّر له خير في جميع أحواله، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[7].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج3/ 330.

(2) تفسير مجاهد، مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام، ص 327، وتفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، ج2/ 785، ومعاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ج1/ 230، وتأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج1/ 596، ومفاتيح الغيب، الرازي، ج8/ 191.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج23/ 421.

(4) قراءة عكرمة ومالك بن دينار. انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ج10/ 349.

(5) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ج5/ 181.

(6) مفاتيح الغيب، الرازي، ج13/ 138.

(7) صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرقائق/ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ج4/ 2295: رقم الحديث 2999.

نخلص إلى أنه لا صلاح للقلب إلا بالإيمان، قال السعدي: إن " المؤمنين بالله، وبكماله، وعظمته، وكبريائه، ومجده، أعظم الناس يقيناً وطمأنينة وتوكلاً على الله، وثقة بوعده الصادق، ورجاء لرحمته، وخوفاً من عقابه، وأعظمهم إجلالاً لله ومراقبة، وأعظمهم إخلاصاً وصدقاً، وهذا هو صلاح القلوب، لا سبيل إليه إلا بالإيمان"[1].

ثانياً: تلاوة كتاب الله وتدبره:

إن تلاوة القرآن وتدبره من أعظم أسباب صلاح القلب، وشفائه من أمراض الشبهات والشهوات، لما في القرآن من البراهين الجلية والمواعظ البليغة، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: 57] .

قد وصف الله تعالى القرآن الكريم في هذه الآية بأربع صفات هي: " أولها: كونه موعظة من عند الله، وثانيها: كونه شفاء لما في الصدور، وثالثها: كونه هدى، ورابعها، كونه رحمة للمؤمنين".[2]

وقد سمّى الله تعالى القرآن روحًا في قوله : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى: 52] .

"وتأويل تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب"[3]، وقال السمرقندي في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الأنفال: 24] "لما يحييكم، يعني: القرآن الذي به حياة القلوب"[4] .

وقد حث رسولنا ﷺ على تلاوة القرآن، لما لهذه التلاوة من فضل؛ لتعلق القلوب وقربها من ربها، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – فَقُلْتُ:

---

(1) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، السعدي، ج1/ 49.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج17/ 268.

(3) التفسير البسيط، النيسابوري، تحقيق: 15رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ج13/ 463.

(4) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 15.

أَوْصِنِي، قَالَ: " أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهُ رَأسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرٌ[1] لكَ فِي الْأَرْضِ"[2].

ثالثاً: تدبر القرآن وفهمه:

إن القرآن لا ينتفع صاحبه به إن قرأه حروفاً دون تدبر وفهم، وقد عاب الله على الذين لا يتدبرونه، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، ولهذا لا يتحصل العبد أن يكون من أهل القرآن وخاصته إلا إذا عمل به، قال ابن القيم: " أهل القرآن هم العالمون به، والعاملون بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم"[3].

قوله: (إقامة السهم) أي: "أنهم يقرؤونه بألسنتهم، ويجودونه ويفخمون ألفاظه، ولكنه لا يصل إلى قلوبهم، ولا يتأثرون بزواجره ومواعظه، وإنما يخرج من الفم ولا يصل إلى الجوف، وهو معنى مجاوزة التراقي"[4].

وإنّ أفضل الأوقات لتدبر القرآن هو في الصلاة في الليل، لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل:6]، قال ابن كثير –رحمه الله –في تفسير هذه الآية: "والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة، ولهذا قال تعالى: {هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً} أي أجمع للخاطر في أداء القراءة، وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس، ولغط الأصوات، وأوقات المعاش"[5].

رابعاً: ذكر الله:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر:23] .

---

(1) (ذكر لك في الأرض) أي: شرفك بإجراء الله ألسنة العباد بالثناء عليك، ويحتمل أن المراد أنها راحة ملائكة السماء بفعلك. التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ج4/ 313.

(2) مسند أحمد، أحمد، 297/18: رقم الحديث 11774. إسناده حسن: ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة 94/2ح555.

(3) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج1/ 327.

(4) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، ابن جبرين، ص 108.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج8/ 252، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص 893.

إنّ نصيب المؤمن من حياة القلب، وطمأنينته، ومحبته لربه على قدر نصيبه من الذكر، فالمؤمن يداوم على ذكر الله عز وجل على كل حال؛ لأن الذكر للقلب بمنزلة الماء للسمك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله–: "الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟! إنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد؛ صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته"[1]، ولهذا كان رسول الله ﷺ لا يفتر لسانه عن ذكر الله، فقال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ**[2] **عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[3].

قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾[الرعد: 28]؛ أي: تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، وتطيب وتركن إلى جانبه، وتسكن عند ذكره؛ فتطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق، وتطمئن برحمته في الهداية، وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله[4].

إن المقصود بالذكر ما اجتمع فيه القلب واللسان، كما قال الإمام النووي رحمه الله: " المرادُ من الذكر حضورُ القلب"[5] فلا فائدة كبيرة تذكر من ذكر اللسان وحده، أما الذكر بحضور القلب؛ فإنه يبعث على خشية الله، ويردع الإنسان من ارتكاب المعاصي، ويدفعه إلى الإكثار من الطاعات.

خامساً: الدعاء:

إنّ الدعاء من الذكر، وله فضل كبير، وأثر عظيم، لكن كثيرًا من الناس يغفلون عن دور الدعاء في صلاح قلوبهم، فنجد الكثير من الناس يهرع إلى الله بالدعاء؛ فإذا تحقق له ما يريد؛ فإنه يقلع عن الدعاء، ونجد الكثير من الناس يهرع إلى الله تعالى بالدعاء إذا ألمت بهم مصيبة، أما إن شعر بفتور في قلبه فلا يحرك ساكناً، كما يقول ابن القيم: " الْعجب مِمَّن تعرض لَهُ حَاجَة، فَيصْرف رغبته وهمته فِيهَا إِلَى الله؛ ليقضيها لَهُ، وَلَا يتَصَدَّى للسؤال لحياة

---

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، ص 42.

(2) لَيُغَان: أي: يُغطي ويلبس على قلبي، وأصله من الغين وهو الغطاء وكل حائل بينك وبين شيء فهو غين ولذلك قيل للغيم غين. معالم السنن، الخطابي، ج1/ 295.

(3) صحيح مسلم، مسلم، الذكر والدعاء/ اسْتِحْبَاب الِاسْتِغْفَار وَالِاسْتِكْثَار مِنْهُ، 4/ 2075: رقم الحديث 2702.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج4/ 455، وفي ظلال القرآن، سيد قطب، ج4/ 2060.

(5) الأذكار، النووي، تحقيق: الأرنؤوط، ص 12.

قلبه من موت الْجَهْل والإعراض، وشفائه من دَاء الشَّهَوَات والشبهات، وَلَكِن إِذا مَاتَ الْقلب لم يشْعر بمعصيته"[1].

إن الدعاء سبب جامع لصلاح القلب، وفيه جماع الخير، فعَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: " **تَذَكَّرْتُ مَا جِمَاعُ الْخَيْرِ؛ فَإِذَا الْخَيْرُ كَثِيرٌ: الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ، وَإِذَا هُوَ فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى مَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ تَسْأَلَهُ فَيُعْطِيَكَ، فَإِذَا جِمَاعُ الْخَيْرِ الدُّعَاءُ**"[2].

سادساً: اجتناب المعاصي، ومفسدات القلب:

إن اجتناب المعاصي والآثام سبب هام لصلاح القلوب، فالقلوب تتأثر بالذنوب تأثراً كبيراً إلى أن يصبح (الران) عليها، قال تعالى: ﴿ **كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: 14].

قال الطبري: "غلب على قلوبهم وغمرها وأحاطت بها الذنوب فغطتها"[3]، وخطورة الاستمرار في الذنوب تكمن في فقدان القلب لبصيرته؛ فيصدأ حتى يُختم عليه، أو يصبح عليه غشاوة؛ فلا ينتفع بالذكر.

قال عبدالله بْنَ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيُورِثُهَا الذُّلَّ إِدْمَانُهَا[4]

إن الضرر الذي يلحق بالقلب من ارتكاب الذنوب أعظم خطراً من السم للجسد، وقد ذكر ابن القيم الآثار السيئة للمعاصي، أذكر منها: حرمان العلم النافع، ووحشة بين العبد وربه، وظلمة القلب ووهنه، وتقصير العمر ومحق بركته، والاستهانة بالمعصية، والذل، والصدأ والران والطبع والقفل والختم، وإطفاء الغيرة من القلب، وإذهاب حيائه وتعظيمه لله، إضعاف همة القلب وإرادته، وتثبيطه عن الطاعة، والخسف بالقلب كما يخسف بالمكان وما فيه، ومسخ القلب ونكده وقلقه وضنكه، هذا بعض الضرر الذي يصيب القلب من أثر المعصية[5].

---

(1) الفوائد، ابن القيم الجوزية، ص 112.

(2) الزهد، أحمد بن حنبل، أَخْبَارُ مُطَرِّفِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ص 195: رقم الحديث1344.

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج24/ 286.

(4) معجم ابن المقرئ، ابن المقرئ، تحقيق: عادل بن سعد، ص 364.

(5) انظر: الجواب الكافي، ابن قيم الجوزية، ص ص 52-62.

وهذه الستة التي ذكرتها من أهم أسباب صلاح القلوب، وهناك أسباب أخرى مثل: مجالسة الصالحين، وتقليل الأكل، وقيام الليل وإحياؤه بالعبادة، والصمت عما لا يعني، والابتعاد عن أهل الفسق والمعاصي، وأكل الحلال، والابتعاد عن أكل الحرام والمشتبه، واغتنام الأوقات بالنافع من الأقوال والأعمال، والإكثار من الصيام، والتتابع بين الحج والعمرة، والخلوة بالنفس ومحاسبتها، وبر الوالدين، وزيارة القبور فإنها تذكر الآخرة، والصدقة، وتفقد الفقراء والمساكين ومعرفة أحوالهم، زيارة المرضى وخاصة من يعانون سكرات الموت.

المطلب الثالث: الآثار التربوية المترتبة على صلاح القلب.

إن لتحقيق صلاح القلوب آثاراً عديدة، أذكر منها:

1- صلاح الفرد: من المعلوم أنه لا يصلح الفرد إلا إذا صلح قلبه، **قال رسول الله في الحديث الذي يرويه النُّعْمَان بْنَ بَشِيرٍ: " أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ** "[1].أي: لا صلاح للجوارح وأعمالها إلا إذا صلح القلب.

2- صلاح المجتمع: إن مما لا شك فيه أن صلاح المجتمع أساسه صلاح الأفراد "ما فيه نفع الآحاد باعتبار صدور الأفعال من آحادهم ليحصل بإصلاحهم صلاح المجتمع المركب منهم"[2]، وصلاح الأفراد أساسه صلاح القلوب، فبصلاح القلوب تعم المجتمع الأخلاق الفاضلة: " فإذا كانت الأعمال الصالحة وقوة الصلة بالله من أسباب زيادة الإيمان في قلب المؤمن ورسوخه، فإن الأخلاق الفاضلة والتعامل بها بين أفراد المؤمنين سبب لتلاحمهم وترابطهم على أساس العقيدة، فتكون الأخلاق الفاضلة سبباً في قوة عقيدة المجتمع ورسوخ إيمانه"[3]، ومن المعلوم أنّ ما نزل على رسول الله من الشرائع، فيه صلاح المجتمع في دنياه وآخرته، فمن استمسك بهذه الشرائع رشد، إذ لم يترك الإسلام خيراً إلا دلنا إليه، ولم يترك شراً إلا وحذرنا منه، فعلى سبيل المثال الصلاة فيها خير كبير، فهي عمود الدين،

(1) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ فَضْل مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، 1/ 20: رقم الحديث 52.

(2) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ج3/ 202.

(3) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبدالله الجربوع، ج2/ 562.

ويؤثر ذلك إيجاباً على المجتمع" إن صلاح المجتمع يبتدئ من بيوت العبادة، فالصلاة، طهارة القلوب، والمجتمع الصالح ما قام إلا على طهارة النفوس"(1)، وهكذا باقي العبادات.

3- **انتشار المحبة:** إن طهارة القلب من أمراضه تثمر زيادة المحبة بين المسلمين، حتى ينطبق عليهم قول رسول الله ﷺ: " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"(2).

إنّ صلاح قلب المسلم وسلامته يجعله ينبض بالحياة، ويشعر بآلام الناس وهمومهم، وهذا يتولد عنه المحبة والرحمة بين المسلمين.

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروعَ الأمثلة في سلامة القلوب وطهارتها، فكان لهم من هذه الصفة أوفر الحظ والنصيب؛ فلقد كانوا -رضي الله عنهم- صفًّا واحدًا، يعطف بعضهم على بعض، ويرحم ويحب بعضهم بعضًا، كما وصفهم الله جل وعلا بذلك؛ حيث قال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: 9].

4- **السعادة والطمأنينة:** إن من الآثار التربوية لصلاح القلوب السعادة والطمأنينة، وهذا النعيم المعجل للعبد في الدنيا، بل هو جنة الدنيا ولذة العيش، أن يرزق اللهُ العبد نعمة سلامة الصدر على كل مَن عاش معه، أو خالطه؛ بل على كل أحد، فقلبه أبيض؛ ولذا فحياته طيبة مطمئنة، يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه، وكذلك يكون سعيداً؛ لأن القلوب هي منبع المشاعر، ومصدر العواطف، ومحرك الأخلاق، وموجه التصرفات.

5- **رفعة شأن لصاحبه، وعلامة فضل وتشريف:** إن من آثار صلاح القلب علو مقام الفرد ورفعته في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: 13] والتقوى محلها القلب، أما في الدنيا فقد كانت سلامة الصدر لدى السلف الصالح ميزان التفاضل بينهم؛ فتسامت قلوبهم عن ذاتها، وتعالت عن حظوظها، وتغلبت على نزواتها

---

(1) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج10/ 5133.

(2) صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب/ تَرَاحُم الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفهمْ وَتَعَاضُدهِمْ، 4/1999: رقم الحديث2586.

وشهواتها؛ فعَنْ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «كَانَ أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُمْ يَعْنِي الْمَاضِينَ أَسْلَمَهُمْ صَدْرًا وَأَقَلَّهُمْ غِيبَةً»[1].

إن صاحب القلب السليم خير الناس وأفضلهم؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، **قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ**: «**هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ**»[2].

6- **إعطاء القدوة الصالحة**: إن صلاح القلوب وسلامتها من أهم ما ينبغي على كل مسلم أن يولِيَه اهتمامه وعنايته؛ وبالأخص المربي لكي ينجح في مهمته، فهل يرجو التوفيق من امتلأ قلبه حقداً على إخوانه المسلمين؟!

7- **النصر على العدو**: إن من آثار سلامة الصدر النصر على الأعداء، فعندما تتآلف القلوب وتتصافى؛ يعطي الصف المسلم قوة، وتماسكاً في مواجهة عدوه، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ** ﴾ [الأنفال: 62- 63]؛ فائتلاف قلوب المؤمنين من أسباب النصر التي أيد الله بها رسولَه ﷺ ولهذا قد امتن الله على رسوله بالتأليف بين قلوب المؤمنين، فجعلهم متحابين على قلب رجل واحد، وذلك أعون له على سياستهم، وأرجى لاجتناء النفع بهم[3].

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، حديث أبي قلابة، 7/ 186: رقم الحديث 35185.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّقْوَى، 2/ 1409: رقم الحديث 4216. والحديث إسناده صحيح، ينظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أبو العباس الشافعي، 240/4.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/ 63.

الفصل الثاني

القيم التربوية المستنبطة من سورة الفتح

المبحث الأول

الوفاء بالبيعة

إن البيعة من الأمور الهامة المقررة فِي الكتاب والسُّنَّة، وبها تنتظم مصالح العباد والبلاد، وهِيَ مِنْ أعظم أسباب السعادة، وقد بايع الرسول الصحابة رجالاً ونساءً بيعات مختلفة، كبيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، وبيعة الرضوان، ثم توالت بيعات الأفراد، والجماعات، والقبائل المعتنقة للإسلام.

وقد ورد لفظ البيعة مرتين في سورة الفتح:

1- قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [الفتح: 10]

2- وقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: 18]

وقد حذر رسولنا من تجاهل الأمر تحذيراً شديداً؛ فعن عَبْد اللهِ بن عُمَر –رضي الله عنه– قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: « **مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[1]؛ أي: لا يسوغ عند شغور منصب الخليفة أن يظل المسلمون أكثر من ثلاثة أيام، وهي المدة القصوى الشورى في اختيار إمام جديد فلا تنقضي إلا وفي أعناقهم بيعة لإمام يرجعون إليه[2].

وقد تناولت في هذا المبحث تعريف البيعة، ومشروعيتها، والأمور التي بايع الرسول أصحابه عليها، والآثار التربوية للبيعة، وذلك في ثلاثة مطالب كما يلي:

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ وجوب ملازمة جماعة المسلمين، 3/ 1478: رقم الحديث 1851.

(2) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، الشيبانيّ، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ج4/ 262.

المطلب الأول: تعريف البيعة ومشروعيتها.

أولاً: تعريف البيعة:

البيعة لغة: يقال: بِعتُ الشيءَ بمعنى اشتريته، وبِعتُه فابْتاعَ؛ أي: اشتَرَى، والبَيْعة: الصَّفْقة على إيجابِ البَيع، وعلى المُبايَعَةِ والطَّاعة، وَقَدْ تبايَعُوا عَلَى الأَمر: كَقَوْلِكَ: أَصفقوا عَلَيْهِ؛ أي قاموا صفقة عليه، وبايَعه عَلَيْهِ مُبايَعة: عاهَده[1].

البيعة اصطلاحاً: "هي إعطاء العهد من المبايع للخليفة على السمع والطاعة، في غير معصية الله"[2].

يتضح مما سبق أن علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي تتلخص في أن البيعة: " عِبَارَةٌ عَنِ المُعاقَدةِ والمُعاهَدةِ كأَن كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا باعَ مَا عِنْدَهُ مِنْ صَاحِبِهِ وأَعطاه خَالِصَةَ نَفْسِه وطاعَتَه ودَخِيلةَ أَمره[3]".

فالبيعة تعني: إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للأمير في غير معصية، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعدم منازعته الأمر.

قال ابن خلدون: البيعة هي: "العهد على الطاعة؛ كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يُسَلِّم له النظر في أمر نفسه، وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره، وكانوا إذا بايعوا الأمير، وعقدوا عهده، جعلوا أيديهم في يده؛ تأكيدًا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري"[4].

ثانياً: مشروعية البيعة:

إن النصوص الدالة على مشروعية البيعة كثيرة في الكتاب والسنة، وهاك طائفة منها:

---

(1) انظر: العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج2/ 265، ولسان العرب، ابن منظور، ج8/ 26.

(2) موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري، ج5/ 304.

(3) لسان العرب، ابن منظور، ج8/ 26.

(4) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تحقيق: عبدالله الدرويش، ص309.

(أ) **الأدلة من الكتاب:**

1- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: 111]

نزلت الآية في بيعة العقبة الثانية، حيث اجتمع الأنصار -رضوان الله عليهم- إلى رسول الله ﷺ عند العقبة، فقال عبد الله بن رواحة للنبي ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: **(أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت:" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة"**[1].

2- قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: 10]

3- وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: 18]

إن المفسرين على رأي واحد؛ بأن المراد بالمبايعة في الآيتين الكريمتين، هو بيعة الشجرة، المعروفة ببيعة الرضوان[2].

4-قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الممتحنة: 12]

وهي ما تسمى ببيعة النساء، وسميت بذلك لخلوها من الجهاد.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق، شاكر، ج14/ 499.

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج13/ 405.

(ب) الأدلة من السنة: يستدل على مشروعية البيعة بما كان من الرسول من بيعته للأنصار في العقبة الأولى والثانية، وغيرهما من البيعات، وهاك الروايات:

1- فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الأُولَى بَايَعَ الْمُسْلِمُونَ الرَّسُول عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، قَبْل أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَرْبُ، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، أَنَّ رَسُول اللَّهِ قَال وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ**[1].

2- وفي بيعة العقبة الثانية بايع الرسول الأنصار على حمايته، فعن كَعْب بن مالك وكان مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى جَاءَنَا، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: قُلْنَا: تَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلِي، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: «**أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ**» قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَّتَنَا فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[2].

3- عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةً، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ[3]، وَقَالَ: «**بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ، وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ**»[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار/ وُفُود الأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ بِمَكَّةَ، وَبَيْعَةِ العَقَبَةِ، 5/ 55: رقم الحديث 3892.

(2) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، فَضَائِلُ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، 2/ 923: رقم الحديث 1767. إسناده صحيح، ينظر: تحقيق وصي الله عباس لكتاب الفضائل.

(3) السمرة: ضربٌ مِنْ شجَر الطَّلح، وهِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهَا بَيعة الرضْوان عامَ الحُدَيْبِيَة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج2/ 399.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ اسْتِحْبَاب مُبَايَعَة الْإِمَامِ الْجَيْشَ عِنْدَ إِرَادَةِ الْقِتَالِ، وَبَيَان بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، 3/ 1483: رقم الحديث 1856.

4-عن عَائِشَةَ-رضي الله عنها-، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُمْتَحَنَّ بِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ**﴾ [الممتحنة: 12]، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْمِحْنَةِ[1]، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِنَّ، قَالَ لَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**انْطَلِقْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ**»[2]؛ يعني أنه يكتفي منهن بالبيعة الشفوية، دون أن يضع يده في أيديهن، كما يفعل في بيعة الرجال.

إن هذه الأحاديث وغيرها تدل بما لا مرية فيه ولا ريب على مشروعية البيعة.

المطلب الثاني : أنواع البيعة:

بايع الرسول ﷺ أصحابه الكرام على أمور، أهمها هذه الخمسة:

الأول: البيعة على الإسلام:

إن المبايع على الإسلام يتعهد بأن يعبد الله وحده، ولا يشرك به أحداً، "وإن البيعة على الإسلام كانت فرضًا على جميع الناس، أعرابًا كانوا أو غيرهم"[3]، وهي آكد أنواع البيعة وأعظمها، وكان النبي ﷺ يبايع صحابته الكرام عند دخولهم في الإسلام على اتباع أحكامه، والتقيد بها؛ بل كان أحياناً يبايعهم ثانية بعد إسلامهم، من باب تجديد العهد، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في ذلك، ومنها هذه الأربعة:

1-عَنْ جَرِيرِ بن عَبْد اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[4].

2- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ أتى النساء في يوم عيد الفطر، وتلا عليهن هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ**

---

(1) فقد أقر بالمحنة: فَقَدْ بَايَعَ الْبَيْعَةَ الْمُعْتَبَرَةَ فِي الشَّرْعِ. طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، ج7/ 44.

(2) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ كَيْفِيَّة بَيْعَةِ النِّسَاءِ، 3/ 1489: رقم الحديث 1866.

(3) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، ج32/ 590.

(4) صحيح البخاري، البخاري، البيوع/ هَلْ يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ بِغَيْرِ أَجْرٍ، وَهَلْ يُعِينُهُ أَوْ يَنْصَحُهُ، 3/ 72: رقم الحديث 2157.

شَيْئًا﴾ [الممتحنة:12]، حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ: «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ؟»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ[1].

3- وعن عَوْف بْن مَالِكٍ الْأَشْجَعِيّ-رضي الله عنه-، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا، - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً** -[2] **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**»[3].

أما عن قولهم: (وكنا حديث عهد ببيعة) يعتذر المبايعون بهذه الجملة عن عدم المسارعة ببسط اليد وقبول البيعة المطلوبة، فكأنهم ظنوا أن البيعة المطلوبة على ما بايعوا عليه في البيعة السابقة، وأما عن سبب الأمر ثلاث مرات حيث "ظنوا أن الرسول ﷺ قد نسي مبايعتهم، ولم يفهموا المطلوب إلا بعد تكرار العرض"[4].

4-عَنْ جَرِير بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه- أيضاً، قَالَ: «**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[5].

وقد عقّب ابن حجر-رحمه الله- على باب البَيْعَةِ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ الوارد في صحيح البخاري على أنها بيعة على الإسلام؛ فقال: "والمراد بالبيعة المبايعة على الإسلام، وكان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة؛ لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة؛ لأنها رأس العبادات المالية"[6]، وكذلك الأمر؛ فقد أفرد البخاري باباً بعنوان البيعة على إيتاء الزكاة،

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/ {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ} [الممتحنة: 12]، 6/ 151: رقم الحديث 4859.

(2) إنما أسر هذه الكلمة دون ما قبلها؛ لأن ما قبلها وصية عامة، وهذه الجملة مختصة ببعضهم. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ج4/ 513.

(3) صحيح مسلم، مسلم، الزكاة/ كَرَاهَة الْمَسْأَلَةِ لِلنَّاسِ، 2/ 721: رقم الحديث 1043.

(4) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين، ج4/ 396.

(5) صحيح البخاري، البخاري، مواقيت الصلاة/ البَيْعَة عَلَى إِقَام الصَّلاَةِ، 1/ 111: رقم الحديث524.

(6) فتح الباري، ابن حجر، ج2/ 7.

وأورد ابن حجر قول الزين بن المنير[1]: إن بيعة الإسلام لا تتم إلا بالتزام إيتاء الزكاة، وأن مانعها ناقض لعهده، مبطل لبيعته، ولا ينال أخوة المؤمنين في الدين إلا من أقام الصلاة، وآتى الزكاة[2]، ومن أدلة ذلك قوله تعالى في صدر سورة التوبة: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ** ﴾ [التوبة: 11]

تدل هذه الأحاديث على أن الرسول كان يبايع صحابته على الإسلام، والعمل به، وقد ذكر طائفة من العلماء: أن البيعة على الإسلام مخصوصة بالنَّبيِّ ، واستدلوا بأن الأمر بالبيعة في القرآن يخص الرسول بالخطاب بها وحده، كما قال تعالى: " ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا**﴾ [الممتحنة: 12] [3].

الثاني: البيعة على النصرة والمَنَعة:

قد بايع رسول اللهِ وفد الأنصار على أن يمنعوه، وينصروه، وذلك في بيعة العقبة الثانية في منى، وَكَانَ كَعْب بن مالك بِالشِّعْبِ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَاجْتَمَعْنَا نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى جَاءَنَا، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ-رضي الله عنه- قَالَ: قُلْنَا: تَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلِي، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ-رضي الله عنه- بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[4] فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ[5].

إن هذه البيعة كانت على حماية رسول الله ، ولم تكن على الجهاد؛ لأنه لم يشرع بعد، "وليس في بنود تلك البيعة ما قد يدل على مشروعية القتال حينئذ، إنما أخذ النبي على

---

(1) عَليّ بن مُحَمَّد بن مَنْصُور بن أبي الْقَاسِم بن مُخْتَار بن أبي بكر القَاضِي زيد الدّين أَبُو الْحسن بن القَاضِي أبي الْمَعَالِي، وَكَانَ زين الدّين صَدراً جَلِيلًا محتشماً، وافر الحُرمة، مليح الصُّورَة، كَامِل الْفَضِيلَة، ولد سنة 629هـ، وَتُوفِّي سنة 695هـ. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ج22/ 90.

(2) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج3/ 267.

(3) المسالك في شرح موطأ مالك، أبو بكر بن العربي، ج7/ 566.

(4) أزرتنا: أَيْ: نِسَاءنَا وَأَهْلَنَا، كَنَّى عَنْهُنَّ بالأزرِ، وَقِيلَ أَرَادَ أَنْفُسَنَا. وَقَدْ يُكنى عَنِ النفْس بِالْإِزَارِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج1/ 45.

(5) سبق تخريجه، (ص 100)

أهل المدينة عهد الجهاد نظراً للمستقبل، عندما سيهاجر إليهم، ويقيم بينهم في المدينة[1]، والدليل على هذا أن سعد بن عبادة قال بعد البيعة: «**والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا**»، **فقال رسول الله □**: «**لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم**»[2].

ولا يمنع ذلك القول من تسمية هذه البيعة ببيعة الجهاد، وقد قال ذلك كثير من العلماء؛ إن بيعة العقبة الثانية كانت على الدفاع عن رسول الله □، وفدائه بأرواحهم، وحمايته كما يحمي المرء زوجه، وولده، ونفسه؛ ولهذا فهي بيعة الحرب، أما بيعة العقبة الأولى فسميت ببيعة النساء؛ لخلوها من بند الجهاد[3]، وهذا يتضح أيضاً من ردّ البراء بن معرور، حين قال: "فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا، عَنْ كَابِرٍ"[4].

يتضح من بيعة العقبة الثانية أن الرسول □ توجّه إلى المدينة بدعوة من أهلها، ولهذا وجب عليهم حمايته كفرد منهم، حسب ما تقتضيه أعرافهم.

الثالث: البيعة على الجهاد:

من البيعات المهمة البيعة على الجهاد، وحماية الإسلام من أي خطر، فالحق يحتاج إلى قوة تحميه، "ومن السنة أن يبايع الإمام المجاهدين على الصبر أو الموت؛ تشجيعاً لهم، وتقوية لمعنوياتهم"[5]، ومن الأدلة على هذه البيعة، الروايتان التاليتان:

1-عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، قال سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَتِ الأَنْصَارُ يَوْمَ الخَنْدَقِ تَقُولُ: نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّداً ... عَلَى الجِهَادِ مَا حَيِينَا أَبَدَا.

فَأَجَابَهُمْ: «**اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ ... فَأَكْرِمِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ**»[6].

---

(1) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، البوطي، ص: 125.

(2) مسند أحمد، أحمد، بقية حديث كَعْب بن مَالِكٍ الأنصاري، 25/ 94: رقم الحديث 15798.إسناده حسن، ينظر: تحقيق شعيب الأرنؤوط على المسند.

(3) المنهج الحركي للسيرة النبوية، الغضبان، ج1/ 166، وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، البوطي، ص: 124.

(4) سبق تخريجه (ص 100)

(5) موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري، ج5/ 475.

(6) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار/ دُعَاء النَّبِيِّ □: «أَصْلِحِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَةَ»، 5/ 34: رقم الحديث 3796.

وإنه ليتضح من ردّ الرسول عليهم موافقته على ما قالوه من بيعتهم له على الجهاد في سبيل الله.

2- عَنْ مُجَاشِعٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ أَنَا وَأَخِي، فَقُلْتُ: بَايِعْنَا عَلَى الهِجْرَةِ، فَقَالَ: «**مَضَتِ الهِجْرَةُ لِأَهْلِهَا**»، **فَقُلْتُ: عَلاَمَ تُبَايِعُنَا؟ قَالَ:** «**عَلَى الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ**»[1].

الرابع: البيعة على الهجرة:

إن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت فرض عين على كل من أسلم، ثم انتهت بعد فتح مكة، أما الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فلم تنقطع، ومن الأدلة على هذه البيعة، ما يلي:

1-عن مُجَاشِع بن مَسْعُود السُّلَمِيّ[2]، قَالَ: **جِئْتُ بِأَخِي أَبِي مَعْبَدٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ بَعْدَ الْفَتْحِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، بَايِعْهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، قَالَ: «قَدْ مَضَتِ الْهِجْرَةُ بِأَهْلِهَا»، قُلْتُ: فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ؟ قَالَ: «عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ»** [3].

وسبب انقطاع الهجرة انتشار الدين، وزوال الخوف أن يفتن، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-، حين سألها عطاء بن أبي رباح عن الهجرة، "فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر بدينه إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ؛ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية"[4].

الخامس: البيعة على السمع والطاعة:

إن الله تعالى أمر المسلمين بالسمع والطاعة؛ فقال: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: 16]

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ البَيْعَة فِي الحَرْبِ أَنْ لاَ يَفِرُّوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَلَى المَوْتِ، 4/ 50: رقم الحديث 2962.

(2) مجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي، من بني يربوع بن سمال بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، روى عنه أبو عثمان النهدي، وعبد الملك بن عمير، قُتل يوم الجمل. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ج4/ 1457-1458.

(3) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ الْمُبَايَعَة بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ، وَبَيَان مَعْنَى لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، 3/ 1487: رقم الحديث 1863.

(4) صحيح البخاري، البخاري، المغازي/ مقام النبي بمكة زمن الفتح 5/ 152: رقم الحديث 4312.

وهذه البيعة تعطى للأئمة عند تعيينهم، وتوليهم أمر المسلمين، ومن الأدلة على هذه البيعة:

1-عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصامت-رضي الله عنه-، قَالَ: «**بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا**(1)**، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ**»(2).

2 - وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أيضاً، قَالَ: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ - - **فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «إلاّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ»**(3).

3-وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»(4).

إنه يتضح من هذه الأحاديث أن الصحابة كانوا يبايعون رسول الله على السمع والطاعة في جميع أحوالهم، لأن طاعته واجبة، وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا.

المطلب الثالث : الآثار التربوية للبيعة:

إن الآثار التربوية للبيعة تُحدد بحسب نوع البيعة، فمن هذه الآثار الخمسة التالية:

1-رضا الله والسكينة: ويتضح هذا جلياً من قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ [الفتح: 18]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة"(5)، "فأنزلَ عليهم الطُّمأنينةَ، والأمنَ، وسكونَ النفسِ بالربطِ على

(1) وعلى أثرة علينا: على الصبر عليها، أو يستأثر عليكم فيفضل غيركم في إعطاء نصيبه من الفيء، انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج6/ 248، وشرح المشكاة الطيبي ، ج8/ 2559، وتحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي، ج2/ 543.

(2) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ وُجُوب طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، 3/ 1470: رقم الحديث 1709.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الفتن/ قَوْلِ النَّبِيِّ : «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»،9/ 47: رقم الحديث 7056.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأحكام/ كَيْفَ يُبَايِعُ الإِمَامُ النَّاسَ، 9/ 78: رقم الحديث7204.

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج7/ 339.

قلوبِهم"[1]، ولعل السر في ذلك؛ هو أنهم كانوا قلقين من نبأ مقتل عثمان –رضي الله عنه، حين سَرَت فيهم شائعة كاذبة بذلك؛ فضلاً عن حاجتهم بعد قليل إلى السكينة عند إبرام الصلح، إذ إنه يشبه أن يكون لوناً من إعطاء الدنية في الدين.

2- رعاية مصالح الناس والسعادة في الدنيا: إن البيعة على السمع والطاعة للأمير ينتج عنها انتظام مصالح المسلمين من خلال "تنفيذ أحكام الله تعالى المتعلقة بالمعاملات المالية والمدنية، والأحوال الشخصية، والجنايات، وغيرها"[2]، وهذا الانتظام يؤدي إلى السعادة، سعادة "السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم"[3].

3- توحد المسلمين: إن بيعة المسلمين لإمامهم يوحد الصف المسلم، قال محمد بن عبد الوهاب –رحِمَهُ اللهُ–: "إن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً"[4].

ودليل أهمية البيعة في توحيد المسلمين أنه بعد وفاة رسول الله ﷺ لم يهرع المسلمون لدفنه؛ بل اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة؛ لمبايعة أمير لهم، وعندما فرغوا من بيعة أبي بكر أقبلوا على جهازه ﷺ[5].

4-الأمن والاستقرار: إن بيعة المسلمين لأميرهم؛ يمهد لقيام الأمير بواجباته، ومن أعظم تلك الواجبات، "العمل على نشر الأمن في البلدان والأقطار الإسلامية، والطرق الموصلة بعضها ببعض، وتحقيق المصالح الإنسانية المختلفة وحمايتها، من اقتصادية، واجتماعية، وثقافية"[6].

ولا يتحقق الأمن إلا بتحصين حدود الدولة، وإعداد العدة الكافية، والقوة المانعة؛ لردع العدو، قال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة، والجماعة، والعيد،

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 110.

(2) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، مُصطفى الخِنْ وآخرون، ج8/ 270.

(3) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ج2/ 117.

(4) مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، ص 394.

(5) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ابن حبان، ج2/ 424، وشرف المصطفى، عبد الملك النيسابوري، ج3/ 161.

(6) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، مُصطفى الخِنْ وآخرون، ج8/ 270.

والثغور، والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون[1].

5-بث الشجاعة ورفع الروح المعنوية: إن بيعة المجاهدين على الموت، أو الثبات، وعدم الفرار، يرفع الروح المعنوية لديهم، ومن السُنة أن يبايع الإمام المجاهدين على الصبر أو الموت؛ تشجيعاً لهم، وتقوية لمعنوياتهم[2].

---

(1) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، 2/ 117.

(2) انظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الهرري الشافعي، ج27/ 284،و موسوعة الفقه الإسلامي، التويجري، ج5/ 475.

المبحث الثاني
الحذر من النفاق

إن ظاهرة النفاق والمنافقين لا تختص بعصر دون عصر، فقد ظهرت هذه الفئة عندما قويت شوكة المسلمين، فأظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، وامتدت هذه الظاهرة في كل المجتمعات بصور متفاوتة، ولخطورتهم على الإسلام وأهله عرض القرآن الكريم أوصافهم؛ لتتعرف الجماعة المسلمة عليهم؛ فتحبط مؤامراتهم، وتقف لمواجهتهم، وقد جاء ذكر المنافقين صراحة في سورة الفتح؛ فقال تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [الفتح: 6].

وقد كان المنافقون يظنون ظن السوء، بأن الرسول والمؤمنين لن يعودوا إلى أهليهم أبداً، وزين ذلك الشيطان في قلوبهم، فرد الله دائرة السوء عليهم، وتوعدهم بالعذاب والهلاك(1).

وقد تناولت في هذا المطلب تعريف النفاق لغة واصطلاحاً، وصفات المنافقين التي ينبغي على المسلمين تجنبها، ثم الآثار التربوية المترتبة على النفاق، وذلك في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: معنى النفاق لغة واصطلاحاً.

1- النفاق لغة:

اختلف أهل اللغة في أصل اشتقاق لفظ النفاق:

(أ) قيل: إنه مأخوذ من نافقاء، والنافقاء موضع يرقِّقه اليربوع من جحره، ومنه اشتقاق النفاق الذي صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء(2).

(ب) وقيل: مأخوذ من النفق، وهو السّرب في الأرض الذي يُستَتَر فيه، وسمّي النفاق بذلك؛ لأنّ المنافق يستر كفرَه(3).

---

(1) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ج11/ 6940.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5/ 455.

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج10/ 358-359.

(ج)–وقيل: " النفاق هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه"[1].

2–النفاق اصطلاحاً:

"إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب"[2].

والمتتبع للمعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق، يجد أن الصلة وطيدة بينهما، فالمنافق هو الذي خرج من الإيمان باطناً بعد دخوله فيه ظاهراً، وهكذا النَفَق المعروف في عصرنا الحاضر هو سرداب في الأرض له مدخل ومخرج.

المطلب الثاني: صفات المنافقين:

حذّر الله تعالى في كتابه العزيز من المنافقين، وذكر صفاتهم، وبيّن أهدافهم الخبيثة؛ للطعن في الإسلام، وقد فضحهم الله وجلاّهم، كما قال ابن القيم: " قد هتك اللّه سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلّى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر"[3]، فكان الحديث عنهم في أكثر من نصف السور المدنية، وقد علّق ابن القيم على ذلك قائلاً: "كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر الأرض وفي أجواف القبور"[4].

ومع كثرة السور التي ذكرت النفاق والمنافقين، ووصفت أحوالهم ومكائدهم، تلميحاً أو تصريحاً، ومع فضح الله تعالى لهم في سورة التوبة التي تسمى "الفاضحة"، إلا أن الله تعالى أنزل سورة تحمل هذا الاسم الخاص «المنافقون»، الدال على موضوعها؛ فهي تكاد تكون مقصورة على الحديث عنهم، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم، ورويت عنهم، وهي تشن حملة عنيفة على أخلاقهم، وأكاذيبهم، ودسائسهم، ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللؤم والجبن، وليس في السورة إلا خبرهم عدا لفتة في نهايتها إلى الذين آمنوا؛ لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين[5].

---

(1) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ج2/ 481، وانظر: فتح الباري، ابن حجر، ج1/ 89.

(2) التعريفات، الجرجاني، ص 245.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: البغدادي، ج1/ 355.

(4) صفات المنافقين، ابن قيم الجوزية، ص 20.

(5) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6/ 3572، والتفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2662.

وإليك أهم صفات المنافقين في عشرة بنود:

أولاً: التكاسل عن أداء الصلاة وحضورها مع الجماعة:

إن المنافقين لا يحرصون على أداء الصلاة في وقتها في بيوت الله تعالى، ويتثاقلون أو يتكاسلون عن أداء العبادات الواجبة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ [النساء:142] .

يعني: إذا قاموا إلى الصلاة مع المسلمين لا تُكتب لهم، وقاموا كسالى؛ أي: متثاقلين متباطئين، ويستثقلونها في الحال، ولا يرجون بها ثواباً، ولا من تركها عقاباً[1].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود-رضي الله عنه-، قَالَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مَنْ سُنَنَ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»[2].

وإن أثقل صلاة على المنافقين هي صلاة العشاء وصلاة الفجر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ : «**لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنَ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ المُؤَذِّنَ، فَيُقِيمَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا يَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ آخُذَ شُعَلًا مِنْ نَارٍ، فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لاَ يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاَةِ بَعْدُ**»[3].

ثانياً: تأخير الصلاة عن وقتها، ونقرها، و لا يذكرون الله إلا قليلاً:

ذكرت في الصفة السابقة تكاسل المنافقين عن حضور الصلاة في المساجد، وليس الأمر قاصراً على ذلك؛ بل يؤخرونها لآخر وقتها؛ فعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ، حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ، وَدَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج11/ 248، وتفسير الشعراوي الخواطر، الشعراوي، ج1/ 147.

(2) صحيح مسلم، مسلم، المساجد/ صَلَاة الْجَمَاعَةِ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، 1/ 453: رقم الحديث 257.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأذان/ فَضْل العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ، 1/ 132: رقم الحديث 657.

عَلَيْهِ، قَالَ: أَصَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ؟ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ، قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ، فَقُمْنَا، فَصَلَّيْنَا، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»[1].

وقد ورد في هذا الحديث ثلاث من صفات المنافقين، هي: تأخير الصلاة عن وقتها، ونقرها كنقر الطائر؛ كناية عن السرعة، كما قال ابن القيم: " ينقرونها نقر الغراب؛ إذ هي صلاة الأبدان، لا صلاة القلوب"[2] ، وأما الثالثة فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، والمراد بذكرهم الله في صلاتهم، هو الذي يظهر؛ مثل التكبيرات، فأما الذي يخفى مثل القراءة، والتسبيحات، فهم لا يذكرونها، وهم لا يذكرون الله في جميع الأوقات، سواء كان ذلك الوقت وقت الصلاة، أو لم يكن وقت الصلاة إلا قليلاً نادراً[3] .

قال الزمخشري: "وهكذا نرى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام، ولو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة، ولكن حديث الدنيا يستغرق به أيامه وأوقاته، لا يفتر عنه"[4].

وعن سبب عدم ذكرهم الله إلا قليلاً، قال سبحانه: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المجادلة: 19]؛ أي: تملكهم وغلب عليهم الشيطان من كل جهة[5]، " وإذا استحوذ الشيطان على عبد أنساه ذكر الله"[6].

ثالثاً: الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف:

قال الله تعالى:﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾[التوبة: 67] فقد بيّنت الآية صفة من صفاتهم، وشرحت نوعاً آخر من أنواع فضائحهم وقبائحهم، فهم بعضهم من بعض، إناثهم كذكورهم في تلك الأعمال المنكرة، والأفعال

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، المساجد/ اسْتِحْبَابِ التَّبْكِيرِ بِالْعَصْرِ، 1/ 434: رقم الحديث 195.

(2) صفات المنافقين، ابن قيم الجوزية، ص 15.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج11/ 249.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج1/ 579.

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج23/ 255. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج5/ 281.

(6) لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ج3/ 555.

الخبيثة، يأمرون بالمنكر، ولفظ المنكر يدخل فيه كل قبيح، إلا أن الأعظم ههنا تكذيب الرسول، وينهون عن المعروف، ولفظ المعروف يدخل فيه كل حسن، إلا أن الأعظم ههنا الإيمان بالرسول ﷺ[1]، فهم قوم انقلبت المعايير لديهم، فأصبح المعروف لديهم منكراً، والمنكر أصبح معروفاً، ولأن المنافقين يحبون المنكر، ويكرهون المعروف، فإنهم يكرهون ظهور الحق واستعلاءه على الباطل؛ مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: 48] ؛ فإنها صريحة في كراهة الحق، وخاصة إذا ظهر وانتصر؛ لأن مكرهم في إبطاله يبور.

رابعاً: موالاة الكفار من دون المؤمنين:

إن هذه الصفة من أخطر صفات المنافقين، فهم في الظاهر مع المؤمنين، لكنهم في الحقيقة مع أعدائهم عيوناً ولهم أعواناً، يكشفون لهم عورات المسلمين وأسرارهم، ويتربصون بالمؤمنين الدوائر، ومن الآيات الصريحة باتصاف المنافقين بهذه الصفة قوله تعالى: ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [النساء: 138- 139] .

إن الله عز وجل أمر نبيه أن يبشر المنافقين بنار جهنم، وهم الذين يتخذون الكفار أنصاراً وأخلاء من غير المؤمنين؛ لكي يطلبوا العزة عندهم والقوة، قل لهم يا محمد: إن العزة للإسلام والمسلمين، وأما المنافقون فهم الأذلاء الأقلاء[2].

فالمنافقون هم الذين أغروا يهود بني النضير بعدم الرحيل، والثبات في حصونهم؛ لقتال المسلمين، ووعدوهم أن ينصروهم، ويعينوهم على المسلمين، قال الله عز وجل: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [الحشر: 11]

وهم الذين يؤلبون اليهود على غزة لاستئصال شأفتها، ويؤزونهم ليل نهار؛ لأنها كشفت عورتهم، وأظهرت حقيقتهم.

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج16/ 97.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج9/ 319.

إن هذه الموالاة تدل على فساد واضح في اعتقاد صاحبها، فالحب في الله، والبغض في الله، هو أصل الموالاة، فمحبة المؤمنين تقتضي موالاتهم ونصرتهم، وبغض الكفار يقتضي عداوتهم ومحاربتهم.

خامساً: لمز المطوّعين من المؤمنين في الصدقات، والسخرية منهم:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ الله مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة: 79].

عَنْ أبي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " **لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ الآية**[1]، هذه الآية الكريمة كشفت عن صفتين من صفات المنافقين، هما: اللمز، والسخرية.

ومعنى يلمزون؛ أي: يعيبون على المكثر في الصدقة، فيقولون: قصد بنفقته الرياء، والسّمعة، ويلمزون المقلّ الفقير، فيقولون: إن الله غنيٌّ عن صدقة هذا، قال ابن كثير: " لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال"[2].

وهم يكثرون كذلك من الاستهزاء بالمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** ﴾ [البقرة: 14].

أي: أنهم إذا لقوا الصحابة أظهروا الإيمان، وإذا رجعوا إلى شياطينهم؛ أي: كبرائهم في الكفر والطغيان، قالوا: إنا معكم؛ إنما نحن مستهزئون، قال سيد قطب: "شياطينهم اليهود غالباً"[3] . وقال ابن عاشور: "يطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر"[4]، قالوا إنا معكم لم نخرج عن ديننا؛ إنما نحن مستهزئون بهم.

وفي وقتنا الحالي لم يسلم المسلمون من شرهم، فكل يوم تطالعنا مواقعهم الخبيثة، وصحفهم القذرة بطعنهم بالعلماء والمجاهدين، وباستهزائهم بالدين وأهله، وهذه عادة أسلافهم من

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، الزكاة/ اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، 2/ 109: رقم الحديث 1415.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج4/ 184.

(3) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/ 45.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/ 290.

قبل، قال الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تستهزئون**﴾ [التوبة: 65]

سادساً: المنافقون متردِّدون بين فريقٍ من المؤمنين وفريقٍ من الكافرين:

قال تعالى: ﴿**مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ [النساء: 143].

قال الطبري: "إن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك"[1]، وما أوضح المثل الذي مثّلهم به الرسول ﷺ؛ فعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[2] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً**»[3]، فالمنافق حائر يخشى أن يُظهر الكفر؛ فيقتله المسلمون، ويخشى أن يعلو الكفار فيُقتل، فيلجأ إلى إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، فلا مبدأ لهم ولا أخلاق، يسيرون حسب ما يضمن مصالحهم، يشبهون في التذبذب والمراوغة الحرباء في التلوُّن؛ فإنها يتغير لونها بحسب حرارة الشمس، فأول النهار لها لون، ووسط النهار لها لون، وآخره لها لون[4]، كما أنها تتلون في المحيط الذي توجد فيه.

سابعاً: التحاكم إلى الكفار:

إن المنافقين يحرصون على تطبيق قوانينهم الباطلة مفضلينها على حكم الله، ويعرضون عن حكمه؛ كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً**﴾ [النساء:60] .

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج9/ 332.

(2) العائرة: يَعْنِي الذاهبة إِلَى هَذِه مرّة وَإِلَى هَذِه مرّة، لَا تَسْتَقِر فِي إِحْدَاهمَا. وَكَذَلِكَ الْمُنَافِق يصير إِلَى الْمُسلمين بِاللَّفْظِ وَيعود إِلَى الْمُشْركين بِالْعقدِ. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج2/ 597.

(3) صحيح مسلم، مسلم، صِفَات الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، 4/ 2146: رقم الحديث 2748.

(4) تسهيل العقيدة الإسلامية، ابن جبرين، ص 267.

قال ابن كثير: " أي: إذا طُلبوا إلى اتباع الهدى، فيما أنزل الله على رسوله ، أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه"[1].

أما سبب نزول هذه الآية فقد سجله الطبري فقال: " كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود؛ لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين؛ لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة، فأنزل الله فيه هذه الآية"[2].

قال ابن القيم: "ومن صفاتهم أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلى القرآن والسنة أبوا ذلك، وأعرضوا عنه، ودعوك إلى التحاكم إلى طواغيتهم"[3]، وهذه الصفة لا تكون في المؤمن؛ لأنه يخضع لحكم الله، قال ابن تيميه: "بيّن سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول ، وأعرض عن حكمه، فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمن هو الذي يقول: سمعنا وأطعنا"[4].

ثامناً: المسرة بتراجع دين المسلمين، وكراهية انتصاره:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ** ﴾ [التوبة: 50]، أخبر الله تعالى في هذه الآية عن صفة خطيرة من صفات المنافقين، فهم إن أصاب رسول الله ومن معه نصر وغنيمة؛ ساءهم ذلك، وإن أصابهم قتل وهزيمة، قالوا: عملنا بالحزم فلم نخرج معكم، ثم ينقلبون وهم فَرِحُون بمصابك وسلامتهم[5].

قال ابن عباس: الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم أحد، والأولى حمله على العموم[6]، وهذا انسلاخ كامل عن المجتمع شعورياً، كما قال الشوكاني: " إن المساءة بالحسنة، والفرح بالمصيبة، من أعظم ما يدل على أنهم في العداوة قد بلغوا إلى الغاية"[7].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سلامة، ج6/ 74.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، ج8/ 508.

(3) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، ص 407.

(4) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيميه، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص 38.

(5) انظر زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج2/ 266.

(6) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ج3/ 482.

(7) فتح القدير، الشوكاني، ج2/ 421.

وللأسف كان يحدث منهم هذا الأمر على خوف وحذر؛ أما اليوم فنلحظ ذلك جلياً؛ حيث ما يحقق العدو إنجازاً إلا ورأيت الفرح في وجوههم، والشماتة بالمسلمين؛ بل الأخطر أنهم تحالفوا مع الأعداء جهاراً نهاراً، كما قال الله عز وجل: ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة: 48]؛ أي: ليس هذا أول ابتغائهم وإيقاعهم؛ بل هم قد أوقعوا الفتنة مِنْ قَبْلُ، وأرجفوا بهلاكك، واحتالوا في تشتيت أمر المسلمين، وإبطال دينهم، وَقَلَّبُوا لَكَ ولأصحابك الْأُمُورَ، حَتَّى جاءَ الْحَقُّ؛ أي: النصر والتأييد الموعود من الله سبحانه من نصر دينك، وإظهاره على عموم الأديان، والمنافقون كارهون لذلك[1]، ولهذا فعدم خروجهم معك للجهاد في سبيل الله أفضل للصف المسلم؛ لأن ضررهم سيكون عظيماً؛ كما قال تعالى: ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ** ﴾ [التوبة:47]

إن القلوب الخائرة تبث الخور، والضعف في الصف المسلم، وهم خطر عليكم، ولو خرجوا معكم ما زادوكم قوة بخروجهم؛ بل لزادوكم اضطراباً وفوضى، ولأسرعوا بينكم بالوقيعة، والفتنة، والتفرقة، والتخذيل[2].

تاسعاً: الجبن، وشدة الخوف، والكذب:

إن صفة الخوف من أهم الأسباب التي جعلتهم يخفون كفرهم، ويظهرون الإسلام؛ "لأنهم يخافون القتل فيظهرون الإيمان تقية"[3]، فليس عندهم الشجاعة التي يقاتلون مع الكفار؛ فيلجؤون إلى النفاق والكذب، قال سبحانه: ﴿ **وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ**﴾ [التوبة: 56-57]، ومن قبائحهم أنهم يَحْلِفُون بالله إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ؛ أي: على دينكم وملتكم، وَما هُمْ مِنْكُمْ؛ أي: أنهم كاذبون في أيمانهم، ودليل ذلك أيضاً قوله عز وجل: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: 1] ؛ أي: كاذبون فيما أظهروا من شهادتهم، وحلفهم بألسنتهم، فمن قال شيئاً، واعتقد خلافه، فهو كاذب[4]، ثم أكد نفاقهم بقوله:(لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً)؛ أي: مفراً وحرزاً وحصناً

---

(1) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، النخجواني، ج1/ 307.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج3/ 1663.

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ج3/ 486.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج18/ 123.

ومعقلاً، فيتحصنون فيه؛ آمنين على أنفسهم منكم، لفروا إلى أحد هذه الأمكنة؛ لشدة تأذيهم، وتنفرهم، وبغضهم إياكم، فلا تظنوا أن موافقتهم إياكم في الدار والمسكن من صميم القلب[1]، ولشدة خوفهم وجبنهم كلما سمعوا صياحاً ظنوه صياح نذير من عدو هجم عليهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4].

أي: لا يسمعون صوتاً في العسكر بأن نادى مناد، أو انفلتت دابة، وأُنشدت ضالة، إلا ظنوا أنهم يُرادون بذلك، وظنوا أنهم قد أتوا؛ لما في قلوبهم من الرعب؛ وذلك خوفاً من أن ينزل الله فيهم أمراً، يهتك أستارهم، ويبيح دماءهم[2].

عاشراً: إساءة الظن بوعد الله ونصره:

إن المنافقين لا يثقون بوعد الله بنصر الإسلام، وتمكين أهله في الأرض، فنظرتهم للأمور مادية بحتة؛ ولأن المسلمين أقل في القوة المادية من أعدائهم؛ فيشككون ببشارات النصر في القرآن والسنة، فعندما بشّر النبي المسلمين يوم الأحزاب بأن بلاد فارس والروم واليمن ستفتح على أيديهم، كان ردّهم: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]، وعن سبب نزول الآية قال مقاتل: "قال معتب بن قشير بن عدي الأنصاري: يعدنا «محمد» فتح قصور اليمن وفارس والروم، ولا يستطيع أحدنا أن يبرز إلى الخلاء؛ حتى يوضع فيه سهم، هذا والله الغرور، فأنزل الله: وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً»[3].

وقد تكرر هذا الأمر عندما انطلق النبي والمؤمنون إلى تبوك لمحاربة الروم، فقال بعض المنافقين لبعض: "أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال"[4].

---

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ج2/ 371، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، ج3/ 486.

(2) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ج8/ 130.

(3) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ج3/ 478.

(4) سيرة ابن هشام، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ج2/ 525.

وما أشبه اليوم بالبارحة، عندما يقول منافقو هذا الزمان: هل لنا قدرة على محاربة اليهود؟ وهل الكف تواجه المخرز؟، وما أرادوا بذلك إلا تثبيط المؤمنين، فثقتهم بالله مبتورة، وقلوبهم من ذكر القتال مذعورة، فهم في ضلالهم يعمهون، قاتلهم الله فأنى يؤفكون.

فهذه أهم صفاتهم القبيحة، وعلاماتهم المميزة لهم، وقد أُجملت في موسوعة فقه القلوب(1).

المطلب الثالث: الآثار التربوية المترتبة على النفاق:

للنفاق آثار سلبية كبيرة وكثيرة على المجتمع والدين، وهاك أبرزها في سبعة بنود كما يلي:

1-تقديم الخدمة للعدو الخارجي:

إن من أخطر مهام المنافقين تقديم الخدمة -أكاد أقول المجانية- للعدو الخارجي الذي يرتبطون به، وذلك في كل ما يتعلق بنشاطات المجاهدين، وتحركاتهم، وأبرز قادتهم، وأماكن اجتماعاتهم، وإمكانياتهم العسكرية، وإن خطرهم على الإسلام أعظم من خطر اليهود والنصارى؛ لأن المسلم يعرف عدوه، وقد استبان شره وضرره، ولكن العدو الداخلي لا نعرفه في بعض الأوقات، فهم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، يتسترون بالإسلام، ويعملون على هدمه، قال ابن القيم: وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ**﴾ [المنافقون: 4]، ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر؛ أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد ههنا الحصر؛ بل أثبت الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، فهم أحق بالعداوة ممن نصب لهم العداوة، وجاهرهم بها؛ فإن ضرر المنافقين أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم؛ لأن الحرب مع أولئك تحتاج ساعة، أو أياماً، ثم تنقضي، ويعقبها النصر والظفر، أما المنافقون فهم معنا في الديار والمنازل صباحاً ومساءً، يدلّون العدو على عوراتنا، ويتربصون بنا الدوائر، ولا يمكننا مناجزتهم أحياناً، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر(2) .

---

(1) انظر: موسوعة فقه القلوب، التويجري، ج4/ 3308-3309.

(2) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، ص 402.

وخطر المنافقين ينطلق من الداخل بين صفوف المسلمين، بينما يجيء خطر الكفار الظاهرين في أكثر الأحيان من الخارج، وخطر الخارج لا يكون عظيماً دائماً إلا بمساندة من الداخل، ولا تأمنهم على سِرِّك؛ لأنهم عيون لأعدائك من الكفار [1].

إن خطر المنافقين في أغلب الحالات مستتر خفي، ولكن في هذه الأيام أصبح عداؤهم للإسلام معلناً، وتحالفهم مع أعدائنا واضحاً، فعن حُذَيْفَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِيكُمُ الْيَوْمَ شَرٌّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فلما سُئل عن سر ذلك أجاب: **إِنَّ أُولَئِكَ كَانُوا يُسِرُّونَ نِفَاقَهُمْ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَعْلَنُوهُ**[2]، كيف لو رأى حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه–منافقي هذا العصر؟!

2-كثرة الإفساد في الأرض:

إن المنافقين هم أساس الفساد في المجتمع المسلم، وقد شبههم ابن القيم بالمرض العضال؛ "فإن النفاق هو الداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثيراً ما يخفى على من تلبّس به، فيزعم أنه مُصلح، وهو مفسد"[3].

ويكمن خطر فسادهم أنهم يسوقونه على أنه الصلاح للمجتمع، وقد فضحهم الله في كتابه: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: 11] ،ولشدة خطرهم وفسادهم قسّم الله تعالى الناس إلى ثلاثة أقسام في أوّل سورة البقرة، هم: المؤمنون، والكفّار، والمنافقون، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفّار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية؛ وذلك لكثرتهم، وشدّة فتنتهم على الإسلام؛ لأنّهم منسوبون إليه، فكم من معقل للإسلام قد هدموه!، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه!، وكم من لواء له مَرْفُوعٍ قَدْ وَضَعُوهُ!.[4].

3-ارتباطهم الوثيق باليهود :

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج23/ 396، وزاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج4/ 288.

(2) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، مَنْ كَرِهَ الْخُرُوجَ فِي الْفِتْنَةِ وَتَعَوَّذَ عَنْهَا 7/ 481: رقم الحديث 37396.

(3) صفات المنافقين، ابن قيم الجوزية، ص 3.

(4) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ج1/ 355.

إن ارتباط المنافقين باليهود ارتباط وثيق، فهم إخوانهم في الكيد للمسلمين، وقوتهم مستمدة منهم، فاليهود رأس الشر، يغذون هذه النبتة الشريرة، والحشرة السامة، والبذرة الشاذة، التي تنخر في جسد الأمة الإسلامية، "خطر المنافقين على الدولة كبير؛ ما ظل اليهود في يثرب؛ إذ إنهم كانوا على صلة دائمة بهم؛ بل إن اليهود هم الذين أَزْكَوا النفاق في يثرب فلما تم تطهير يثرب من اليهود؛ ضعف أمر النفاق، وأصبح النبي لا يخشى خطر هذه الطائفة"(1).

ولعل من الأدلة على ارتباط المنافقين باليهود ضد الإسلام، قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ**﴾ [الحشر: 11]، فقوله: (الذين نافقوا) يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، ومن كان منهم على مثل أمرهم، وقوله: (من أهل الكتاب) يعني بني النضير(2).

قال سيد قطب: "فأهل الكتاب هؤلاء كفروا، والمنافقون إخوانهم ولو أنهم يلبسون رداء الإسلام!"(3)، وكذلك ما جاء في الآيات الأولى من سورة البقرة، قال تعالى: "وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ"، قال جمهور المفسرين: إن شياطينهم هم اليهود، ولا تستغرب إن علمت أن بعض اليهود كانوا من ضمن صفوف المنافقين، " وقد كان المنافقون يتمثلون في طائفة من عرب المدينة من الأوس والخزرج، ومن بعض المتهودة من رجال بعض البطون اليهودية الصغيرة، وقد التفوا حول زعيمهم عبد الله بن أبي"(4).

4-تثبيط المسلمين وتخذيلهم:

إن مهمة المنافقين عند المحن والشدائد الإرجاف، والتخويف، وتثبيط العزائم، إنهم السوس الذي ينخر في صفوف المجتمع المسلم، محاولين تحقيق ما لم يستطع العدوُّ تحقيقه في الأمة، فيشقُّون الصفوف، ويُثيرون الفتنة، ويحاولون زعزعة أي تماسكٍ للمؤمنين، وقد قال تعالى فيهم: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب: 18]، (المعوقين) أي: المثبطين عن رسول الله ، وهم المنافقون، كانوا

(1) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، أحمد إبراهيم الشريف، ص 339.

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج290/2.

(3) في ظلال القرآن، قطب، ج6/ 3528.

(4) دراسة في السيرة، خليل، ص 307.

يقولون لإخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله ﷺ: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس[1]، فخلوهم وهلم إلينا"[2].

قال تعالى: ﴿ **لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: 48]، أي: "لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك، يا محمد ﷺ ، التمسوا صدهم عن دينهم، وحرصوا على ردهم إلى الكفر بالتخذيل عنه؛ كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه[3]، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في غزوة أحد، حيث انسحب ابن سلول بِثُلْثِ النَّاسِ، وَقَالَ: أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي؛ مَا نَدْرِي علام نقتل أنفسنا ههنا أَيُّهَا النَّاسُ؟ فَرَجَعَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ[4]، والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا حضر ابن سلول مع رسول الله ﷺ ثم انسحب؟ وكان باستطاعته ألا يحضر.

الجواب: إنه أراد أن ينسحب بالمنافقين؛ ليحدث بلبلة في الصف المسلم، وتضطرب الأمور، وأيضاً بذلك ترتفع الروح المعنوية لدى المشركين، وقوله تعالى: **(وقلبوا لك الأمور)**؛ أي: "لقد أعملوا فكرهم، وأجالوا آراءهم في كيدك، وكيد أصحابك، وخذلان دينك، وإخماله مدة طويلة"[5].

5-العمل على بث الإشاعات:

إن عداوة المنافقين شاملة، لا تقتصر على جانب دون جانب، فهي تبدأ من الكلمة همزاً ولمزاً، وسخرية وغمزاً، وتنتهي إلى الخيانة العظمى، فهم يحرصون على بث الإشاعات في المجتمع، وقلب الحقائق وإلصاق التهم بالدعاة والمصلحين، وكذلك حبهم لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وأكبر دليل على ذلك ما صنعه المنافقون في حادثة الإفك، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النور: 11]، فقد "وصف هذا

---

(1) أي: لَوْ كَانُوا لَحْماً لَالْتَقَمَهُمْ أَبو سُفْيَانَ، لسان العرب، ابن منظور، ج10/ 280.
(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج3/ 529.
(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج14/ 283.
(4) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، ج4/ 16.
(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج4/ 160.

الحدث الذي أثار البلبلة فى الخواطر، والاضطراب بالنفوس- بأنه «إفك» والإفك هو الافتراء، وخلق الأباطيل، ونسجها من الكذب والبهتان"[1].

6-انتشار الخداع والتلون والتزلف والتملق:

إن المنافق يفعل أي شيء؛ لكي يصل إلى ما يُريد، ويُؤدي دوره المنوط به على أكمل وجه، دون مراعاة لأخلاق، ولهذا يجد نفسه مُرغماً على التلون وفقاً للظروف والأحوال، كما أنه لا يجد حَرَجاً في أن يظهر بمظاهر مختلفة حسب ما يميله عليه المخطط والهدف، كما أنه لا يمانع في أن يخضع لهذا، أو يتزلف لذاك، أو يمدح من لا يستحق المدح، أو ينتقص مِن شأن مَن لا غُبارَ عليه، حتى ولو كان ذلك على حسابِ كرامته، هذا إن كان بقي عنده كرامة، ولهذا لا تستغرب من أن ينشئ المنافقون مسجداً هنا أو هناك، وقد حدث هذا في عهد رسول الله ، عندما أقاموا مسجد الضرار.

---

(1) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج9/ 1230.

المبحث الثالث

الحذر من التخلف عن الجهاد في سبيل الله.

إنّ الجهاد في سبيل الله من أفضل أعمال البر، وأرفعها عند الله، لم لا؛ والجهاد ذروة سنام الإسلام؟!، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ –رضي الله عنه–، أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ: " **ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**"(1).

إن الحكمة من مشروعية الجهاد الدفاع عن الدِّينِ والعِرْضِ، والنفس والمال، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ونشر الإسلام، وإقامة العدل، ومنع الظلم والفساد، وحماية المسلمين، ورد كيد الأعداء وإرهابهم، وَأَيُّ رجل أرفع قدرًا، وأطيب ذكرًا، وأعظم عند الله أجرًا، وأعلى في النّاس منزلةً، من رجل يجود بنفسه وماله في سبيل إعلاء كلمة الله، وقد حذر الله تعالى القادرين على أداء هذه الفريضة من التخلف عن الجهاد في سبيل الله، وقد عذر سبحانه أصحاب الأعذار، فقال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: 17]

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب كما يلي:

---

(1) مسند أحمد 375/36ح22051. والحديث إسناده صحيح بمجموع طرقه، ينظر: تحقيق المسند لشعيب الأرنؤوط.

المطلب الأول: تعريف الجهاد ومشروعيته وأقسامه .

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع:

أولاً: تعريف الجهاد:

الجهاد لغة: وردت كلمة "الجهاد" بتعريفات كثيرة، فقالوا: إن كلمة جهاد مشتقة من الجهد، بفتح الجيم وضمها، والْجُهد بضم الجيم: الوسع والطاقة[1] وبالفَتْح: المَشَقَّة، وَقِيلَ المُبَالَغة والْغَايَة[2].

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُم**﴾ [التوبة: 79]، قرئت كلمة (جهدهم) بضم الجيم وفتحها، قال الشوكاني: "وقرئ جهدهم بفتح الجيم، والجهد بالضم الطاقة، وبالفتح المشقة – وقيل: هما لغتان، ومعناهما واحد"[3].

نقول جاهد العدوّ مجاهدة وجهاداً: قاتله، وجاهد في سبيل اللّه، والْجهاد محاربة الأعداء، وهو الْمبالغة، واسْتفْراغ ما في الْوسْع والطّاقة منْ قوْل أو فعْل[4].

إن لفظة (الجهاد) بكسر الجيم تختلف في المعنى اللغوي عنها بفتح الجيم، أما بالكسر فقد ذكرنا المعنى سابقا، وأما الجهاد بالْفتْح فهو الأرض الصّلْبة، وقيل: هي الّتي لا نبات بها[5].

الجهاد شرعاً: اختلفت عبارات الفقهاء الأقدمين والمعاصرين في التعبير عن مفهوم الجهاد، غير أن جوهر المعنى متقارب، وهاك خمسة منها:

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي ص 208، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: الزاوى والطناحي، ج1/ 320، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الحموي، ج1/ 112، وتاج العروس، الزبيدي، ج7/ 534،

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص: 208، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: الزاوى والطناحي، ج1/ 320، ومختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص 63، وتاج العروس، الزبيدي، ج7/ 534.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج2/ 439.

(4) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج3/ 135، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج2/ 461.

(5) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج2/ 461، ولسان العرب، ابن منظور، ج3/ 134،

1- هو بذْل الْوسْع والطّاقة بالْقتال في سبيل اللّه – عزّ وجلّ – بالنّفْس، والْمال، واللّسان، أوْ غيْر ذلك، أوْ الْمبالغة في ذلك[1].

2- "قِتَالُ مُسْلِمٍ كَافِرًا غَيْرَ ذِي عَهْدٍ؛ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، أَوْ حُضُورُهُ لَهُ، أَوْ دُخُولُهُ أَرْضه لَهُ"[2].

3- وقالوا أيضاً: "هو المبالغة في إتعاب الأنفس في ذات الله، وإعلاء كلمته التي جعلها طريقاً إلى الجنة، وسبيلاً إليها"[3].

4- " قِتَالُ الْكُفَّارِ خَاصَّةً، بِخِلَافِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ الْبُغَاةِ، وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، وَغَيْرِهِمْ"[4]

وعرّف ابن تيميه الجهاد بقوله: " الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله، من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان"[5].

يرى الباحث من خلال استعراض تعريفات الجهاد السابقة، أنها تختلف في الألفاظ دون المعنى، وأنها تدور حول مجاهدة أعداء الإسلام؛ لإعلاء راية التوحيد خفاقة في العالمين، غير أن تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية شمل كل أنواع الجهاد، فيشمل جهاد الإنسان لنفسه، وإرغامها على طاعة الله تعالى؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وكذلك جهاد الشيطان الذي يعمل جاهداً؛ ليضل الناس، وكذلك جهاد الكفار والمنافقين، وكل من يقف في طريق الإسلام، وكل ذلك في سبيل الله تعالى.

ثانياً: مشروعية الجهاد:

من الكتاب:

وردت الآيات الكثيرة الدالة على مشروعية الجهاد، أذكر بعضاً منها:

1- قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ [البقرة: 216] .

---

(1) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، ج7/ 97، والدر المختار وحاشية ابن عابدين، ابن عابدين، ج4/ 121.

(2) حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني، العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج2/ 3.

(3) المقدمات الممهدات، ابن رشد القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد حجي، ج1/ 341، والتاج والإكليل لمختصر خليل، الغرناطي، ج4/ 536.

(4) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى بن سعد بن عبده، ج2/ 497.

(5) مجموع الفتاوى، ابن تيميه، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج10/ 191-192.

2-وقوله تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: 29].

3-وقوله تعالى: ﴿**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: 41] .

إن الله أذن لرسوله بقتال من يقاتله من المشركين، ثم أذن له بقتال المشركين عامة، ثم فرض الله الجهاد[1].

من السنة:

1- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[2].

2- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**»[3].

3- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضاً، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ : **مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟، قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى**»[4].

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج6/ 384.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الغَدْوَة وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاب قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ 4/ 17: رقم الحديث 2792، وصحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ فَضْل الْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، 3/ 1499: رقم الحديث 1880.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ دَرَجَات المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، 4/ 16: رقم الحديث 2811.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ فَضْل الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، 3/ 1498: رقم الحديث 1878.

4- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– كذلك، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ، فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ، اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[1].

والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة جداً؛ لأن قيام الدين به، وهو ذروة سنام الإسلام .

ثالثاً: أقسام الجهاد:

قسّم العلماء الجهاد إلى أقسام كثيرة، وأكثر هذه الأقسام شمولاً تقسيم شيخ الإسلام ابن القيم، حيث قسمه إلى أربع مراتب: " جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين"[2].

وقد قسّم ابن الحاج[3] الجهاد إلى أربعة أقسام، وهي: " جِهَادٌ بِالْقَلْبِ، وَجِهَادٌ بِاللِّسَانِ، وَجِهَادٌ بِالْيَدِ، وَجِهَادٌ بِالسَّيْفِ"[4]، وهذا التقسيم لا يتعارض مع تقسيم ابن القيم؛ حيث إن الجهاد بالقلب هو جهاد النفس والشيطان، والجهاد بالسيف هو جهاد الكافرين، والجهاد باللسان هو جهاد المنافقين، والجهاد باليد هو جهاد أهل البدع والمنكر، وهذا القسم يدخل ضمن الجهاد بالسيف، كما أن ابن الحاج يتناول آلات الجهاد، بينما يتحدث ابن القيم عن أصناف من نجاهدهم، فلا تعارض ولا تناقض، بل تكامل وتكافل، وإليك بيان مراتب الجهاد بصورة مختصرة:

1 – جهاد النفس: وهو جهادها على العلم النافع، والعمل الصالح، ومجاهدة النفس إنما تكون بحملها على تنفيذ أمر الله، وزجرها عما نهى عنه، وكذلك حملها على الجهاد في سبيل الله بكل أنواعه، وعلى الدعوة إلى الله، والصبر على الأذى، وهو نقطة البداية لجهاد الأعداء،

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، فضائل الجهاد/ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، 4/ 181: رقم الحديث 1650. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج3/ 9.

(3) محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي ثم المصري، المالكي، المعروف بابن الحاج، من أصحاب الشيخ عبد الله بن أبي حمزة، ألف كتاباً في البدع والحوادث، وكان متزهداً متعبداً، مات سنة 737هـ. انظر: طبقات الأولياء، ابن الملقن، ص 470–471.

(4) المدخل، ابن الحاج، ج3/ 26.

كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: 40–41] فقد قدّم الله تعالى الخوف منه على نهي النفس عن الهوى، والسبب في ذلك، كما يقول الرازي: "ولمّا كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى، لا جرم قدم العلة على المعلول"[1] وعن فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ**»[2].

قال ابن القيم: "إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، وسمعت شيخنا[3] يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً، حتى يخرج إليهم"[4]، فمن انتصر على نفسه الأمارة بالسوء أمكن أن ينتصر على عدوه، ومن انهزم أمام عدوه، فإن بني إسرائيل هزمتهم بطونهم وشهواتهم، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم.

2 – جهاد الشيطان: إن العلاقة بين الشيطان والإنسان هي علاقة العداوة، وقد أمرنا الله– عزّ وجلّ– أن نتّخذه عدوّاً، فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ [فاطر: 6]. وقد وجب على العبد مجاهدته؛ لأنّ مجاهدة الشيطان تمهّد الطريق لمجاهدة النفس التي بين جنبيه، ومن ثم مجاهدة الكفّار والمنافقين، ولا يمكن جهادهما إلّا بمجاهدة الشيطان، ولجهاد الشّيطان، كما يقول ابن القيّم[5]، مرتبتان:

الأولى: دفع ما يلقي الشيطان إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، وهذا الجهاد يكون بعده اليقين.

الثانية: جهاد الشيطان على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، وهذا الجهاد يكون بعده الصبر.

3 – جهاد أصحاب الظلم والبدع والمنكرات: ويكون باليد إذا قدر؛ فإن عجز فباللسان؛ فإن عجز فبالقلب، حسب الحال والمصلحة.

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج31/ 50.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، فضائل الجهاد/ بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، 4/ 165: رقم الحديث 1621. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(3) يَعْنِي شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ.

(4) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، ص 478.

(5) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج3/ 10.

4 – جهاد الكفار والمنافقين: قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التوبة: 73]، [التحريم: 9]

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَأَنْفُسِكُمْ، وَأَلْسِنَتِكُمْ** "[1]

قد قسّم ابن القيم جهاد الكفار والمنافقين إلى أربع مراتب: "بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان"[2].

أ– أما جهاد القلب فيكون ببغضهم وعداوتهم في الله تعالى، فمَن أحب في الله، وعادى في الله؛ فقد ذاق طعم الإيمان وحلاوته.

ب–وأما جهاد اللسان فأعظم ما يكون من العلماء العاملين، والأئمة الصديقين، والشعراء، والأدباء؛ فإن أعداء الله يحتاجون إلى جهاد الكلمة.

ج– وأما الجهاد بالمال فهو لا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس في القرآن وقرينه[3]؛ بل جاء الجهاد بالمال مقدمًا على الجهاد بالنفس في كل مواضع القرآن إلا موضعًا واحدًا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** ﴾ [التوبة: 111]، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحث على الإنفاق في سبيل الله، منها قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة: 195].

وقوله أيضاً: ﴿**وَما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى**﴾ [الحديد: 10]، وكان الصحابة –رضوان الله عليهم– أسخى الناس بأموالهم في سبيل الله، فهذا أبو بكر ينفق كل ماله في سبيل الله، ونحن اليوم في فلسطين أحوج ما نكون إلى مساندة إخواننا لنا بالمال؛ للصمود في وجه أعدائنا اليهود، ومن في حبالهم من العبيد ذوي الطبع البليد.

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند أنس بن مالك، 19/ 272: رقم الحديث 12246. إسناده صحيح: ينظر: الألباني، صحيح سنن أبي داود 265/7ح2262.

(2) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج3/ 10.

(3) انظر المرجع السابق، ج3/ 64.

د- وأما الجهاد بالنفس فهو أعلى مراتب الجهاد، وأعظمها قدرًا، وأعلاها شأنًا، وهل يملك الإنسان أغلى من نفسه، فيجود بها من أجل إعلاء كلمة الله؟!، فعن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ**»[1].

إنّ من حاز كل هذه المراتب فهو أفضل الناس وأكملهم، كما قال ابن القيم: " أكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد"[2].

المطلب الثاني : أصحاب الأعذار في القعود عن الجهاد في سبيل الله

بعدما تعرفنا على الجهاد لغة واصطلاحاً، وعلى مشروعيته، وأقسامه، نتعرف في هذا المطلب على أصناف من الناس، عذرهم القرآن عن الجهاد في سبيل الله؛ فقد ذكرت سورة الفتح ثلاثة أصناف منهم، هم: الأعمى، والأعرج، والمريض، قال تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: 17] وقد ذكر الرازي شيئاً من التفصيل عن الأعذار[3]، ولا أرى حاجة لاستنساخ تلك التفاصيل؛ لما فيها من الإطناب والتطويل؛ فليرجع إليها من رام الدليل والتعليل، وكان في المطالعة ذا نفس طويل.

وقد أوضح الله تعالى في هذه الآية الكريمة من يجوز له التخلف عن الجهاد؛ بسبب العلل التي تمنعهم من تأدية واجب الجهاد على أكمله، وهم ثلاثة أصناف استثناهم الله تعالى، ليس عليهم حرج إذا تخلفوا عن الجهاد مع المؤمنين، هؤلاء من ذوي العاهات في التخلف عن الغزو؛ للعذر الذي نزل بهم[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان/ الجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ، 1/ 16: رقم الحديث 36.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ج3/ 11.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 78.

(4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج22/ 222. الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ج11/ 6953، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج4/ 339، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 109، وفتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، ج13/ 104.

إنّ الله تعالى لم يكلّف الناس، أو يحمّلهم مالا يطيقون من الأعمال؛ بل جعل هذا الدين مبنياً على رفع الحرج؛ رحمة بهم، فقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: 6] " وفيه إشارة صريحة إلى أن فريضة الجهاد مرفوعة عن أصحاب المعاذير وقت عذرهم"[1]، وقد مضى تعريف الجهاد، بأنه بذل الجهد والطاقة والوسع، فمن لم يستطع لا يكلفه الله إياه، كما قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]. قال ابن عطية: " فالفرض متوجه بحسب الوسع"[2]، وإليك أهم تلك الأعذار باختصار:

أولاً: الضعف في البدن: إنّ الله تعالى عذر عن الخروج للجهاد في سبيل الله من فقد القدرة على ذلك؛ بسبب ضعف في بدنه، من عمى، ومرض، وعرج، وشلل، وقطع رجل أو يد، وشيخوخة[3]، ونحوها، مما يعيقه عن الكر والفر، فقال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ** ﴾ [التوبة 91-92].

قال القرطبي رحمه الله: "الآية أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شيء سقط عنه، ولا فرق بين العجز من جهة القوة، أو العجز من جهة المال"[4]، وقال ابن كثير رحمه الله: الأعذار التي لا حرج على من قعد فيها عن القتال، منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجِلاد في الجهاد، ومنه العمى، والعرج، ونحوهما، ولهذا بدأ بما هو عارض بسبب مرضٍ عنّ له في بدنه، شغلَه عن الخروج في سبيل الله[5].

ثانياً: عدم القدرة المادية:

من الأعذار المبيحة للتخلف عن الجهاد الفقر الذي لا يتمكن معه المجاهد من الإنفاق على نفسه، من شراء سلاح، وما يركبه ذهاباً وإياباً، ودليل ذلك الآية السابقة من سورة التوبة، وقد قال عنهم ابن كثير: " بسبب فقر لا يقدر على التجهز للحرب، فليس على هؤلاء حرج إذا

---

(1) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج9/ 5037.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج5/ 133.

(3) انظر: المهذب في فقه الإمام الشافعي، الشيرازي، ج3/ 267.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج8/ 226.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج4/ 198.

قعدوا ونصحوا في حال قعودهم، ولم يرجفوا بالناس، ولم يثبطوهم"[1] وقد اشترطت الآية للقاعدين عن القتال؛ بسبب الضعف البدني، والعجز المالي، أن يكونوا ناصحين لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، داعين للمجاهدين بالنصر والتمكين.

كان المفلس معذوراً يوم كان المسلم مكلفاً أن يجهز نفسه من ماله الشخصي، أما اليوم فإن الجيوش تُجهز تجهيزاً كاملاً من قبل الدولة؛ بل إن الجنود يتقاضون رواتب شهرية بمجرد انخراطهم في الجيش، وكلما حصلوا على رتبة أعلى ارتفعت تلك المكافآت أكثر فأكثر؛ فضلا عن امتيازات أخرى، ونثريات لا يعلمها إلا الله، لا سيما في البلاد التي يحكمها العسكر؛ فتتحول إلى مزرعة خاصة بهم، أو محمية طبيعية لهم، ولمن يمضي في ركبهم.

والآية يمكن أن تتنزل على حركات التحرر، والدفاع عن النفس؛ إذا لم يكن لها احتضان داخلي شعبي، أو خارجي من شعوب الأمة، وأحرار العالم.

ثالثاً: الجنون:

إنّ من شروط التكليف قدرة المكلَّف على العلم بما يُكَلَّف به، والخطاب إنما يوجه إلى العاقل، فالمجنون ليس أهلاً للتكليف؛ لأن القلم مرفوع عنه ؛فعن عَلِيّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ** "[2].

قال الآمدي[3] -رحمه الله-: " "اتَّفَقَ الْعُقَلَاءُ عَلَى أَنَّ شَرْطَ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا فَاهِمًا لِلتَّكْلِيفِ؛ لِأَنَّ التَّكْلِيفَ وَخِطَابَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا فَهْمَ، مُحَالٌ ؛كَالْجَمَادِ، وَالْبَهِيمَةِ"[4]، "فَلَا جِهَادَ عَلَى صَبِيٍّ وَمَجْنُونٍ لِعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِمَا لَهُ"[5].

---

(1) المرجع السابق، ج4/ 198.

(2) مسند أحمد، أحمد، مسند عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، 2/ 254: رقم الحديث 940. وسنن الترمذي 32/4 ج1423 . وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(3) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي سيف الدين الآمدي شيخ المتكلمين في زمانه، ومصنف الأحكام، ولد بآمد بعد الخمسين وخمس مائة، وقرأ بها القراءات توفي في صفر سنة إحدى وثلاثين وست مائة. انظر: طبقات الشافعيين، ابن كثير، ص ص: 833-834.

(4) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ج1/ 150.

(5) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، السنيكي، ج2/ 209.

رابعاً: الصبا:

إنّ الصبي غير مكلف بجميع العبادات، وإن كان محبباً تمرينه على بعضها؛ كالصلاة ،والصوم، بعد أن يميز؛ لرفع القلم عنه، فعَنْ عَلِي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " **رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ: عن الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُصَابِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ**".

خامسا: الرق:

إن العبد المملوك لا يملك قراره؛ فهو مأمور بطاعة سيده، ولا يجوز له أن يعصيه، مادام لم يأمره بمعصية، والعبد المملوك الذي يجمع بين طاعة ربه، وطاعة سيده، له أجران، فقد روى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ"، (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي؛ لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ)[1]، وقوله: (والذى نفسى بيده...)، "هو من قول أبى هريرة، وفيه دليل أنه ليس على العبد جهاد، ولا حج، في حال العبودية"[2].

سادساً: الأنوثة:

لا يجب الجهاد على المرأة؛ لِأَنَّ بِنْيَتَها لَا تَحْتَمِلُ الْحَرْبَ عَادَة، فإنه "لَا جِهَادَ عَلَى صَبِيٍّ، وَمَجْنُونٍ ،وَامْرَأَةٍ"[3]؛ لأن من شروط وجوب الجهاد "الذكورية"، فجهاد المرأة الحج؛ لما رُوِي عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ؛ أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لاَ؛ لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»**[4]، ولكن هذا الأمر في حال كان الجهاد جهاد طلب، أما في حال جهاد الدفع؛ فتخرج الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ إذْنِ زَوْجِهَا.

قال الكاساني: إذا عمّ النّفير؛ بأن هجم العدوّ على بلد، فهو فرض عين يفترض على كلّ واحد من آحاد المسلمين ممّن هو قادر عليه؛ لقوله سبحانه وتعالى ﴿**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالًا**﴾

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، العتق/ العَبْد إِذَا أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ سَيِّدَهُ، 3/ 149: رقم الحديث 2548.
(2) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ج7/ 66.
(3) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، ج7/ 98، ومنهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه، النووي، تحقيق: عوض ص: 307، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني، ج6/ 18.
(4) صحيح البخاري، البخاري، الحج/ فَضْل الحَجِّ المَبْرُورِ، 2/ 133: رقم الحديث 1520.

[التوبة: 41] ؛ فيخرج العبد بغير إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها؛ والولد يخرج بغير إذن والديه[1].

سابعاً: عدم إذن الوالدين:

إن عدم إذن الوالدين للابن من الأعذار الشرعية المبيحة للتأخر عن الجهاد؛ لوجوب طاعة الوالدين في غير معصية الله؛ فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، **فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»**[2] ، يدل الحديث على أن قيام الولد بحق والديه جهاد مقدم على الجهاد في سبيل الله، فلا يجوز له الخروج إلا بإذنهما.

وللعلماء كلام كثير في هذا الموضوع ملخصه أن الرسول ﷺ لم يأذن له بالجهاد؛ لأنه لم يكن فرض عين؛ بل فرض كفاية، فهو في حقه مندوب؛ بخلاف حق الوالدين؛ فإنه فرض عين عليه، وفرض العين مقدم على فرض الكفاية، أما إذا كان الجهاد جهاد دفع؛ فقد قال ابن قدامة: " إِذَا وَجَبَ عَلَيْهِ الْجِهَادُ، لَمْ يُعْتَبَرْ إذْنُ وَالِدَيْهِ؛ لِأَنَّهُ صَارَ فَرْضَ عَيْنٍ، وَتَرْكُهُ مَعْصِيَةٌ"[3].

ثامناً: الدَّين:

ليس للمدين أن يخرج إلى الجهاد في سبيل الله بدون إذن دائنه؛ لأن ذنوب الشهيد تُكفّر عنه ما عدا الدين؛ فعن أبي قتادة قال: قال رجل: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ»[4]؛ فقد دلّ على أن الشهيد يغفر له جميع ذنوبه إلا ذنب الدين، وذلك لا يستلزم عدم جواز الخروج إلى الجهاد إلا بإذن الدائن؛ بل إن أحبَّ المجاهد أن يكون جهاده سبباً لمغفرة كل ذنب، استأذن صاحب الدين في الخروج، وإن رضي بأن يبقى عليه ذنب واحد منها؛ جاز له الخروج بدون استئذان[5].

---

(1) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، ج7/ 98.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير/ الجِهَاد بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ، 4/ 59: رقم الحديث 3004.

(3) المغني، ابن قدامة، ج9/ 209.

(4) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ كُفِّرَتْ خَطَايَاهُ إِلَّا الدَّيْنَ، 3/ 1501: رقم الحديث 1885.

(5) انظر: المجموع شرح المهذب، النووي، ج19/ 275، ونيل الأوطار، الشوكاني، ج7/ 262.

المطلب الثالث: الآثار التربوية المترتبة على الجهاد:

إن لإقامة الجهاد في سبيل الله آثاراً تربوية كثيرة أذكر تسعة منها وهي:

أولًا: إعزاز المسلمين، وإذلال الكافرين:

هذا أثر مهم للغاية؛ لأن ترك الجهاد يُفضي إلى ظهور الكفار على المسلمين، وإظهار كلمة الكفر، وذلك أعظم الفساد؛ قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴾ [محمد: 22]، فترك الجهاد ينتج عنه مفسدة عظيمة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رضي الله عنهما –، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ**[1]**، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ**[2]**، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[3].

دل الحديث على أن القوم الذين تركوا الجهاد فتح الله عليهم باب ذلة فلا يغلقه حتى يراجعوا ما تركوه، وقد جعل الجهاد الدين، وأن الذلة لازمة لمن تركه[4].

إنّ الأمة التي تنام عن الجهاد، ولا تقوم لدفع الذل والمهانة عن نفسها، وتجبن أمام تسلُّط أعدائها عليها، تُعد أمة ضائعة، ليس لها مكانة، فالجهاد إعزاز لها ورفعة.

ثانياً: تآلف القلوب، وتوحد الصفوف:

إن الجهاد يجمع الفئات المختلفة لمحاربة العدو؛ لأن عدونا لا يفرق بين مسلم وآخر، وقد أمرنا الله بقتال العدو موحدين، فقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾ [الصف: 4].

---

(1) إذا تبايعتم بالعينة: بِكَسْر الْعين الْمُهْملَة وَسُكُون التَّحْتِيَّة، أَن يَبِيع سلْعَة بِثمن لأجل ثمَّ يَشْتَرِيهَا مِنْهُ بِأَقَلّ مِنْهُ، التيسير بشرح الجامع الصغير، الحدادي، ج1/ 84.

(2) وأخذتم أَذْنَاب الْبَقر: كِنَايَة عَن الِاشْتِغَال بالحرث، التيسير بشرح الجامع الصغير، الحدادي، ج1/ 84.

(3) سنن أبي داود، أبو داود، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ الْعِينَةِ، 3/ 274: رقم الحديث 2462. إسناده صحيح: ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني 42/1.

(4) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، تحقيق: محمَّد إبراهيم، ج1/ 617.

قال مكي بن أبي طالب[1]: "إن الله يقبل عمل الذين يقاتلون أعداءه على الدخول في دينه مصطفين؛ كأنهم بنيان مرصوص، كأنهم في اصطفافهم حيطان مبنية، قَدْ رُصَّ بناؤها، وأحكم في استوائه"[2]، ونحن في فلسطين ما يوحد صفوفنا إلا مقاومة أعدائنا، أما المشاريع السياسية؛ فهي التي تحدث الشرخ والانقسام في علاقاتنا الداخلية، خاصة وأن الذين تولوا كبر ذلك، قد تفردوا به دون الرجوع إلى الشعب، وحركاته المجاهدة، وكأنهم يتصرفون في أملاكهم.

ثالثاً: بث الأخلاق الكريمة في النفوس:

إن الجهاد يربّي النفس على التحلي بالأخلاق الفاضلة، وعلى رأسها الصبر؛ لأن طريق الجهاد طريق طويل وشاق، " إن الجهاد سنام العمل، وبه انتظام سنام جميع الأحوال الشريفة، ففيه سنام المحبة، والتوكل، والصبر؛ فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[النحل: 42]؛ ولهذا كان الصبر واليقين – اللذان هما أصل التوكل – يوجبان الإمامة في الدين، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** ﴾[السجدة: 24]، وفي الجهاد أيضاً حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفيه أيضاً حقيقة الإخلاص؛ لأنه يقاتل؛ ليكون الدين كله لله؛ ولتظل كلمة الله هي العليا، وهي كذلك دائماً[3].

رابعاً: الصلاح والهداية والرشاد:

قال الله: ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾ [محمد: 5] قال القرطبي: أي: "سيهدي من بقي منهم؛ أي يحقق لهم الهداية"[4].

وقال الخازن: " سيهديهم: يعني أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات العلى، ويصلح بالهم، ويرضى أعمالهم، ويقبلها، ويدخلهم الجنة عرفها لهم"[5].

---

(1) أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ؛ أصله من القيروان، ولد 355هـ، وانتقل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، كان حسن الفهم والخلق جيد الدين والعقل، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها، له تصانيف كثيرة نافعة، منها: " الهداية إلى بلوغ النهاية " توفي سنة 437هـ. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5/ 274-577.

(2) الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، ج11/ 7438.

(3) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج28/ 441-442.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج16/ 230.

(5) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين ج4/ 141.

وقال ابن تيمية عن سبب تسمية الجهاد بسنام الإسلام؛ لأن: " الله جعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله، ودل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: 69] [1].

خامساً: إسعاد الناس بنور الإسلام، وعدله، ورحمته:

إن الجهاد في سبيل الله يحقق الرحمة للبشرية في الأرض، ويدفع الظلم والاعتداء، ويسعد الناس بهذا الدين، ويُخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور العلم والهداية والتوحيد، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257] [2]، وقد كان ذو القرنين يستخدم جيوشه وقوته كوسيلة من وسائل الدعوة، ونشر العدل بين الناس، ورفع الظلم عنهم، ومحاربة أهل الفساد، وهذه في الحقيقة هي أهم آثار الجهاد في سبيل الله.

سادساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الجهاد في سبيل الله يُعد قمة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ووصف الله تعالى هذه الأمة بصفات القيادة الرشيدة في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، قال الإمام القرطبي: هذا "مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر؛ زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم، وكان ذلك سبباً لهلاكهم"[3].

إن الله يريد لهذه الأمة أن تقود البشرية للخير، ولصيانة المجتمعات من عناصر الفساد، وبنائها على أسس من القيم والمبادئ، والاعتقادات، والنظم، والأخلاق، والمعارف، والعلوم المستمدة من المنهج الرباني الحكيم، وهذه الأهداف النبيلة تجعل قيادة الأمة تجاهد قوى الظلم؛ ويتم بذلك القضاء على شوكة الباطل، فنحن لا نقاتل الكفار طمعاً في أموالهم، أو في بلادهم؛

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج28/ 441-442.

(2) انظر: أصول الدعوة وطرقها 4، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص 322.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج4/ 173.

وإنما نقاتلهم لأجل مصلحة البشرية؛ ولنشر الإسلام والرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] [1].

سابعاً: الدفاع عن الحق:

إن حقوق المسلمين قد اعتُدي عليها اليوم من أحقر البشر، وما ذلك إلا لتخلي الأمة عن الدفاع عن إخوانهم المستضعفين، ففعل فينا اليهود الأفاعيل، فاحتلوا أرضنا المقدسة، ودنسوا مسجدنا المبارك، وقتلوا نساءنا وأطفالنا وشيوخنا، وهدموا بيوتنا على رؤوسنا، وهكذا يحدث مع المسلمين في بقاع الأرض، من قتل بأبشع الطرق، وحرق لبيوتهم وأموالهم، واغتصاب لنسائهم، فمن سيشفي صدورنا؟ والجواب فيما قال الله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:14 – 15]، فشفاء الصدور يكون بالجهاد في سبيل الله، كما قال المنذري[2]: "خلاصة فوائد الجهاد في سبيل الله الدفاع عن الحق"[3].

ثامناً: الأخذ بالعزيمة:

إن الجهاد يربّي المسلم على الأخذ بالعزيمة؛ للوصول إلى أهدافه السامية، وكذلك قهر النفس، مع أن الله تعالى قد عذر أصحاب الأعذار؛ إلا أن بعضهم لم يرض أن يقعد مع القاعدين، مثال ذلك عبدالله بن أم مكتوم؛ فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: 95]، قال ابن أم مكتوم: اللهم أنزل عذري، فنزلت (غير أولي الضرر)، فوضعت بينهم، وكان بعد ذلك يغزو، ويقول ادفعوا إلي اللواء ويقول: أقيموني بين الصفين؛ فإني لا أستطيع أن أفر[4].

---

(1) انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج4/ 2148، وأصول الدعوة وطرقها 4، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص 319، وشرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، صالح الفوزان، ص 126.

(2) عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري: عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين. له " الترغيب والترهيب " و" التكملة لوفيات النقلة "، ولد في مصر 581هـ، وتوفي فيها 656هـ. انظر البداية والنهاية، ج13/ 245.

(3) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، ج2/ 340.

(4) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ابن عاشور، ج3/ 370.

وهذا عمرو بن الجموح كان شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ إِذَا غَزَا، فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللهِ يَتَوَجَّهُ إِلَى أُحُدٍ، قَالَ لَهُ بَنُوه: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ، فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ، فَأَتَى عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَسُولَ اللهِ ؛ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إنّ بَنِي يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْخُرُوجِ مَعَك، وَاَللهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ الْجَنّةَ، فقال رسول الله : "**أَمّا أَنْتَ، فَقَدْ عَذَرَك اللهُ تَعَالَى وَلَا جِهَادَ عَلَيْك، فَأَبَى فَقَالَ النّبِيّ لِبَنِيهِ: لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَمْنَعُوهُ، لَعَلّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشّهَادَةَ،** فَخَلّوْا عَنْهُ" فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ شَهِيدًا[1].

تاسعاً: إرهاب العدو:

قال الأصفهاني: من فوائد الجهاد إرهاب العدو[2]؛ فقد قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: 60]، فقد بيّنت هذه الآية الكريمة أن هدف الإعداد هو إرهاب العدو وردعه عن ارتكاب أي حماقة بحق المسلمين، وإذلالُهم، وإنزالُ الرعب في قلوبهم، وتطهيرُ الأرض من ظلمهم، "فإن العدو إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه، ولم يجرؤ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمناً، من أن يغزوهم أعداؤهم"[3].

إن على الأمة أن تعد العدة، وتستعد لمواجهة الأعداء، بجميع أوجه الإعداد المادي، والمعنوي، والفني، والمالي، بما يناسب كل عصر وزمان، فإرهاب العدو سبيله الإعداد.

قال سيد قطب: إنه يجب على المعسكر الإسلامي إعداد العدة دائماً، واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لترهب جميع القوى المبطلة، فتهاب أن تهاجم دار الإسلام[4].

---

(1) المغازي، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ج1/ 264.

(2) انظر: التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب، الأصفهاني، تحقيق: محمد مظهر بقا، ج3/ 407 .

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/ 56.

(4) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج3/ 1538.

المبحث الرابع

الحذر من الحسد

إن الحسد مرض خطير، وشر مستطير، وعلة فتاكة تضر بالإنسان وربما تقتله، وهو حليف الباطل، وضد الحق، منه تتولد العداوة، وهو سبب كل خصومة، وقطيعة رحم، ومحدث الفتنة بين القرناء، وملقح كل شرٍ بين الحلفاء[1]، وهو من أمراض القلوب؛ لأنه لا يطلع على ما في قلب الحاسد إلا الله تعالى، يصيب ضعاف الإيمان من الناس، وقد حذرنا الله منه، ووصفه بالشر؛ فقال تعالى: ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق: 5]، وقد قيل: " الحسد شر الأخلاق "[2].

إن الحسد أول خطيئة حدثت عندما حسد إبليس أبانا آدم ، فعصى أمر الله بالسجود له، وكذلك الحسد كان سبب أوّل جريمة قتل حدثت في الأرض، عندما حسد أحد ابني أبينا آدم أخاه فقتله، وقد ورد الحسد في سورة الفتح؛ فقال الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الفتح: 15]، أي: سيجيبكم أولئك الأعراب بأنكم حسدتموهم، وسيقولون ما يمنعكم من خروجنا معكم إلا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة، وليس ذلك حكماً من الله كما تزعمون[3].

وفي هذا المبحث ثلاثة مطالب كما يلي:

---

(1) انظر: الرسائل الأدبية، الجاحظ، ص 116.

(2) لطائف الإشارات، القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ج3/ 786.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، ج13/ 102.

المطلب الأول: تعريف الحسد لغة اصطلاحاً.

الحسد لغة: يقال: حَسَدَه يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حَسَداً وحَسَّدَه: إذا تَمَنَّى أَن تَتَحَوَّلَ إِليه نِعْمَتُهُ وَفَضِيلَتُهُ، أَو يُسْلَبَهُمَا هُوَ(1).

الحسد اصطلاحاً:

هو "تمني زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، سواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا"(2).

وقيل: أصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود، وتمني زوالها(3).

وقيل: الحسد: اخْتِلَاف الْقلب على النَّاس لِكَثْرَة الْأَمْوَال والأملاك(4).

يتضح مما سبق أن أهل العلم يستعملون المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي، ويتبين أيضاً أن الحسد اصطلاحاً هو تمني زوال النعمة عن الآخرين، سواء انتقلت النعمة إلى الحاسد أم لا.

المطلب الثاني : أسباب الحسد وعلاجه:

في هذا المطلب فرعان كما يلي:

أولاً: أسباب الحسد: إن للحسد أسباباً كثيرة، نجمل أهمها في ثمانية بنود:

1-**العَدَاوَةُ وَالبَغضَاءُ:**

وهذا هو أشدّ أسباب الحسد؛ فإنّ من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرض بوجه من الوجوه؛ أبغضه قلبه، وغضب عليه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفّى بنفسه؛ أحبّ أن يتشفّى منه الزّمان، وإن أصابت عدوّه بليّة فرح بها، وظنّها مكافأة له من جهة اللّه على بغضه، وإن أصابته نعمة ساءه ذلك، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وتستوي عنده مسرته ومساءته(5).

---

(1) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: هنداوي، ج3/ 176، ولسان العرب، ابن منظور، ج3/ 148، والقاموس المحيط، الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص: 277، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج1/ 172.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيشج2/ 71.

(3) انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم، ج2/ 233، والتعريفات، الجرجاني، ص: 87، وموسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، ج2/ 123.

(4) الكليات، الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ص 408.

(5) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 192.

إن الحسد والحقد هما السببان الرئيسان لعدم اتباع اليهود رسولنا محمداً ﷺ،كما قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: 109]؛ أي: أراد اليهود أن تكون النبوة فيهم، وأن يتبعهم الناس، وعندما كانت النبوة في غيرهم؛ رفضوا دعوة سيدنا محمد ﷺ، وكل ذلك سببه الحسد والكراهية على ما أعطاكم الله من التوفيق، ووهب لكم من الرشاد لدينه، والإيمان برسوله، وخصكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم(1).

وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: 118]؛ أي: "يظهرون لكم العداوة والبغضاء أثناء الكلام، وما تخفي صدورهم من الحسد والحقد والبغضاء للإسلام وأهله أشد وأكثر مما يظهرون"(2).

وقال الشوكاني: "قد ظهرت البغضاء في كلامهم، لأنهم لما خامرهم شدة البغض والحسد؛ أظهرت ألسنتهم ما في صدورهم، فتركوا التقية، وصرحوا بالتكذيب"(3).

2-الخوف من فوت المقاصد:

إن ذلك يقع غالباً بين الأقران، والأمثال، والإخوة، وبني العم؛ لأن سبب التحاسد توارد الأغراض، والتزاحم على مقاصد يحصل فيها؛ فيثور التنافر والتباغض، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الانفراد بمقصوده، ومن هذا الجنس: تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين؛ للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد؛ لنيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه؛ لنيل المنزلة من قلبه؛ للتوصل به إلى المال والجاه، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة؛ إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم(4).

---

(1) انظر: تفسير مجاهد، مجاهد، تحقيق: محمد أبو النيل، ص 254، وجامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ج6/ 501-512.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج4/ 56.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج1/ 431.

(4) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 193، ومختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ص 188.

وقد قال النبي : «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ**»[1]، يوضح هذا الحديث سبباً من أسباب الحسد، وهو المجاورة،

وتكون في كل شيء، سواء في السكن، أو المهنة، فمثلاً: طبيب عظام، وبجواره طبيب عظام آخر، فتجد أحدهما قد يحسد الآخر، ولا يحسد أصحاب المهن الأخرى، فلا يحسد العالم العابد، ولا يحسد التاجر المعلم، إذن فإن وجود القاسم المشترك بين بعض الفئات من المجتمع، أو ما يسمى التنافس بين الأقران في مجال مشترك بينهم؛ قد يدفعهم إلى الحسد؛ إلا من رحم ربك.

3-التَّعَزُّزُ:

"هُوَ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَرَفَّعَ عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية، أو علماً، أو مالاً؛ خاف أن يتكبر عليه، وهو لا يطيق تكبره، ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه، وليس من غرضه أن يتكبر؛ بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه"[2].

4-الكبر:

" وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره، ويستخدمه، ويتوقع منه الانقياد له، والمتابعة في أغراضه؛ فإذا نال نعمة؛ خاف أن لا يحتمل تكبره، ويترفع عن متابعته، أو ربما يتشوف إلى مساواته، أو إلى أن يرتفع عليه، فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه.

ومن التكبر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ؛ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطيء رؤوسنا؟ فقالوا:" لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم"[3]، وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية: " لما جاءهم الحق جاؤوا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها، وهو أن ضموا إلى شركهم معاندة الحق، ومكابرة الرسول ، ومعاداته، والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه، والإصرار على أفعال الكفرة، والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه، بقولهم(لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) [4].

(1) صحيح البخاري، البخاري، مواقيت الصلاة/ الصَّلاَةُ كَفَّارَةٌ، 1/ 111: رقم الحديث 525.
(2) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 193.
(3) المرجع السابق، ج3/ 193.
(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج4/ 247.

وكان من اعتراض سادة قريش على رسول الله أنّ من اتبعه هم الضعفاء والعبيد، فقالوا: ﴿ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: 53]؛ فإن أولئك الكفار الرؤساء الأغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الإسلام، مسارعين إلى قبوله، فقالوا: لو دخلنا في الإسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين، وأن نعترف لهم بالتبعية، فكان ذلك يشق عليهم[1]؛ أي من كبرهم امتنعوا عن اتباع رسول الله ؛ بسبب اتباع الفقراء له، استحقاراً لهم.

إن التكبر هو السبب الذي منع إبليس من السجود لآدم -- حين أمره الله تعالى، وعلل سبب عدم سجوده بقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] .

قال ابن حجر: "الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس؛ فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه له؛ ليرتفع عليه، أو مطلقاً ليساويه"[2].

5-خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى:

إننا نجد بعض الناس المبطلين إذا ذُكِرَ إنسان عنده بخير أساءه ذلك، وإذا ذُكِر بسوء فرح به، فهو أبداً يكره الخير للناس، ويحب لهم الشر والأذى، كأنهم يأخذون الخير من بيته وخزائنه، وهو من فضل الله وجوده.

يقول بعض العلماء في الفرق بين البخل والشح: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره على الناس، والحسود بخيل شحيح: بخيل بنعمة الله على عباده، وَلَيْسَ يقدر على منعهَا مِنْهُ، وَدفعهَا عَنهُ؛ إِذ هِيَ لَيست فِي يَدَيْهِ، وَلَا مفوضة إِلَيْهِ، فيحسده على مَا منحه الله تَعَالَى من عطائه العميم، وفضله الجسيم، وهذا ليس له سبب إلا الخبث في النفس، والرذالة في الطبع[3].

6-حب الرياسة، وطلب الجاه لنفسه:

من أسباب الحسد حب الجاه والرئاسات، فالمنصب الكبير يتنافس عليه المتنافسون، وكل يحسد الآخر حتى لا يصل إلى هذا المنصب، وقد كان حب الرياسة هو السبب الرئيس في الحسد،

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج12/ 543.

(2) فتح الباري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج1/ 166.

(3) انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 194، والمنهج المسلوك في سياسة الملوك، الشيرازي ، تحقيق: علي عبد الله الموسى، ص 429، وسلامة الصدر، القحطاني، ص ص 16-17.

ونفاق عبد الله بن أبي؛ لأنه كان يطمع في أن يتوج ملكاً على المدينة، ولكن وصول النبي إليها منع ذلك؛ فقد دَخَلَ النبي- - عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : " يَا سَعْدُ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟ "، يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ - قَالَ: كَذَا وَكَذَا "، قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اعْفُ عَنْهُ، وَاصْفَحْ عَنْهُ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ؛ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، قد اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ البُحَيْرَةِ[1] عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ، فَيُعَصِّبُوهُ بِالعِصَابَةِ، فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِك[2]، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ، فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ [3].

وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَحَبَّ الرِّئَاسَةَ إِلَّا حَسَدَ وَبَغَى، وَتَتَبَّعَ عُيُوبَ النَّاسِ، وَكَرِهَ أَنْ يُذْكَرَ أَحَدٌ بِخَيْرٍ»[4].

7-ضعف الإيمان، وعدم الرضا بما قسمه الله:

إن الذي حُرم القناعة، ولم يرض بما قسمه الله له، فقلبه يحترق ويتمزق كمداً، كلما رأى أحداً في نعمة، وهو يرى نفسه محروماً منها، ولا يعلم أن الله قدر هذه الأمور، وقسم الأرزاق، فالرضا بما قسمه الله يريح النفس، ويطمئن القلب؛ لأن كل شيء بقضاء الله وقدره، وقد قال بعض الحكماء: "بارزَ الحاسد ربه من خمسة أوجه[5]: منها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت هذه القسمة؟"[6].

8-الجهل بعواقب الحسد وخبثه:

إن الحاسد لا يدرك قبح الحسد وعواقبه الوخيمة، وما يترتب عليه من نتائج سلبية عظيمة على الدين، والنفس، ففي الدين: الحاسد ساخط على أقدار الله، وهو بذلك يصف الله تعالى بالظلم، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً؛ حيث إنه يرى أن الله تعالى أعطى هذا

---

(1) " الْبُحَيْرَة " بِالتَّصْغِيرِ، وَهَذَا اللَّفْظ يُطْلَق عَلَى الْقَرْيَة وَعَلَى الْبَلَد، وَالْمُرَاد بِهِ هُنَا الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة، انظر المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح، المَرِيِّ ، ج3/ 193.

(2) شرق بذلك: أي: غص به، يقال: غص الرجل بالطعام، وشرق بالماء. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج9/ 35.

(3) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن/ {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا} [آل عمران: 186] 40/6: رقم الحديث 4566.

(4) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ج1/ 571.

(5) أما الأربعة المتبقية: 1- إنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.2- إنه ضاد الله، وهو يبخل بفضل الله.3- إنه خذل أولياء الله، ويريد وزوال النعمة عنهم.4- أنه أعان عدوه إبليس.

(6) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ج20/ 575.

ومنعه، فهو ساخط لذلك، وهذا أمر في غاية الخطورة، أما على النفس؛ فالحاسد دائم التفكير بما أنعم الله على غيره، يعيش في كآبة وحزن؛ كلما رأى غيره يتقلب في نعمة الله تعالى، وهو المحروم، فهو دائم الحزن، تعلو وجهه الكآبة.

قال الأصمعيّ[1]: سمعت أعرابيّا يقول: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، حزن لازم، وعقل هائم، وحسرة لا تنقضي [2]؛ فالحاسد مذموم بين الخلق، ملعون عند الخالق، مشكور عند إبليس وأصدقائه، مبغوض عند الخالق وأوليائه، والحاسد لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال في الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال في الآخرة إلا حزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً"[3].

إن هذه أهم الأسباب التي تؤدي إلى الحسد، وقد يجتمع في الحاسد بعض هذه الأسباب، أو جميعها في شخص واحد؛ فيعظم فيه الحسد بذلك، ويقوى قوّة لا يقدر معها على إخفاء الأمر؛ فتظهر العداوة.

ثانياً: علاج الحسد:

بعدما أن وقفنا على الأسباب التي تؤدي للحسد؛ يجدر بنا معرفة العلاج والوقاية من هذا المرض، وإن كان الأمر ليس بالسهل، وقد قيل: "فَإِنْ قِيلَ: هَلْ لِلْحَاسِدِ دَوَاءٌ؟ فَالْجَوَابُ: قَلَّ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ دَوَاءٌ، لِأَنَّهُ جَهُولٌ ظَلُومٌ، وَلَيْسَ يُشْفِي عِلَّةَ صَدْرِهِ، وَيُزِيلُ حَزَازَةَ الْحَسَدِ مِنْ قَلْبِهِ؛ إلَّا زَوَالُ النِّعْمَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتَعَذَّرُ الدَّوَاءُ أَوْ يَعِزّ"[4]، وينقسم هذا الفرع إلى علاج الحاسد، وعلاج المحسود، فهو قسمان:

أ- **علاج الحاسد:** إن خطوات علاج الحاسد كثيرة، أذكر أهمها في أربعة بنود:

---

(1) أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، كان الأصمعي المذكور صاحب لغة ونحو، وإماماً في الأخبار والنوادر، والملح والغرائب، ولد سنة 122هـ، ومختلف في سنة وفاته. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج3/ 170-175.

(2) انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ج2/ 285.

(3) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ج20/ 575.

(4) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ج2/ 285.

1-الإيمان بقضاء الله وقدره:

وهو أن يعلم أن ما يحدث بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يرده بغض باغض، ولا يجره إرادة مريد، وأن الحسد يقدح بالإيمان بالقضاء والقدر؛ حيث كره الحاسد حكم الله، وقسمته في عباده، وكل ذلك لا يجلب ضرر المحسود في دنياه؛ لأن نعمة الله تعالى لا تزول عنه بحسدك، ولا في دينه؛ بل ينتفع به؛ لأنه مظلوم من جهتك؛ فيثيبه الله تعالى على ذلك[(1)].

2-عِلم الحاسد بحرمة الحسد وخبثه:

إن الله تعالى حرّم الحسد؛ فقال سبحانه: ﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق: 5]، قال القرطبي: "تنبيهاً على عظمه، وكثرة ضرره. والحاسد عدو نعمة الله"[(2)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه –، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا**»[(3)]، وفي الحديث "النهي عن الحسد على النعم، وقد نهى الله عباده المؤمنين عن أن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض، وأمرهم أن يسألوه من فضله"[(4)].

3-قول الحاسد إذا رأى ما يعجبه: لا حول ولا قوة إلا بالله، وليدع لأخيه بالبركة:

من الأسباب التي تمنع الحسد، وتقضي عليه، أن الحاسد إذا رأى شيئاً يعجبه فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي هذا تعظيم لله، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [الكهف: 39]، وفي حديث أَبِي مُوسَى –رحمه الله –، عن رَسُولِ اللهِ ، قال: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ**»؟، **قُلْتُ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: «لَا**

(1) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج1/ 365.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج20/ 260.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، 8/ 19: رقم الحديث 6064.

(4) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ج9/ 259.

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[1]، قال القاضي عياض: "هذه كلمة استسلام وتفويض، واعتراف بالعجز، وأن العبد لا يملك مع الله شيئاً[2].

وكذلك الدعاء لصاحبه بالبركة، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ[3]!، فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ[4] بِهِ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيَّ – ﷺ –، فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلًا صَرِيعًا، قَالَ: "مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ؟ "، قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ. قَالَ: "**عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟؛ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ؛ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ**"[5].

4–فعل الأفعال المضادة لمقتضيات الحسد:

إن من بعثه الحسد على القدح والذم في المحسود عوّد لسانه على مدحه، وإن حمله على التكبر عليه عوّد نفسه بالتواضع له، وإن حمله على قطع أسباب الخير سعى في إيصال الخير إليه؛ حتى يصير المحسود محبوباً له، وإن حمله كثرة مال المحسود وأولاده دعا الله تعالى أن يبارك له، وأن يرزقه من خزائنه التي لا تنفد، وهذا يُسمى مراغمة الشيطان؛ لأنَّ الشيطان يفرح لكل خُلق رديء، ويعمل على بقائه في النفس، ويزينه في عين صاحبه بما يلقيه من مبررات باطلة، فإذا قام الإنسان بعمل يناقض هذا الخلق، ولا يتفق وما يقتضيه، كان ذلك بلا شك إغاظة للشيطان، ومراغمة له[6].

ب–علاج المحسود: إن أهم علاج للمحسود يكون بأمرين:

1–الرقية الشرعية: وفيها أحاديث صحيحة، منها هذه الثلاثة:

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، الذكر والدعاء/ اسْتِحْبَابِ خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، 4/ 2077: رقم الحديث 2704.

(2) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، ج8/ 200.

(3) المخبأة: الجارية التي في خدرها، ولم تتزوج بعد؛ لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت، انظر: شرح المشكاة، الطيبي، ج9/ 2972.

(4) لُبِطَ: أَيْ: صُرع وسَقَط إِلَى الْأَرْضِ. يُقَالُ: لُبِط بالرجُل فَهُوَ مَلْبُوط بِهِ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، 226/4.

(5) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، بَابُ الْعَيْنِ، 4/ 542: رقم الحديث 3509. 542: إسناده صحيح، ينظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، الكناني، ج71/4.

(6) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ج1/ 366، وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 99.

– عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «**بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ**»[1].

– وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: " **إِنَّ أَبَاكُمَا**[2] **كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**[3] "[4].

(ج)–وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؛ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي**»[5].

هذه الأحاديث تدلل أن جميع الرقى الجائزة التي تكون بكتاب الله – عز وجل – وذكر الله، أما الكلام غير المفهوم فمنهي عنه؛ خشية أن يكون فيه كفر.

2–الاغتسال بماء وضوء الحاسد أو العائن: وقد تقدم ذلك آنفاً في حديث أبي أمامة عند ابن ماجه؛ حيث قال: "**ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ**[6]**، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ** عَلَيْهِ"[7].

واعلم أنه لا ينتفع بهذا العلاج من أنكره، أو من فعله على سبيل التجربة، وقد يسأل البعض كيف يكون العلاج من ماء استعمله الحاسد؟

يجيب ابن القيم: "إنّ ترياق سمّ الحيّة في لحمها، وإنّ علاج تأثير النّفس الغضبيّة في تسكين غضبها، وإطفاء ناره بوضع يدك عليه والمسح عليه، وتسكين غضبه"[8]

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، السلام/ الطِّبِّ وَالْمَرَض وَالرُّقَى، 4/ 1718: رقم الحديث 2186.

(2) المقصود نبي الله إبراهيم –ﷺ–.

(3) لاَمَّةٍ: كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل. فتح الباري، ابن حجر، ج6/ 410.

(4) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء 4/ 147: رقم الحديث 3371.

(5) صحيح مسلم، مسلم، السلام/ رُقْيَة الْمَرِيضِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَالنَّفْث، 4/ 1723: رقم الحديث 2192.

(6) داخلة الإزار: الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن، فتح الباري، ابن حجر، ج10/ 204.

(7) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، بَابُ الْعَيْنِ، 4/ 542: رقم الحديث 3509.

(8) الطب النبوي، ابن القيم، ص: 127

المطلب الثالث : الآثار التربوية للحسد:

للحسد آثار سلبية، أبرزها سبعة كما يلي:

1- **الاضطراب النفسي للحاسد:** إن الحاسد دائم التفكير بما أنعم الله على غيره، يعيش في كآبة وحزن، كلما رأى غيره يتقلب في نعمة الله، وهو المحروم، فهو دائم الحزن، تعلو وجهه الكآبة، متعكر المزاج، لا يهنأ بعيش، ولا يهدأ له بال، ولا يستقر له قرار، والحسرة ملازمة له، ولا يجني من وراء ذلك إلا الندامة، وتشتت القلب، وفزع النفس، فهذا يؤدي إلى اضطرابات نفسية[1].

قَالَ مُعَاوِيَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: "لَيْسَ فِي خِصَالِ الشَّرِّ أَعْدَلُ مِنْ الْحَسَدِ، يَقْتُلُ الْحَاسِدَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلَى الْمَحْسُودِ"[2].

2- **انتشار الجرائم في المجتمع:** إنّ أول جريمة وقعت على الأرض جريمة القتل، كان سببها الحسد، فقد حمل ابن آدم الأول على غاية القسوة، وبلغ به أقصى حدود العقوق، فأنساه الأخوة، فقتله، فأصبح نادماً، قال تعالى: ﴿**واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 27].

قال ابن كثير في تفسير الآية: بيّن الله تعالى وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في قصة ابني آدم كيف ظلم أحدهما الآخر، فقتله بغياً عليه، وحسداً له[3]، وقال ابن عاشور: "إنما حمله على قتل أخيه حسده على مزية القبول"[4].

فكم في وقتنا من جريمة قتل حدثت؛ سببها التنافس على امرأة، أو منصب، أو تجارة، أو غير ذلك من متاع الدنيا الزائل.

3- **الحسد يمزق المجتمع ويفرقه:**

إن من أسباب الشحناء والضغينة بين أفراد المجتمع الحسد، وهو مرض خطير استشرى في الأمم السابقة؛ فعن الزبير بن العوَّام قال: قال رسول الله ﷺ : "**دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم،**

---

(1) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، ص 609.

(2) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص 270.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج3/ 81.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج6/ 170.

الحسدُ والبغضاءُ، والبغضاء هى الحالقة، حالقةُ الدِّين، لا حالقةُ الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا، أفلاَ أُنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟، أفْشُوا السلامَ بينكم"[1].

وإذا رجعنا إلى ما فعله إخوة يوسف بيوسف ، نجد أن سببه الحسد، قال تعالى مخبراً عنهم، قال تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (8 (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ [يوسف: 8–9]، فحسدوه على تفضيل أبيهم له عليهم، وحبه إياه، فكان منهم ما كان من الكيد له، وإرادة قتله، ثم إلقائه في غيابة الجب، حتى عانى أشد المعاناة، وأصبح مملوكاً، وحصل له ما حصل، فكانت النتيجة تفكك الأسرة، واحتراق قلب سيدنا يعقوب ، وتغرب يوسف عن أهله عدد سنين، كل ذلك سببه الحسد، قال الرازي: "واعلم أنه لما قوي الحسد، وبلغ النهاية، قالوا: لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه، وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين: القتل، أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه، ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك"[2].

4- **الحسد يمنع صاحبه من قبول الحق والإذعان له:** إن الحسد يمنع صاحبه من الانصياع للحق، وهذا ما حدث مع أهل الكتاب، فإنهم لم يُؤْمِنوا بنبوَّة مُحمدٍ -‍-، ولا بالإسلام؛ لأنَّهم حسدوا المسلمين على هذا الإكْرام الإلهيِّ، مع علمهم التام بصدق رسول الله ،

كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: 146]، وقال: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ** ﴾ [البقرة: 109].

وكذلك فإن حسد الكفار لرسول الله ، منعهم من اتباعه، وقد ذكر أبو جهل سبب كفره برسول الله – –، حيث قال: "تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ؛ أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطَوْا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَاثَيْنَا عَلَى الرُّكَبِ، وَكُنَّا كَفَرَسَيْ رِهَانٍ، قَالُوا:

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند الزبير بن العوامِ، 2/ 190: رقم الحديث 1412. إسناده حسن، ينظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، ج634/1.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج18/ 424.

مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُدْرِكُ هَذِهِ؟! وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ"[1]، فقد حمله الحسد الذي ملأ قلبه على الكفر برسول الله -ﷺ-، مع علمهم التام أنه رسول الله ﷺ.

5-اشتداد العداوة والبغضاء:

إن الحسد يُكثر الضغائن والأحقاد، والشحناء والبغضاء، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**»[2].

قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا   إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ بِالْحَسَدِ[3]

إن الحسد يجعل قلب صاحبه مريضاً، كما قال تعالى: ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾ [محمد: 29] قال ابن كثير: "والأضغان: جمع ضغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره"[4].

6- **انتشار الغيبة:** إن من شأن الحاسد الذي أكل الحسد قلبه أن يلصق التهم الباطلة بمحسوده، فإن كان "غنيّا أن يوبّخه على المال فيقول: جمعه حراماً"[5].

قال الغزالي موضحاً الرابط بين الغيبة والحسد: "ربما يحسد من يثني النّاس عليه، ويحبّونه، ويكرمونه، فيريد زوال تلك النّعمة عنه فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس، حتى يكفوا عن كرامته، والثناء عليه؛ لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه، وإكرامهم له، وهذا هو عين الحسد"[6].

---

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ج1/ 561.
(2) المعجم الكبير، الطبراني، ما أسند ضَمْرَة بْن ثَعْلَبَةَ، 8/ 309: رقم الحديث 8157. إسناده صحيح، ينظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة،ج1153/7.
(3) شعب الإيمان، البيهقي، ج9/ 28.
(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج7/ 321.
(5) الرسائل الأدبية، الجاحظ، ص 117.
(6) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج3/ 147.

7-نبذ المجتمع للحاسد:

إن الناس ينظرون للحاسد باعتباره شخصاً غير مرحب به، فهو منبوذ من المجتمع، يبغضه الجميع، ولا يألفونه؛ لأنه غير مأمون الجانب، فهو بذلك يشعر بالعزلة في وسط أهله، ويكون لذلك الآثار السيئة عليه، حيث يتدنى مستواه الاجتماعي، وكذلك مستواه في العمل والإنتاج، ويكون بذلك عضواً غير فعَّال في المجتمع.

المبحث الخامس

الثقة بالله

تعيش الأمة الإسلامية اليوم في ذل وهوان، وضعف واستكانة، ويتربص بها الكائدون، والحاقدون، وفي هذه الأوقات تظهر حقائقُ ما في القلوب من قوة الإيمان أو ضعفه، ويظهر حسنُ الظن بالله عند أناس، كما ويظهر سوءُ الظن به عند آخرين.

فالمؤمن يثق بربه في كل الأوقات، ويستمد منه القوة، ويركن إليه؛ لأنه سبحانه من التجأ إليه؛ فقد آوى إلى ركن شديد.

إن الناظر في سورة الفتح يجد الثقة بالله قد ملأت قلب رسولنا ﷺ وصحابته الكرام- رضوان الله عليهم- حتى غمرت جنبات نفوسهم سكينة وطمأنينة، كما قال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ [الفتح: 4]، وقد قال كثير من المفسرين: إن السكينة هي الثقة بوعد الله، والصبر على أمره[1]، وهو ما نجده بعد توقيع صلح الحديبية على الشروط التي اعتبرها أكثر الصحابة مجحفة، ومنهم سيدنا عمر -رَضِي الله عَنهُ-، الذي ضاق ذرعاً "حَتَّى سار إِلَى أبي بكر رَضِي الله عَنهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بكر أَلَيْسَ هَذَا رَسُول الله ﷺ؟ أَو لَيْسَ نَحن الْمسلمين؟!، فَقَالَ: بلَى، فَقَالَ: فعلام نعطي الدنية فِي ديننَا وهم الْكفَّار؟ قَالَ أَبُو بكر -رَضِي الله عَنهُ-: يَا عمر، الزم غرز رَسُول الله ﷺ، واسمع وأطع، فَإِنِّي أشهد أَنه رَسُول الله ﷺ، قَالَ: وَأَنا أشهد، فَلم يصبر على ذَلِك، فَأتى رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله ﷺ، أَلَسْت رَسُول الله؟، أولسنا بِالْمُسْلِمين؟!، أوليسوا بالمشركين؟، قَالَ: بلَى، قَالَ: فعلام نعطي الدنية فِي ديننَا وهم الْكفَّار؟! قَالَ: أَنا عبد الله وَرَسُوله، وَلنْ أُخَالِف أمره، وَلنْ يضيعني"[2]، يتضح من ردّ رسول الله ﷺ وأبي بكر -رضي الله عنه- مدى ثقتهما بالله، ولهذا فقد استعرضت في هذا المبحث معنى الثقة لغة واصطلاحاً، ونماذج من الثقة بالله، وآثارها التربوية في ثلاثة مطالب.

---

(1) انظر:، النكت والعيون، الماوردي، تحقيق: السيد عبد الرحيم، ج5/ 311، وتفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن غنيم، ج5/ 201، وإيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري، تحقيق: حنيف القاسمي، ج2/ 749، وباهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، الغزنوي، تحقيق: سعاد بابقي، ج3/ 1326.

(2) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ج1/ 319.

المطلب الأول: معنى الثقة لغة واصطلاحاً:

الثقة لغة:

الثِّقة: مصدر قولك وثق به يثق، بالْكسر فيهما، وثاقة وثقة ائتمنه، والوثاقة: مصْدر الشّيْء الوثيق المحْكم، والوثاق اسم الإيثاق؛ تقول: أوثقته إيثاقا ووثاقا، والحبْل أو الشّيء الّذي يوثق به وثاق، وأوثقه في الوثاق أيْ: شدّه، ووثق الشّيء، بالضّمّ، وثاقة فهو وثيق، أيْ: صار وثيقا، والوثيقة في الأمر: إحْكامه، والأخذ بالثّقة، والجمع الوثائق، والميثاق: من المواثقة والمعاهدة، واثقته بالله لأفعلن كذا[1].

الثّقة اصطلاحا: عرّف ابن القيم الثقة بأنها: "سواد عين التّوكّل، ونقطة دائرة التّفويض، وسويداء قلب التّسْليم"[2].

وفي شرح للتعريف: إن الثّقة هي خلاصة التّوكّل ولبّه، كما أنّ سواد العين أشْرف ما في العين، وأما المقصود (بنقطة دائرة التّفويض) فهو أنّ مدار التّوكّل عليه، وهو في وسطه كحال النّقطة من الدّائرة، فإنّ النّقْطة هي المركز الّذي عليْه اسْتدارة الْمحيط، وكذلك الثّقة هي النّقْطة الّتي يدور عليْها التّفويض، وأما قوله (سويداء قلب التّسْليم)؛ فإنّ القلب أشرف ما فيه سويْداؤه، وهي المهجة الّتي تكون بها الْحياة، وهي في وسطه، فلوْ كان التّفويض قلْباً لكانت الثّقة سويداءه، ولوْ كان عيناً لكانت سوادها، ولوْ كان دائرة لكانت نقطتها، والثّقة هي روح، والتّوكّل كالْبدن الْحامل لها، ونسبتها إلى التّوكّل كنسْبة الْإحْسان إلى الْإيمان[3].

أما عن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للثقة، فهو يدور حول إحكام الشيء وإيثاقه، وذلك كالحبل الذي يوثق به الشيء ويشدّ، وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلم في علاقته مع الله تعالى، من حيث القوة والتعلق، فلا تهزه الحوادث والفتن، مهما تعاظمت.

المطلب الثاني : نماذج من الثقة.

إن الثقة بالله صفة من صفات الأنبياء، فحياتهم مليئة ثقة بالله تعالى، فهم القدوة الحسنة للذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، فقد اتصفوا بهذه الصفة العظيمة، وهي من

---

(1) انظر: العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج5/ 202، ولسان العرب، ابن منظور، ج10/ 371.

(2) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج2/ 142.

(3) انظر: المرجع السابق، ج2/ 142-143.

صفات الأولياء، قال يحْيى بن معاذ: " ثلاث خصال من صفة الْأولياء: الثّقة بالله في كلّ شيْء، والغنى به عن كلّ شيْء، والرّجوع إليْه من كلّ شيْء"[1].

وكذلك الثقة صفة من صفات العباد الزهاد، كما قال حاتم الأصم: «رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص»[2]، وقد أكتفيت في هذا المطلب بذكر ثلاثة نماذج للثقة بالله.

النموذج الأول: قال عز وجل: ﴿**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴾ [الشعراء: 61- 62].

إن هذه الآيات تدل دلالة واضحة على ثقة سيدنا موسى-عليه السلام- الكبيرة بالله تعالى، فقد حشد فرعون جنوده مطارِداً لسيدنا موسى ، ومن معه من بني إسرائيل، وإذا بنو إسرائيل أمام بحر خضم مائج، وخلفهم عدو غادر هائج، فأيقنوا بالهلاك، وانقطعت بهم السبل وأسباب الفكاك، فقالوا: (إِنَّا لَمُدْرَكُونَ)، يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم[3]، ولكن ثقة سيدنا موسى بالله كانت كبيرة، رغم صعوبة الموقف، فقال مطمئناً لمن معه: (كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)، فلم يقُلْ موسى : "(كَلاّ) اعتماداً على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتماداً على ربه الذي يكلؤه بعينه، ويحرسه بعنايته"[4]، قالها موسى ثقة بوعد الله إياه: (كلا) لن يدركونا؛ (إن معي ربي سيهدين)، يدلني على طريق النجاة[5]، فقد كان سيدنا موسى على ثقة بوعد الله له "بالنجاة؛ والله لا يخلف وعده[6].

بعد هذه الثقة المطلقة من سيدنا موسى بربه، وبعدما اشتد الخطب على بني إسرائيل، جاء الأمر من الله تعالى لموسى أن يضرب البحر بعصاه، "فانفلق وصار اثني عشر فرقاً، بينها مسالك، فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ كالجبل المنيف الثابت في مقره، فدخلوا في

---

(1) شعب الإيمان، البيهقي، الرجاء من الله، 2/ 354: رقم الحديث 1048.

(2) طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، ج4/ 179.

(3) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج3/ 468، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج13/ 106.

(4) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج17/ 10578.

(5) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج3/ 468، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، تحقيق: تصحيح شاهين، ج3/ 326، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج14/ 43.

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقق: أحمد محمد شاكر، ج19/ 356.

شعابها كل سبط في شعب"[1]. وعبر سيدنا موسى ومن معه البحر، وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده.

لقد ضرب سيدنا موسى مثلاً رائعاً في الثقة بالله، ولمَ لا؟، وقد كانت أمه من قبل واثقة بوعد ربها، حين أمرها أن تلقي به في اليم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: 7]، قال ابن القيم: "إنّ فعلها هذا هو عين ثقتها بِاللَّهِ تَعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربّها؛ لما ألقت بولدها، وفلذة كبدها في تيّار الماء، تتلاعب به أمواجه، وجرياته إلى حيث ينتهي أو يقف"[2].

النموذج الثاني: ثقة الرسول وصحابته الأبرار بالله تعالى:

إن حياة الرسول والصحابة -رضوان الله عليهم- كانت مليئة ثقة بربهم العزيز، وأعرض فيما يلي موقفهم يوم الخندق، " وقد التفت عليه جموع الشرك والمشركين، وصناديد الكفر والمنافقين، ومع ذلك كان النبي واثقًا من نصر الله تعالى له"[3]، حيث هدفت هذه الجموع استئصال الإسلام، فماذا يفعل رسولنا وصحابته الكرام تجاه هذا الخطر الذي يهدد دينهم وأبناءهم ونساءهم وأنفسهم؟ فكانت لاحت فكرة سلمان الفارسي-رضي الله عنه- بحفر الخندق، "وراقت لرسول الله فأمر بحفره، وحدد لكل عشرة من المسلمين عشرة أذرع"[4]، فقاموا بحفر الخندق، وقد كان الجو شديد البرودة، مع قلة الطعام، وشح الماء، ومع ما يتهددهم من يهود بني قريظة ناقضي العهود، ولا يغفل الصحابة الكرام أيضاً خطر المنافقين، كل هذه الأخطار من الداخل والخارج اجتمعت على الصحابة الكرام، وقد وصف القرآن الكريم المشهد وصفاً دقيقاً، فقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (9) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: 9- 10]، أخبر الله تعالى عن حالهم فقال: (إذ جاؤوكم من فوقكم)، أي: من فوق الوادي من قبل المشرق، ثم قال: (ومن أسفل منكم)؛ يعني من بطن الوادي من قِبل المغرب، وقوله: (وإذ زاغت الأبصار) يعني: شخصت الأبصار مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وبلغت القلوب

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، ج4/ 140.

(2) مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد البغدادي، ج2/ 142.

(3) ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، الرومي، ص 127.

(4) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لاشين، ج7/ 286-287.

الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، قال الطبري: "ظن المنافقون أن محمداً □ وأصحابه يُستأصلون"[1]، وقد قال المنافقون في ضعف اعتقاد: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب: 12]، إن هذا من تفسير الظنون، فظنوا أن ما قاله الله تعالى ورسوله كان زوراً، ووعدهما كان غروراً، حيث ظنوا بأن النصر لهم، فقالوا: يَعِدُنَا محمدٌ □ فَتْحَ قُصُور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور[2]، فقد قالها مُعْتِبُ بْنُ قُشَيْرٍ صراحة، وهو من المنافقين: "**يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لا يَأْمَنُ عَلَى خَلَائِهِ**"[3].

في ظل هذه الظروف الصعبة التي يعيشها الصحابة، يبشرهم الرسول □ بالانتصار على قوى الشر، والحصول على مغانم كثيرة، فعن الْبَرَاء بن عَازِب-رضي الله عنه- قَالَ: [أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ □ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنْ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ □، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ □ قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، فَقَالَ: **[بِسْمِ اللَّهِ]** فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: [**اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيح الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**] ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: **اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**] ثُمَّ قَالَ: [بِسْمِ اللَّهِ]، وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: [**اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا**] [4].

إنها ثقة كبيرة عند رسولنا الكريم □ بربه، انعكست هذه الثقة على الصحابة الكرام، ولو كانت تلك الثقة متزعزعة لما قالوا حين رأوا الأحزاب: ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: 22]، قال الرازي: "وقولهم: (وصدق الله ورسوله) ليس إشارة إلى ما وقع؛ فإنهم كانوا يعرفون صدق الله تعالى قبل الوقوع، وإنما هي إشارة إلى بشارة، وهو أنهم قالوا: هذا ما وعدنا الله، وقد وقع، وصدق الله في جميع ما وعد،

---

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ج20/ 221.

(2) انظر: تفسير مقاتل، مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ج3/ 478.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، تَسْمِيَةُ أَصْحَابِ الْعَقَبَةِ، 3/ 166: رقم الحديث 3017.

(4) مسند أحمد، أحمد، حديث البراء بن عازب، 30/ 625-626 رقم الحديث 18694. إسناده حسن، ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 397/7.

فيقع الكل؛ مثل: فتح مكة، وفتح الروم وفارس، وقوله: (ما زادهم إلا إيماناً) بوقوعه (وتسليماً) عند وجوده"[1].

إن الله تعالى وعدهم أن يُزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ... ﴾ [البقرة: 214] فلما جاء الأحزاب، وشخص بهم، واضطربوا، ورعبوا الرعب الشديد، قالوا: (هذا ما وعدنا الله ورسوله)، وكان الله وعدهم بالنصر غير مرة، فلم يزدهم الحصار والبلاء إلا تصديقاً لقول النبي ، وجرأة وتسليماً، كل ذلك لم يخر عزائمهم، ولا أدخل عليهم شكاً، فيما وعدهم الله من النصر؛ بل أيقنوا بالجنة والنصر[2].

النموذج الثالث:

عندما فشلت قريش في القضاء على رسولنا الكريم ، بعد محاصرة بيته، واستطاعته الهجرة بصحبة أبي بكر –رضي الله عنه–، عندها "قررت قريش في جلسة طارئة مستعجلة استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، فوضعت جميع الطرق النافذة من مكة، في جميع الجهات تحت المراقبة المسلحة الشديدة، كما قررت إعطاء مكافأة ضخمة، قدرها مائة ناقة بدل كل واحد منهما لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين"[3]، وحينئذ انطلق الفرسان والمشاة، وجدّوا في الطلب، ولكنهم فشلوا، إلى أن وصلوا إلى الغار، "كان المشركون واقفين على فم الغار، يتحدثون بمسمع من رسول الله وصاحبه، وكان الصدّيق شديد الخوف على رسول الله "[4]، حتى قال: يا رسول الله ، لوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»[5]، قالها النبي لأبي بكر –رضي الله عنه– تطمينًا لقلبه: وهذا من أمثلة الصدق في الثقة بالله، والاطمئنان إلى نصره، والاتكال عليه عند الشدائد، مع أنه في أشد المآزق حرجًا، ومع ذلك تبدو عليه أمارات الاطمئنان؛ لأن الله لن يتخلى عنه في تلك الساعات، وتلك هي قمة الثقة التي كان يتمتع بها رسولنا الأسوة ، فقلبه

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج25/ 163.

(2) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 53، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج3/ 531، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج21/ 304.

(3) الرحيق المختوم، المباركفوري، ص 150.

(4) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شُهبة، ج1/ 481.

(5) صحيح البخاري، البخاري، فضائل الصحابة/ مَنَاقِب المُهَاجِرِينَ وَفَضْلهمْ، 5/ 4: رقم الحديث 3653.

دائماً يفيض بالاطمئنان، والثقة بنصر الله[1]، وقد قال سيد قطب: "صاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله"[2].

إن القرآن الكريم قد سجل هذه الحادثة، فقال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: 40].

قال ابن عاشور: "هذا القول صدر من النبي لأبي بكر، حين كانا مختفيين في غار ثور، فكان أبو بكر حزيناً؛ إشفاقا على النبي أن يشعر به المشركون، فيصيبوه بمضرة، أو يرجعوه إلى مكة، والمعية هنا: معية الإعانة والعناية"[3]، فمن كان الله تعالى معه فمن عليه؟! ومن وجد الله تعالى فماذا فقد؟! ومن فقد الله فماذا وجد؟! وحين اطمأن رسولنا وأبو بكر أن البحث عنهما قد خف، خرجا من الغار، وواصلا سيرهما، وإذا بسُراقة بن مالك يدركهما، وعندما وصلهما ساخت قدما الفرس إلى الركبتين، فطلب الأمان من رسول الله ، وقد اشْتُهر عند الناس من أمر سراقة ما ذكره ابن حجر، وغيره؛ فعن ابن عيينة، عن إسرائيل أبي موسى، عن الحسن- أن رسول اللَّه قال لسراقة بن مالك: «**كيف بك إذا لبست سواري كسرى**؟، قالها النبي وهو مطارد، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، فأي ثقة هذه؟! وبالفعل تحقق وعد النبي، فعندما فتح المسلمون المدائن، وجاءت الغنائم إلى سيدنا عمر، حِينَ أُتِيَ بِتَاجِ كِسْرَى، وَسِوَارَيْهِ وَمِنْطَقَتِهِ دَعَا بِسُرَاقَةَ، وَقَالَ لَهُ ارْفَعْ يَدَيْك، وَقُلْ: الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي سَلَبَ هَذَا كِسْرَى الْمَلِكَ، وَكَسَاهَا أَعْرَابِيّاً مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، فَقَالَ ذَلِكَ سُرَاقَةُ، وَإِنّمَا فَعَلَهَا عُمَرُ؛ لِأَنّ رَسُولَ اللهِ كَانَ قَدْ بَشّرَ بِهَا سُرَاقَةَ، وَأَخْبَرَهُ أَنّ اللهَ سَيَفْتَحُ عَلَيْهِ بِلَادَ فَارِسٍ، وَيُغَنّمُهُ مُلْكَ كِسْرَى، فَاسْتَبْعَدَ ذَلِكَ سُرَاقَةُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ أَكِسْرَى مَلِكُ الْمُلُوكِ؟ فَأَخْبَرَهُ النّبِيّ – – أَنّ حِلْيَتَهُ سَتُجْعَلُ عَلَيْهِ[4].

ونحن اليوم في فلسطين بأمس الحاجة إلى الثقة بربنا؛ حيث ازداد الخطب، واشتدت المحنة، وضيّق أعداؤنا على الناس معيشتهم، وكذلك فقد تحالفت قوى الشر مع عدونا

---

(1) السيرة النبوية دروس وعبر، السباعي، ص66.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج4/ 2247.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج10/ 203.

(4) انظر: السنن الكبرى، البيهقي، 581/6ح13033، والروض الأنف، السهيلي، تحقيق: عمر السلامي، ج4/ 142. إسناده ضعيف، ينظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة للعوشن، ص85. والحديث أصله في صحيح البخاري، المناقب/ علامات النبوة في الإسلام، 201/4ح3615.

لإعطائهم القدس هدية مجانية، وللأسف تقف حكومات بعض الدول العربية والإسلامية موقف المتفرج لا تحرك ساكناً إذا أحسنا الظن؛ بل قل تتآمر مع عدونا ضدنا، ولم يبق لنا إلا الله تبارك وتعالى.

المطلب الثالث: الآثار التربوية للثقة بوعد الله:

إن الثقة بالله تعالى نعمة عظيمة، ومنحة جليلة، ولها آثار كبيرة، أذكر منها هذه الثمانية:

1- **تفتح باب الرحمة والأمل، وتدفع أسباب اليأس والكسل:** إن الثقة من أعظم أبواب الأمل، وتوجب على المسلم حسن التوكل، والإخلاص في العمل، والتفويض لما قضى به رب العباد في الأزل، وتلزمه عبادةَ الله، والاستعانةَ به وحده دون سواه، فالإنسان يتعرض في حياته إلى مصائب جمة، قد تدفعه إلى اليأس، ولكن ثقته بربه تفتح له باب الأمل، قال ابن القيم: "كلّما كان العبد حسن الظّنّ باللّه، حسن الرّجاء له، صادق التّوكّل عليه، فإنّ اللّه لا يخيّب أمله فيه البتّة؛ فإنّه سبحانه لا يخيّب أمل آمل، ولا يضيّع عمل عاملٍ"[1]

قال سيد قطب-رحمه الله- واصفاً الصحابة الكرام: "كانوا ناساً من البشر يفزعون، ويضيقون بالشدة، ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، ولكنهم كانوا- مع هذا- مرتبطين بالعروة الوثقى التي تشدهم إلى الله، وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل، وتحرسهم من القنوط"[2].

2- **الطمأنينة والسكينة:** إن الثقة تورث أصحابها الاطمئنان والسكينة والسلامة والسعادة، والمتأمل في قصص الواثقين بالله تعالى من الأنبياء والأولياء؛ يجد أنها سبب رئيس لسكينتهم لأنهم؛ آمنوا أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وهذا يجعلهم في رضى دائم، وقد قال حَاتِم الْأَصَم[3]-رحمه الله-: " من أصبح وهو مستقيم في أَرْبَعَةِ أشياء فهو يتقلّب في رضا الله: أولها الثّقة بالله، ثمّ التّوكّل، ثمّ الإخلاص، ثمّ المعرفة"[4].

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج1/ 469.

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5/ 2844.

(3) حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ، عرف بالزهد والتقلل، واشتهر بالورع والتقشف، توفي سنة 153هـ. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج2/ 26.

(4) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، ج8/ 75.

إن النبي ﷺ قد علّم عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– والأمة من بعده كيف تكون الثقة بالله تعالى، فعن ابن عبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[1].

قال ابن القيم واصفاً الثقة: "فإنّه لا أشرح للصّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته باللّه، ورجائه له، وحسن ظنّه به"[2]، فالثقة بالله تجعل المسلم مطمئناً مرتاح النفس.

3- **الشعور بالقوة والنصر والتمكين:** إن الثقة بالله تُشعِر صاحبها بالقوة؛ لأنه يأوي إلى ركن شديد، والله أمرنا بعدم الحزن، أو الشعور بالضعف، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 139]، قال القاسمي: "إن الإيمان يوجب قوة القلب، والثقة بصنع الله تعالى، وعدم المبالاة بأعدائه"[3].

وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: 3]؛ أَيْ: " مَنْ يَثِقُ بِهِ فِي نَوَائِبِهِ وَمُهِمَّاتِهِ، يَكْفِيهِ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ"[4].

كما أن الثقة بالله تقود أصحابها إلى النصر والتمكين والفوز؛ لأن هلاك الكفار، ونصر المؤمنين عليهم، سببه ولاية الله للمؤمنين وأن الكافرين لا مولى لهم[5]؛ كما قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد: 10- 11]، معنى (الله مولى الذين آمنوا) أي: وليهم وناصرهم وموفقهم[6].

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، صفة القيامة/ ما جاء في صفة أواني الحوض 4/ 667: رقم الحديث 2516. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج1/ 469.

(3) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد عيون السود، ج2/ 416.

(4) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج1/ 468.

(5) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج26/ 54.

(6) انظر: الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ج11/ 6893، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج16/ 234.

قال سيد قطب: "من كان الله مولاه وناصره فحسبه، وفيه الكفاية والغناء، وكل ما قد يصيبه إنما هو ابتلاء، وراءه الخير، لا تخلياً من الله عن ولايته له، ولا تخلفاً لوعد الله بنصر من يتولاهم من عباده، ومن لم يكن الله مولاه فلا مولى له، ولو اتخذ الإنس والجن كلهم أولياء، فهو في النهاية مضيع عاجز، ولو تجمعت له كل أسباب الحماية، وكل أسباب القوة التي يعرفها الناس!"[1].

4- **الثقة وسيلة للنجاح:** إن الثقة بالله تعالى وسيلة للنجاح، يحتاجها المؤمن في كل مجالات حياته، مثلاً يحتاجها في تحصيل رزقه؛ حيث يمشي في الأرض، ويضرب في مناكبها طالباً رزق الله الكريم مما أحله له، مع اعتقاده الجازم أن الرزق من عند الله وحده، حتى صار قلبه معلقاً بالله دون غيره، وما سعيه إلا بذل للسبب المكلف به، وقد قِيلَ لِحَاتِمِ الْأَصَمِّ: عَلَام بَنَيْتَ أَمْرَكَ مِنَ التَّوَكُّلِ؟ قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ خِلَالٍ[2] ذكر منها: " **عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي، فَلَسْتُ اهْتَمُّ لَهُ**"[3]، فإذا وثق العبد بالله، وأيقن أنه رازقه وكافيه زهد في هذه الدنيا، وعاش فيها راضياً.

5- **الأمن:** إن ثقة المسلم بالله تعالى تجلب له الأمن عند المخاوف، فيأمن بها من كيد أعدائه، ومكر الماكرين به، فما دام من أهل الطاعة والاستقامة؛ فليثق بأن الله تعالى يدافع عنه، وأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وقد وصف القرآن حال المؤمنين يوم الأحزاب، فقال: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ [الأحزاب: 10]، وقد اجتمع على الصحابة الخوف والجوع والبرد، وعندما حث رسولنا ﷺ لذهاب أحدهم إلى معسكر الكافرين؛ ليستطلع أخبارهم، لم يبادر أحد، قَالَ حُذَيْفَةُ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ[4]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»،

---

(1) في ظلال القرآن، قطب، ج6/ 3290.

(2) أما الثلاثة المتبقية: "وَعَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَا يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُولٌ بِهِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ يَأْتِينِي بَغْتَةً، فَأَنَا أُبَادِرُهُ، وَعَلِمْتُ أَنِّي بِعَيْنِ اللهِ فِي كُلِّ حَالٍ، فَأَنَا مُسْتَحْيِي مِنْهُ"

(3) شعب الإيمان، البيهقي، التوكل بالله عز وجل والتسليم لأمره 2/ 456: رقم الحديث 1216.

(4) القُر: بضم القاف: البرد. إكمال المعلم بفوائد مسلم، السبتي، ج6/ 160.

فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ [1].

الشاهد من هذا الحديث أن حذيفة–رضي الله عنه– عندما قام من مكانه، وذهب لتنفيذ هذه المهمة، ذهب عنه ما كان يشعر به، وذلك ثقة بكلام رسولنا ، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وطمعاً في أن يكون معه في الجنة.

وإن أحداث غزوة أحد أيضاً تؤكد مدى شيوع الأمن بين المسلمين، فرغم الظرف الصعب المحيط بهم، إلا أن هناك من المسلمين من ينام، وهم مواجهون للعدو، في الوقت الذي يطير فيه النعاس عمن شاهده ممن لا يقاتل، فكيف بمن حضر القتال؟!، وقد أشرع العدو الأسنة، وأشهر السيوف؛ لقتلهم، واستئصالهم، فوقوع الأمنة مع استعلاء العدو من غير مدد آتاهم، ولا نكاية في العدو، ولا انصرافهم عنهم، ولا قلة عددهم، فينزل الله تعالى على قلوبهم الأمنة؛ وذلك بسبب الإيمان واليقين، وإن الله تعالى قد خص المؤمنين بتلك الأمنة والنعاس دون المنافقين، فكان المؤمنون في غاية الأمن والطمأنينة، والمنافقون في غاية الهلع والخوف، والقلق والاضطراب[2].

6-**الاستغناء عن الناس:** إن الثقة تجعل العبد راضيًا بالله، يائسًا مما في أيدي الناس؛ لأن المؤمن يؤمن إيماناً جازماً أن مقاليد الأمور بيد الله وحده، فيستغني بالله عن الناس، قِيلَ لِأَبِي حَازِمٍ: يَا أَبَا حَازِمٍ مَا مَالُكَ؟ قَالَ: "ثِقَتِي بِاللهِ تَعَالَى، وَإِيَاسِي مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ"[3]

وقال حاتم الأصم –رحمه الله– أيضاً: «أنا أدعو الناس إلى ثلاثة أشياء: إلى المعرفة، وإلى الثقة، وإلى التوكل؛ فأما الثقة فالإياس من المخلوقين، وعلامة الإياس أن ترفع القضاء من المخلوقين، وأما التوكل فطمأنينة القلب بموعود الله تعالى، فإذا كنت مطمئناً بالموعود استغنيت غنى لا تفتقر أبدًا»[4].

7-**الثبات:** إن الثقة بالله عامل مهم للثبات على طريق الحق، فيصبح المسلم شامخاً، لا تهزه عواصف المصائب والمحن، بل تزيده رسوخاً، ولا يهدمه إلا سوء الظن بالله، والشك في حصول فرجه، وكثرة التعلق بالمخلوقين، فأحوج ما يكون المجاهد في ميدان القتال إلى

(1) صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير/ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، 3/ 1414: رقم الحديث 1788.

(2) أحكام القرآن، الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، ج2/ 328.

(3) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، ج3/ 232.

(4) المرجع السابق، ج8/ 76.

عظيم الثقة بالله تعالى، وقد أمرنا الله بالثبات عند ملاقاة عدونا، وأعظم أسباب الثبات الثقة بالله، قال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الأنفال: 45]، أي: إذا حاربتم جماعة فاثبتوا للقائهم، واصبروا على مبارزتهم، فلا تفروا، ولا تجبنوا، ولا تنكلوا، وفي الآية إشعار بأن يلتجئ العبد إلى الله عند الشدائد، ويُقبل إليه بكليته، فارغ البال، واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال[1].

إن الثقة بالله وبنصره للمؤمنين عامل مهم للثبات، فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: **شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[2].

يتضح من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يغرس في الصحابة الكرام الثقة بالله؛ ليثبتهم على طريق الحق، في ظل حملة التعذيب الهمجية التي يشنها الكفار؛ ليردوا المسلمين عن دينهم.

8- **التحلي بالصبر:** إن الحياة الدنيا مليئة بالمحن، والمتاعب، والبلايا، والشدائد، فهذه الدنيا إن صفت يومًا، كدرت أيامًا، وإن أضحكت ساعة، أبكت ساعات، لا تدوم على حال، فتارة فقر، وتارة غنى، وعافية وبلاء، وصحة ومرض، وعز وذل، فهذا مصاب بالعلل والأسقام، وذاك مصاب بعقوق الأبناء، وهذا مصاب بسوء خلق زوجته وسوء عشرتها، وتلك مصابة بزوج سيئ الأخلاق، فظ الخلق، سيئ العشرة، وثالث مصاب بكساد تجارته وسوء صحبة الجيران، وهكذا إلى نهاية سلسلة الآلام التي لا تقف عند حد، ولا يحصيها عدّ[3]، فإن الصبر فيها مفتاح للفرج، وعلاج للألم، وبوابة للأمل، فمن صبر ظفر، فالحال السيئة لا تدوم، وتغييرها يسرع إليها أكثر من إسراعها لأهل العافية منها، وكلما اشتد الهم، وتزاحمت الخطوب، قرب الفرج، فإذا وصل المسلم إلى اليقين بهذه الحقائق نمت الثقة في قلبه نماء راسخاً، فاصبر واحتسب، وانتظر العطايا والمنح.

---

(1) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج5/ 304.

(2) صحيح البخاري، البخاري، الإكراه/ مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالقَتْلَ وَالهَوَانَ عَلَى الكُفْرِ، 9/ 20: رقم الحديث 6943.

(3) ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، الرومي، ص 37.

الفصل الثالث

الأساليب التربوية المستنبطة

من سورة الفتح

المبحث الأول

أسلوب القدوة الحسنة

"إن التربية بالقدوة من أهم وسائل التربية؛ لاكتساب مكارم الأخلاق؛ وذلك لأن الناس يتأثرون بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال"[1]، وإن الاقتداء في الإنسان فطرة؛ لأنه يولد لا يعلم شيئاً، ثم يشرع في تعلُّم ما يراه وما يسمعه شيئاً فشيئاً؛ لذلك نجد الطفل يراقب سلوك الكبار، ويقتدي بها بعد ذلك مباشرة، ومنه يعلم أن الاقتداء هو الطريق الأول للتلقي، وإن من طبيعة البشر أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة أكثر من تأثرهم بالقراءة والسماع، ولاسيما في الأمور العملية، وَمِمَّا يدل على أثر القدوَة، مَا حدث بعد توقيع صلح الْحُدَيْبِيَة، حيث إن بنود الاتفاق كانت –من وجهة نظر كثير من الصحابة– مجحفة، ومما يؤكد عدم تحملهم لتلك الضغوط توقفهم عن تلبية نداء الرسول لهم بالإحلال من الإحرام بالعمرة، ولعله الموقف الوحيد الذي يصدر فيه أمر نبوي، ولا ينفذ في الحال، ومن أجل ذلك كان همّ النبي عظيماً على جنده، الذين قد يهلكون إن خالفوا أمره، ورفضوا تنفيذ توجيهاته، ويستفاد من هذا الدرس أهمية القدوة العملية من القيادة؛ لأن الأمر النظري حين لا تكون القيادة أسرع الناس إلى تنفيذه؛ فلن تستجيب القاعدة له[2].

ويتضح الأمر عندما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا"[3].

هذا الحديث يُؤَكد أهمية القدوَة، فَانْظُر كَيفَ تصرف الصَّحَابَة –رَضِي الله عَنْهُم– حينما تمثلت أمامهم القدوَة، يَقُول الْمَنَاوِيّ: "فَحق الْوَاعِظ أَن يتعظ بِمَا يعظ، ويُبصر ثمَّ يبَصّر، ويهتدي ثمَّ يهدي، وَلَا يكون دفتراً يُفِيد وَلَا يَسْتَفِيد، ومِسَنّاً يشحذ وَلَا يقطع؛ بل يكون كَالشَّمْسِ

---

(1) خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبدالغني مزهر، ص ص 101–102.

(2) المنهج الحركي للسيرة النبوية، الغضبان، ج3/ 29.

(3) صحيح البخاري، البخاري، الشروط/ الشُّرُوط فِي الجِهَادِ وَالمُصَالحةِ مع أَهْلِ الحَرْب وَكِتَابَة الشُّرُوطِ، ج3/ 196: رقم الحديث 2731.

الَّتِي تفِيد الْقَمَر الضَّوْء...، فالواعظ مَا لم يكن مَعَ مقاله فعال، لم ينتَفع بِهِ، إِذ عمله مدرك بالبصر، وعلمه مدرك بالبصيرة، وَأكْثر النَّاس أهل أبصار لَا بصائر"[1]. ولهذا تناولت في هذا المبحث معنى القدوة، وأقسامها، وأهميتها، وآثارها التربوية.

المطلب الأول: معنى القدوة وأقسامها.

القِدوة لغة: "الأُسْوة يُقَالُ: فُلَانٌ قُدْوَة يُقْتَدَى بِهِ"[2]، " ويقال: لي بك قدوة"[3].

ويقال: فلان يقدو به فرسه، إذا لزم سنن السيرة، وإنما سمي قدواً لأنه تقدير في السير، وتقدى فلان على دابته، إذا سار سيرة على استقامة"[4].

القدوة اصطلاحاً: "الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به"[5]

ويرى الباحث أن المعنى اللغوي يتوافق مع المعنى الاصطلاحي، حيث إن المعنيين يتفقان على سير المقتدِي على أثر المقتدَى به.

أقسام القدوة:

كما أن أسلوب القدوة مهم جداً فهو في الوقت نفسه خطير؛ لأنه يعني إيصال الخُلُق الحسن عن طريق السلوك الإيجابي، فإن كان السلوك سلبياً انقلبت القدوة إلى أسوة سيئة، ولهذا فالقدوة نوعان: حسنة وسيئة.

1- القدوة الحسنة: هي الاقتداء بأهل الخير والصلاح في فضائل الأمور، من الصدق والكرم والشجاعة وغيرها، وقدوة المسلمين الأولى سيدنا محمد المعصوم من الخطأ صاحب الأخلاق الحميدة حيث مدحه الله تعالى فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]، وقد حثنا الله تعالى للتأسي بشخصية الرسول ، فقال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21].

---

(1) فيض القدير، المناوي، ج1/ 78.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج15/ 171.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج6/ 2459، ومختار الصحاح، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ص 249.

(4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5/ 67.

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص 269.

ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه، أو خلق واحد من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة؛ ليشتمل الاقتداء به جميع أقواله وأعماله[1].

2-القدوة السيئة: "السير في المسالك المذمومة، واتباع أهل السوء، والاقتداء بهم من غير حجة أو برهان"[2]، وقد احتج المشركون بعدم الاستجابة لدعوة سيدنا محمد بقولهم: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: 23]، "الآية على هذا تعيب عليهم التقليد"[3] ولهذا ردّ عليهم القرآن حكاية لما قال الرسول : ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ**﴾ [الزخرف: 24]، أي: قل يا محمد لقومك: أو ليس قد جئتكم من عند الله بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الشرك؟[4].

إن القدوة السيئة تقضي على الخلق الحسن والفضيلة، مثال ذلك: لو أن طفلاً سمع معلمه يكذب؛ ولو مرة واحدة؛ فذلك يكفي لتحطيم قيمة الصدق في نفسه، ولو تحدّث معلمه مطولاً عن الصدق؛ فلا فائدة من كلام لا يُترجم إلى أفعال، قال مَالِك بْن دِينَارٍ: " قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ، كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا"[5].

المطلب الثاني : أهمية القدوة الحسنة:

إن القدوة الحسنة عنصر رئيس في التربية؛ بل هي من أنجع الوسائل وأقربها للنجاح، وأكثرها فاعلية في حياة المربين، مع وجود جوانب أخرى، يجب مراعاتها في العملية التربوية، إلا أن هذه الجوانب الأخرى لا تؤتي ثمارها بغير القدوة الحسنة؛ بل قد تأتي بثمار عكسية إذا وجدت القدوة السيئة، وتظل كلمات المربين مجرد كلمات، ما لم تتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك على الأرض، وما لم تترجم إلى تصرفات، وسلوك، ومعايير ثابتة، وقد كان قدوة للناس في

---

(1) انظر: القدوة مبادئ ونماذج، صالح حميد، ص 5-6.

(2) المرجع السابق، ص 6.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج5/ 50.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج16/ 75.

(5) شعب الإيمان، البيهقي، 3/ 298: رقم الحديث 1700. إسناده حسن، ينظر: تحقيق مختار الندوي على شعب الإيمان.

كل تصرفاته، يرونها رأي العين، فعندما سُئلت عائشة –رضي الله عنها– عن خلق النبي قالت: " كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[1]، أي: "أن الرسول هو التطبيق العملي لأحكام القرآن وشرائعه"[2].

إن الإنسان عموماً، والداعية إلى اللَّه تعالى على وجه الخصوص، بحاجة شديدة إلى تطبيق ما يقول، ويدعو إليه؛ حتى يقتدي به الناس؛ ولهذا وضح ابن القيم –رحمه اللَّه تعالى– هذه المسألة، فقال: "عُلَمَاء السوء جَلَسُوا على بَاب الْجنَّة؛ يدعونَ إِلَيْهَا النَّاس بأقوالهم، ويدعونهم إِلَى النَّار بأفعالهم، فَكلما قَالَت أَقْوَالهم: للنَّاس هلمّوا، قَالَت أفعالهم: لَا تسمعوا مِنْهُم، فَلَو كَانَ مَا دعوا إِلَيْهِ حَقًا؛ كَانُوا أول المستجيبين لَهُ، فهم فِي الصُّورَة أدلاء، وَفِي الْحَقِيقَة قطّاع الطّرق"[3].

وتكمن أهمية القدوة الحسنة، فيما لها من عظيم الأثر في تقويم السلوك، ولهذا فإن جميع الأنبياء والمرسلين –عليهم الصلاة والسلام– كانوا قُدوةً حسنةً لأقوامهم، فقد قال شعيب –– لقومه: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: 88]، وقد خاطب الله تعالى رسوله محمدًا فقال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}، يعني الأنبياء فبهداهم يعني: بسنتهم وتوحيدهم اقتده، وعلى دينهم استقم[4]، فهم القدوة الحسنة في أقوالهم وأفعالهم؛ لكي ينهضوا بأعظم مهمة وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويسهل الاقتداء بهم.

وكذلك خاطب الله تعالى المسلمين بقوله : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: 21].

في هذه الآية إرشاد عظيم من الله للمؤمنين؛ أن يجعلوا رسول الله قدوة حسنة لهم، يقتدون به في أعماله، وأقواله، وأخلاقه، وكل جزئيات سلوكه في الحياة، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله في أقواله، وأفعاله، وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي يوم الأحزاب، في صبره، ومصابرته، ومرابطته، ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه تعالى، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين

---

(1) مسند أحمد، أحمد، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، 41/ 148: رقم الحديث24601. هذا إسناد حسن، تحقيق شعيب الأرنؤوط للمسند.

(2) التوحيد للناشئة والمبتدئين، عبد العزيز آل عبد اللطيف، ص 63.

(3) الفوائد، ابن القيم، ص 61.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج8/ 85.

تزلزلوا، واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: 21]. أي: هلا اقتديتم به، وتأسيتم بشمائله؟"[1].

وكذلك فإن صحابة رسول الله قدوة حسنة لنا، قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "من كان متأسيا فليتأس بأصحاب رسول الله ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[2].

ويمكن إجمال أهمية القدوة في الأمور الآتية:

1- إن القدوة الحسنة تثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان، والإعجاب، والتقدير، والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة، والمنافسة الشريفة، فيتطلّع إلى مراتب الكمال [3].

2- لم يكتفِ الله عز وجل أن ينزل كتباً على أنبيائه، بل جعل قدوة عملية للناس في الرسل، والصالحين، وقصَّ علينا قصصهم، وعرض سيرتهم، ثم أمر باتباعهم، والتأسي بهم.

3- إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها أن يتأثروا بالمحاكاة، والقدوة أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان، قال ابن تيمية: "إن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض"[4].

4- إن مستويات الفهم للكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يستوون أمام الرؤية بالعين المجردة، والعمل ظاهر ومفهوم للجميع، في حين أن القول قد تخفى مراميه على بعض الناس، وبإمكان كل فرد أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه[5].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج6/ 391.

(2) تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ابن تيميه، تحقيق: علي العمران ومحمد شمس، ج2/ 5

(3) القدوة مبادئ ونماذج، حميد، ص 8.

(4)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، ص 33.

(5) انظر: مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، ص 311، وخطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، مزهر، ص: 102.

5- إن القدوة الحسنة توفر على المعلم كثيراً من الجهد والوقت؛ لغرس القيم، فيكون ميسوراً وقريب الثمرة في الوقت ذاته؛ لأن تلاميذه يرون -من خلال تصرفاته- حرصه على تطبيق ما ينصح به الآخرين؛ فتكون استجاباتهم له سريعة(1).

6 - إن القدوة الحسنة المتحلِّية بالفضائل تُعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل، والأعمال الصالحة من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، بعدما كانوا يرونها مستحيلة الوقوع؛ لأنهم لم يعالجوا قدراتهم للقيام بها، وشاهِد الحال أقوى من شاهد المقال(2).

7- تتيح القدوة للمعلم الفرص لاكتساب خبرات جديدة، لم يكن يعرفها من قبل، وقد مثل القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾ [المائدة: 31](3).

8 - إن القدوة الحسنة من الدعاة يكون محل أنظار الناس؛ فأي عمل يصدر منه يحاكيه الأتباع، فقد يراه بعض الجهلة على عملٍ يخالف شرع الله، فيظن أنه على حق فيقلده، وهذا أمر غاية في الخطورة، ولهذا وجب على القدوة أن يزن أقواله وأفعاله.

المطلب الثالث : الآثار التربوية للقدوة الحسنة:

إن التربية بالقدوة الحسنة لها دور كبير في إعداد الفرد الصالح، الذي هو نواة المجتمع، مما يعود بالخير على الجميع، وللتربية بالقدوة الحسنة آثار كثيرة، أهمها:

1- القدوة الحسنة لها أثر بعيد المدى في نفوس الناس؛ لأنها عرض للنماذج البشرية الصالحة التي يراد محاكاتها، والاقتداء بها، وقد أمر الله نبيه أن يقتدي بالرسل الذين سبقوه، فقال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[الأنعام: 90] كما جعل الله نبيه محمداً مثلاً أعلى للمسلمين، وجعل له الكمال البشري في الأخلاق الإسلامية.

---

(1) انظر: مقدمة في التربية الإسلامية، أبو دف، ص: 128.

(2) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، الميداني، ج1/ 215، والحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، الميداني، ص: 84.

(3) مقدمة في التربية الإسلامية، أبو دف، ص 128.

2- إن القدوة أيسر طريق لإيصال المفاهيم، وغرس القيم في نفوس الناس، وقد استخدم رسولنا الكريم هذا الأسلوب بكثرة، ومن أمثلة ذلك هذان النموذجان:

أ- ما رواه ابن عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: اتَّخَذَ النَّبِيُّ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ : **«إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ» فَنَبَذَهُ، وَقَالَ: «إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا»، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ**[1].

ب-وما رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى فَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَخَلَعَ النَّاسُ نِعَالَهُمْ فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: " لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ؟ " فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ خَلَعْتَ فَخَلَعْنَا، قَالَ: **"إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَأَخْبَرَنِي أَنَّ بِهِمَا خَبَثًا فَإِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقْلِبْ نَعْلَهُ، فَلْيَنْظُرْ فِيهَا، فَإِنْ رَأَى بِهَا خَبَثًا فَلْيُمِسَّهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ فِيهِمَا"**[2].

نلاحظ من خلال هذين الحديثين أن الصحابة -رضوان الله عليهم- اقتدوا برسولنا الكريم مباشرة، "فدلّ ذلك على أن الفعل أبلغ من القول"[3].

3- إقبال المتبع على العمل وهو مطمئن القلب؛ لأن الفعل لا يَرِد عليه شبهة التطبيق، أما القول فيمكن ورودها عليه، وقد يلتبس على بعض السامعين الكثير مما يسمعه، أو ما يهدف إليه المتحدث، بخلاف العمل الذي يراه بأم عينيه، والذي هو ترجمة عملية للأقوال[4].

4- إن ما يكتسبه الطفل عن طريق التقليد والمحاكاة من الخلال الطيبة، والقيم الرفيعة، يتأصل في النفس، وعندما يشب الفرد عن الطوق، تترسخ هذه القيم في نفسه، ويعي ما أخذه عن القدوة[5]، سواء كانت القدوة حاضرة مشاهدة، أو كانت محكيّة بالقصص، فقد قال الإمام

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ الِاقْتِدَاء بِأَفْعَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج9/ 96: رقم الحديث 7298 .

(2) أحمد، مسند أحمد، مسند أبي سعيد الخدري، 242/17ح11152. إسناده صحيح، ينظر: تحقيق شعيب الأرنؤوط للمسند.

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج13/ 275.

(4) انظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبد الغني مزهر، ص 102.

(5) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، ص 53.

أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم"[1]، وقال ابن الجوزي: "أنفع العلوم النظر في سير الرسول ﷺ وأصحابه"[2].

5- علوّ الهمة في العمل؛ لأن القدوة تقطع عن العمل شبهة المثالية، أو الخيالية، وأنه يستحيل تحقيقه، أو يصعب جداً، وهذه شبهة تقف عائقاً أمام كثير من الناس في زماننا عند دعوتهم إلى مكارم الأخلاق ومعاليها[3].

6- القدوة الحسنة تنشئ جيلاً يتمتع بالعزة والكرامة، ورفض الاضطهاد، لا يخضع، ولا يستسلم أمام تجبر المتجبرين؛ لأنه يعتز بقدوته الأولى رسول الله ﷺ، الذي وقف في وجه الظلم بأشكاله كافة.

7- إن القدوة الحسنة تنمي الفضائل، والأخلاق الحميدة في نفوس الأفراد، وقدوتنا رسول الله ﷺ مدحه ربه بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4]، فقد "سُمي خلقه عظيماً؛ لاجتماع مكارم الأخلاق فيه"[4].

8- القدوة الحسنة تغرس في النفوس الثقة بالله، والأمل بنصر الإسلام؛ وعدم اليأس؛ وهذا يدفع المسلمين للثبات، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي لم تلنْ له قناة.

9- التربية بالقدوة الحسنة تعمل على تنشئة الإنسان الصالح؛ الذي تظهر عليه ملامح التقوى والخشوع والحياء، ويتسم في حركاته، وفي حديثه، بالهدوء والوداعة والحياء، فهو قوي صلب العود، شديد المراس، متين[5].

10- الاقتداء بالقدوة الصالحة ينشئ التوازن والاعتدال في سلوك الفرد وشعوره؛ لأن طاقته في ظل المنهج الرباني كلها تعمل، وتأخذ نصيبها من الحياة؛ بحيث يُصبح قوة فاعلة في المجتمع، فهو إيجابي واجتماعي حريص على مصلحة مجتمعه[6].

11- إن القدوة الحسنة يُبصّر المقتدين به، ويوقفهم على عيوبهم، ويدلهم على الطريقة المثلى للتخلص منها، ويرشدهم إلى فعل الطاعات، وينبههم إلى أمور واجبة كانوا غافلين عن

---

(1) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وآخرون، ج1/ 23.

(2) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص 80.

(3) انظر: خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة، عبد الغني مزهر، ص 102.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج18/ 227.

(5) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب،ج223/1-224.

(6) النظرية التربوية الإسلامية، آمال المرزوقي، ص 108 .

أدائها، وكل ذلك له الأثر الكبير في تغيير واقع المجتمع إلى الأفضل؛ بحيث يحيا الفرد متعاوناً مع أخيه، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة:2].

12- التربية بالقدوة الحسنة تعمل على توحيد المجتمع، عقدياً وفكرياً وثقافياً...؛ لأن الجميع قدوتهم واحدة، وهو رسول ﷺ، وبذلك يصبح المجتمع جسماً واحداً يشعر بعضهم ببعض، وينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: 10]، وينطبق عليهم أيضاً قول رسول الله ﷺ: "**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**"[1].

13- إن التربية بالقدوة تغرس في القلب البذل والعطاء والتضحية والفداء، والتسابق إلى عمل الخير، وكذلك تربيته لأن يكون قدوة لغيره، فعندما يعمل الخير ويقتدي به غيره تتضاعف أجوره؛ بحيث ينال أجره ومثل أجر من اتبعه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَن دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»[2]، يوضح الحديث "أثر القدوة الحسنة والقدوة السيئة في بناء المجتمع أو هدمه، يذيع النبي الكريم ﷺ هذا الهدي الرباني؛ ليكون دستوراً يعيش فيه الناس، وميزاناً يضبطون عليه مناهجهم في القول والعمل"[3].

قال ابن الجوزي: "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه"[4].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، البر والآداب والصلة/ تَرَاحُم الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِم وَتَعَاضُدهم، 4/ 1999: رقم الحديث 2586.

(2) صحيح مسلم، مسلم، العلم/ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، 4/ 2060: رقم الحديث 2674.

(3) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، ج3/ 948.

(4) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص 158.

المبحث الثاني

أسلوب الترغيب والترهيب

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنه يجمع بين أسلوب الترغيب والترهيب في آن واحد، يرغِّب الناس في قبول دعوة الإسلام، وما أعده الله تعالى للمؤمنين، وفي المقابل يحذرهم من رفضها، وما أعده الله تعالى للكافرين، وشواهد الترغيب والترهيب كثيرة في الكتاب والسنة، "فمددها فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترغيب والترهيب، وفنون الوعد والوعيد، وأساليب التبشير والإنذار على وجوه مختلفة، واعتبارات متنوعة، في العقائد والعبادات، والمعاملات، والأخلاق على سواء"[1]، وهذا كله يدل دلالة قاطعة على نجاعة هذا الأسلوب، وقد ورد في سورة الفتح الكثير من الآيات التي تحتوي على أسلوب الترغيب والترهيب، من ذلك، قوله تعالى: ﴿ **لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [الفتح: 5-6].

إن الله عزّ وجلّ قد ذكر ما للمنافقين والمشركين ذكراناً وإناثاً من العذاب، مقابل ما ذكره للمؤمنين من إدخالهم الجنة، وحرمان المنافقين والمشركين السكينة التي ذكر أن قلوب المؤمنين بها تسكن؛ لما علم أنهم يختارون عداوته، ويؤثرون عداوة أوليائه على ولايتهم[2].

وقد كان الشوكاني يفسر الآيات التي تتحدث عن عقوبة الكفار أو المنافقين، وكذلك الآيات التي تخبر عن ثواب المؤمنين، كما في بدايات سورة البقرة، ثم يعقب قائلاً: "لما ذكر تعالى جزاء الكافرين، عقبه بجزاء المؤمنين؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز"[3].

---

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج1/ 308.

(2) انظر: تأويلات أهل السنة، الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج9/ 295.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج1/ 64.

وبناء على ما تضمنته سورة الفتح من ترغيبٍ وترهيب، يتضح التأثير الذي يمكن أن يتركه هذا الأسلوب على المسلم، ولتوضيح أهمية هذا الأسلوب التربوي تناولت في هذا المبحث: تعريف الترغيب والترهيب لغةً واصطلاحاً، وأهميته، وآثاره التربوية.

المطلب الأول : تعريف الترغيب والترهيب لغةً واصطلاحاً:

الترغيب لغة: يقال: "رَغِبَ يَرْغَبُ رَغْبة: إذا حَرَصَ عَلَى الشيءِ، وطَمِعَ فِيهِ"[1]، أو "طلب لشيء"[2].

الترغيب اصطلاحاً: "كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة، وقبول الحق، والثبات عليه"[3].

الترهيب لغة: يقال: "رَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً: خافَه"[4].

الترهيب اصطلاحاً: "كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[5].

المطلب الثاني : أهمية أسلوب الترغيب والترهيب:

إن الترغيب والترهيب أسلوب قرآني بامتياز، ومنهج تربوي ناجح، وهو واضح في كتاب الله، وظاهر لمن تتبع آياته، فقد وردت النصوص الصريحة التي ترغب بالأعمال الصالحة، وترهب من ارتكاب المنكرات، وبمثل هذا الأسلوب يُنشَّأ الفرد على محبة الله تعالى، والحرص على طاعته، ويُغرس في قلبه الخوف منه، والرجاء فيه سبحانه وتعالى، ولهذا الأسلوب الجدوى الكبيرة في بعث الفضائل، والقضاء على الرذائل؛ "لأن هذا الأسلوب التربوي الإسلامي بني على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم، والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير"[6].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج1/ 422.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج2/ 415.

(3) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 437.

(4) انظر: العين، الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج4/ 47، ولسان العرب، ابن منظور، ج1/ 436.

(5) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص 437.

(6) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص 230.

ولأهمية أسلوب الترغيب والترهيب أكد كثير من المفسرين على اعتماد القرآن الكريم عليه؛ قال ابن كثير: "كثيراً ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين، كقوله تعالى: ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَ أَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ** ﴾ [الحجر: 49-50]، وقوله: ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الرعد: 6] فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة، وصفة الجنة، والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة، وذكر النار، وأنكالها وعذابها، والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا؛ لينجع في كلّ بحسبه[1].

وقال طائفة من المفسرين: من عادته عز وجل في كتابه أن يجمع الترغيب مع الترهيب؛ مداواةً للنفوس، ودفعاً لاكتساب الخير، والتثبيط عن اقتراف الشر[2].

ولأهمية الترغيب والترهيب في العملية التربوية فقد استخدمهما جميع الأنبياء والرسل، "وهما من المهام الأَساسية لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم إلى خلقه، أَن يبشروا من أَطاع الله تعالى، واتبع رسله بخيري الآخرة والأُولى، وأَن ينذروا من عصاه، وكذّب رسله بسوءِ العاقبة في الدارين، قال تعالى: ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ۞ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[النساء: 165] [3].

وقد استخدم رسول الله هذا الأسلوب في تربية صحابته الكرام، وترغيبهم بالأعمال الصالحة، وتنفيرهم من الوقوع في المعاصي، والآثام، والنصوص على هذا كثيرة، فعلى سبيل المثال، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**»[4].

جاء في شرح الحديث أن النبي يحرض على تحري الصدق؛ لأنه يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذمة؛ وذلك سبب لدخول الجنة بفضل الله، ودعا إلى تجنب الكذب،

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، ج3/ 385.

(2) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج1/ 104، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج3/ 12، وروح المعاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية، ج1/ 278-276، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، ج24/ 39.

(3) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب، القرضاوي، المقدمة/ 2.

(4) صحيح البخاري، البخاري، الأدب/ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ، 8/ 25: رقم 6094.

وترك التساهل فيه؛ لأنه يجر إلى الميل عن الاستقامة، والانبعاث في المعاصي، ثم إلى دخول نار جهنم[1].

"وكذلك سار أَتباع الأَنبياءِ من الدعاة المؤمنين يرغّبون ويرهّبون، كما نشاهد ذلك بجلاء في دعوة مؤمن آل فرعون، حيث استخدم أُسلوب الترغيب والترهيب، أَقوى وأبلغ ما يكون"[2].

المطلب الثالث: الآثار التربوية لأسلوب الترغيب والترهيب.

إن لأسلوب الترغيب والترهيب آثاراً تربوية كثيرة، منها:

1- **مراعاة التوازن للنفس البشرية:** إن النفس البشرية في أشد الحاجة لأسلوب الترغيب والترهيب؛ مراعاةً لتوازنها، فالإنسان في حالات ينساق وراء نفسه الأمارة بالسوء، ولا يرتدع إلا بالترهيب، وفي حالات أخرى يكون بحاجة شديدة لأسلوب الترغيب، فمن شأن هذا الأسلوب أن يحقق التوازن، ويضبط السلوك.

2- **معالجة فتور النفس:** إن النفس البشرية لا تدوم على حال؛ ولهذا تحتاج لأسلوب الترغيب والترهيب؛ لئلا تتمادى في اقتراف المعاصي، قال ابن الجوزي: "إن المواعظ كالسياط، والسياط لا تؤلم بعد انقضائها، وإيلامها وقت وقوعها...، وهذه حالة تعم الخلق؛ إلا أن أرباب اليقظة يتفاوتون في بقاء الأثر، فمنهم من يعزم بلا تردد، ويمضي من غير التفات، فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا، كما قال حنظلة عن نفسه: نَافَقَ حَنْظَلَةُ"[3].

وقد استشهد ابن الجوزي-رحمه الله- بحديث حنظلة الذي قال فيه: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا" [4]؛أي: إذا جلسوا عند النبي وذكرهم بالنار وعذابها تارة، وأخرى بالجنة ونعيمها، وبجملة أخرى بالترهيب والترغيب، في هذه الحال يكونون وكأنهم يرون الْجَنَّةَ وَالنَّارَ رَأْيَ العَيْن.

---

(1) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، السبتي، تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل، ج8/ 81، وفيض القدير، المناوي، ج3/ 6.

(2) المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب، القرضاوي، المقدمة/ 7.

(3) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: حسن سويدان، ص: 24.

(4) صحيح مسلم، مسلم، التوبة/ فَضل دَوَامِ الذِّكرِ وَالفكر فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَة وَجَوَاز تَرْك ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَال بِالدُّنْيَا، 4/ 2106: رقم الحديث 2750.

إن هذا الحديث يوضح أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في معالجة فتور النفس.

3-**تلبية حاجة الإنسان:** إن أسلوب الترغيب والترهيب يلبي حاجة الفرد؛ لأنه خلق ضعيفاً، فينساق وراء ملذاته، فيأتي دور الترهيب، قال ابن القيم: "إنما يشتدّ افتقار العبد إلى العظة، وهي التّرغيب والتّرهيب إذا ضعفت إنابته وتذكّره، وإلّا فمتى قويت إنابته وتذكّره لم تشتدّ حاجته إلى التّذكير، والتّرغيب والتّرهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدة إلى معرفة الأمر والنّهي"[1].

4- **الإقناع:** "يعتمد الترغيب والترهيب القرآني على الإقناع، والبرهان، فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا وفيها توجيه للمؤمنين، وهذا معناه تربوياً أن نبدأ بغرس الإيمان، والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين؛ ليتسنى لنا أن نرغبهم بالجنة، أو نرهبهم من عذاب الله؛ ليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية، وقد يكون الإقناع عن طريق أخذ العبرة من القصة القرآنية، ثم يعقبها التهديد أو الترغيب[2].

5-**ردع المفسدين:** إذا أُغفل الترهيب، وأمن المفسدون العقوبة؛ أدّى ذلك إلى تماديهم في إفسادهم؛ قال ابن القيم: "لولا عقوبة الجناة والمفسدين لأهلك الناس بعضهم بعضاً، وفسد نظام العالم، وصارت حال الدواب والأنعام والوحوش أحسن من حال بني آدم"[3]، ومصداق ذلك ما يحدث في ساحات التناحر العسكري.

ولولا الترهيب لأهلك البعض أنفسهم من حيث لا يدرون، فيأتي الترهيب؛ لينقذه ويمنع تماديه، قال أَبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في وصيته إلى عمر الفاروق -رضي الله عنه- حين عهد إليه بالخلافة: "أَلم تر أَن الله أَنزل الرغبة والرهبة؛ لكي يرغب المؤمن فيعمل، ويرهب فلا يلقي بيده إلى التهلكة"[4].

وقد أوضح ابن القيم أن ردع مرتكبي الجنايات وعقوبتهم من حكمة الله ورحمته، فقال: "من بعض حكمته سبحانه ورحمته أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم على بعض، في الرؤوس والأبدان والأعراض...؛ فأحكم سبحانه وجوه الزجر الرادعة عن

---

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج1/ 444.

(2) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص 231.

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ج2/ 78-79.

(4) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ج2/ 766.

هذه الجنايات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر "[1].

6- **غرس معاني التضحية والفداء في النفس، وتعويدها على الصبر:** فعندما يوقن المسلم بما أعده الله له من أجر؛ فإن ذلك يهوّن عليه تحمل الصعاب والمشقات، "واعلم أن من عرف ما يُطلب هان عليه ما يبذل، ومن طاب له شيء، ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته، ولم يبالِ بما يلقى من محن، حتى إنه ليجد تلك المحنة ضروباً من اللذة"[2]، فهذا رسولنا يحرض المؤمنين على القتال في غزوة بدر، ويرغبهم بجنة عرضها السماوات والأرض، فعَنْ أَنَس بن مَالِكٍ قال: قال رسول الله : «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ**»، قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ[3]: يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[4]، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[5]، فانظر كيف حرّك ترغيب رسول الله المجاهدين على التقدم لمواجهة عدوهم، وحمل أرواحهم على أكفهم فداءً لدين الله ورغبة في جنان الخلد، وهذا اليوم الذي يدفع الشباب في فلسطين لاقتحام الأهوال، وترك ملذات الدنيا الفانية، رغبة فيما عند الله تعالى.

7- **بناء المجتمع وازدهاره:** إن أسلوب الترغيب والترهيب يتفق مع طبيعة الإنسان حيثما كان، وفي أي مجتمع وُجد؛ لأن الفرد إذا رُغّب وشُوق بشيء ما؛ زاد اهتمامه به، وجعله في سلّم أولوياته، وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياته عملاً؛ وكل هذا يؤدي إلى ازدهار المجتمع ورقيه.

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ج2/ 73.

(2) منهاج العابدين، الغزالي، ص249

(3) عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي، شهد بدراً، وقتل بها شهيداً، قتله خالد بن الأعلم، وكان رسول الله قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث، فقتلا يوم بدر جميعاً، وقيل: إنه أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، ج3/ 1214.

(4) قرنه: جعبة من جلود. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، السبتي، ج6/ 323.

(5) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة/ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، 3/ 1509: رقم الحديث 1901.

8-إثارة الرجاء في النفس، ودفع اليأس، وتجديد الأمل: إن أسلوب الترغيب يزرع الأمل في النفوس، ولا يسلمها إلى اليأس، فقد فتح الله باب التوبة للمذنبين، ولا يغلق هذا الباب إلا في حالتين:

الأولى: طلوع الشمس من مغربها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»[1].

والثانية: بلوغ الروح الحلقوم، والمراد تحقق الموت؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**"[2].

ولهذا جاءت الآيات الكثيرة التي توضح مدى رحمة رب العالمين، وإشفاقه على عباده، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: 53]، "هذه أبلغ آية في الإشفاق من الله تعالى على عباده"[3]، وتعدّ هذه الآية أوسع آية وأرجاها في كتاب الله[4]، فهي تدعو المسرفين لعدم القنوط من رحمة الله، ونلاحظ أنها جاءت بعد إطناب الآيات السابقة بالوعيد إطناباً يبلغ من نفوس سامعيها أي مبلغ من الرعب والخوف، وقد يبلغ بهم وقعها مبلغ اليأس؛ فأعقبها الله ببعث الرجاء في نفوسهم، ومن عادة هذا الكتاب المجيد مداواة النفوس بمزيج الترغيب والترهيب[5].

إن هذا الأمر يعمل على ضبط الانفعالات، والعواطف، والموازنة بينها، فلا يطغى الخوف على الأمل والرجاء؛ فيقنط المذنب من عفو الله ورحمته؛ ويصل إلى مرحلة اليأس؛ بل يجمع بين الخوف والرجاء[6].

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، الذكر/ اسْتِحْبَابِ الِاسْتِغْفَارِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، 1509/4: رقم الحديث 2703.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، الدعوات/ فِي فَضْلِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَمَا ذُكِرَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، 5/ 438: رقم الحديث 3537. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(3) تفسير التستري، أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ص: 134.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج15/ 269.

(5) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج24/ 39.

(6) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص ص: 236-237.

9- **غرس الأخلاق الفاضلة:** من آثار استخدام هذا الأسلوب تربية الجيل على الفضائل، ومحاسن الأخلاق؛ فيرغب ويكرم المعلم كل من يظهر خلقاً طيباً، وسلوكاً فاضلاً ، وفي المقابل يلوم ويعاتب؛ بل ويعاقب كل من يظهر سلوكاً سيئاً.

10- **التنويع في الأساليب التربوية:** إن أسلوب الترهيب والترغيب يفتح المجال أمام المربين أن ينوعوا في أساليبهم التربوية، ويتدرجوا في استخدامها، فلا يلجأ المربي إلى العقوبة من بداية الأمر؛ بل في البداية يستخدم أسلوب الترغيب؛ لما له من أثر، فإن لم ينته يهدد بعدم رضاء الله، ثم يرهب من غضب الله صراحة، ومن عقابه في الآخرة.

11- **يتناسب مع جميع الأعمار:** إن أسلوب الترغيب والترهيب يتناسب مع الجميع، كلّ حسب فهمه، وقدرته على تصور الأشياء، فيفضل بعض الدعاة أسلوب الترغيب؛ لأنه يخاطب النفس، ويستميل الوجدان، ويعتمد على استثارة الرغبة الداخلية للإنسان، وتكون نتيجته مرضية؛ إذا اعتمد على الإقناع والمنطق، والنزوع إلى الحقائق التي أقرها القرآن، وفي حين يرى البعض أن أسلوب الترهيب هو المفضل؛ لأنه يعتمد على التخويف والوعيد والترهيب(1).

ويرى الباحث بضرورة الجمع بين الأسلوبين، فلا نأتي بالترغيب فقط، ولا بالترهيب وحده؛ فلا بد من الوسطية؛ فإن كان أسلوب الترغيب يتناسب مع ما يقتضيه المقام، عمل به، وإن كان المقام يقتضي الترهيب فهو الأولى.

12- **شحذ الإرادة، وتقوية العزم:** إن مغريات الإنسان في حياته كثيرة، وأعداءه كثر كذلك، وهذا يحتاج من الإنسان – بعد عون الله تعالى – إلى إرادة قوية، وعزمٍ صادق على تخطِّيها، وتجاوزها، وهنا يفتقر الإنسان إلى حوافز قوية، وبواعث صادقة، يستطيع بها أَن يواجه المغريات، وهذا دور أسلوب الترغيب والترهيب؛ أن يشد أَزر الإنسان في معركة الحق مع الباطل، حتى تتحول الرغبة والرهبة إلى إرادة ونية، تدفع إلى عمل وسلوك يرضي الله تعالى(2).

13- **صياغة الشخصية الإسلامية، وتنمية التلميذ معرفيًّا وعقليًّا:** يعتمد الإسلام على أسلوب الترهيب والترغيب؛ لأنه يتفق مع طبيعة الإنسان مهما كانت عقيدته ولونه وجنسه،

---

(1) انظر: التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، ص 58.

(2) انظر: المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب، القرضاوي، المقدمة/ ص4.

فالإنسان يتحكم في سلوكه وفكره، ويعدل فيهما بمقدار إدراكه لطبيعة أو نوعية ما يترتب عليهما من نتائج وخبرات –سارَّة أو مؤلمة–، ويميل الإنسان إلى الخبرات والسلوك الذي يقترن بخبرات سارة، أو إلى رفض السلوك الذي يقترن بخبرات مؤلمة[1].

14- **الاستقامة:** إن الاستقامة على الطريق القويم لا تحصل إلا بالترهيب والترغيب، وحمل هذه النفس الجموح على الخير؛ باجتناب المحبوب عندها، واكتساب الطاعات الثقيلة عليها؛ ولا يكون ذلك إلا بثلاثة أصول[2]: "أحدها ذكر أقواله سبحانه بالترغيب والترهيب"[3].

15- **الزجر عن المعاصي:** إن هذه النفس الأَمارة بالسوءِ ميالة إلى الشر، طمَّاحة إلى الفتنة، فلا تنتهي عن ذلك إلّا بتخويف عظيم، وتهديد بالغ، وليست هي في طبعها حرة يهمها الوفاء، ويمنعها الحياء عن الجفاءِ[4]، وقد قيل: "لَا يَمْحُو الشَّهَوَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ، أَوْ شَوْقٌ مُقْلِقٌ"[5].

---

(1) انظر: بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، ص ص 141-142.

(2) ثانيها: ذكر أفعاله سبحانه في الأخذ والعفو، وثالثها: ذكر جزائه للعباد والميعاد من الثواب والعقاب.

(3) منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، محمد الغزالي، تحقيق محمود حلاوي، ص255.

(4) المرجع السابق، ص247.

(5) المجالسة وجواهر العلم، أحمد الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ج5/ 183.

المبحث الثالث

أسلوب ضرب الأمثال

ليس القرآن الكريم كتاب أحكام فقط، بل هو كتاب تشريع وتربية، وهداية وإصلاح، وهو منهج حياة، نزل تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين، وقد خاطب القرآن الناسَ بألسنتهم، فاستخدم أساليب عديدة؛ لتوصيل رسالة التوحيد للناس، ومن أبرز هذه الأساليب، أسلوب ضرب المثل، الذي "يستفاد منه أمور كثيرة: التّذكير والوعظ، والحثّ والزّجر، والاعتبار والتّقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحسّ، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذّمّ، وعلى الثّواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر"[1].

ولهذا فقد تناولت في هذا المبحث معنى الأمثال لغة واصطلاحاً، وأقسامها، وأهميتها، وآثارها التربوية.

المطلب الأول: معنى الأمثال لغةً واصطلاحاً.

الأمثال لغةً:

مثل: كلمةُ تَسْوِيَةٍ، يُقَالُ: هَذَا مِثْله ومَثَله، كَمَا يُقَالُ شِبْهه وشَبَهُه بِمَعْنًى[2].

ويدل المثل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا؛ أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد[3]، وتُسمى الأمثال عند علماء البلاغة الاستعارة التمثيلية، و"إذا فشت الاستعارة التمثيلية، وكثر استعمالها سميت "مثلًا"، فالأمثال السائرة كلها من قبيل الاستعارة التمثيلية"[4].

الأمثال اصطلاحاً:

وردت تعريفات عديدة للمثل، غير أن هذه التعريفات لا تستقيم مع تعريف المثل في القرآن الكريم، يقول مناع القطان: "فأمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي، الذي هو الشبيه والنظير، ولا يستقيم حملها على ما يذكر في كتب اللغة، لدى من ألّفوا في

---

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1/ 486-487.

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج11/ 610.

(3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج5/ 296.

(4) المنهاج الواضح للبلاغة، عوني، ج1/ 145.

الأمثال، إذ ليست أمثال القرآن أقوالًا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، ولا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، فمن أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله"(1).

ويعرّف القطان المثل بأنه: "إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا"(2).

المطلب الثاني: أقسام الأمثال القرآنية:

تنقسم الأمثال في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأمثال المصرَّحة: "هي ما صُرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه"(3). ومن أمثلة هذا القِسم المثل الذي ورد في سورة الفتح في قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: 29]

بعدما ذكر الله وصف رسوله والمؤمنين، استخدم اسم الإشارة {ذلك}،إشارةٌ إلى ما ذكر من نعوتِهم الجليلةِ، وما فيه من معنى البعد، مع قرب العهدِ بالمُشار إليه؛ للإيذانِ بعلوِّ شأنِهم، وبُعدِ منزلتِهم في الفضل، وقوله: {مثلُهُمْ} أي: وصفُهم العجيبُ الشأنِ الجارِي في الغرابةِ مَجْرى الأمثالِ، وقولُه تعالَى: {وَمَثَلُهُمْ فِي الإنجيل}، عطفٌ على مثلهم الأول، كأنَّه قيلَ: ذلكَ مثلُهم في التوراةِ والإنجيلِ، وتكريرُ مثلهم لتأكيدِ غرابتهِ، وزيادةِ تقريرِه(4).

---

(1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 292.

(2) المرجع السابق، ص 292.

(3) المرجع نفسه، ص 293.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 115، ومحاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ج8/ 511-512.

"وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ" فالله تعالى يضرب المثل بأولئك الذين خلصت نياتهم، وأخلصوا أعمالهم لوجه الله، وفى سبيل دعوتهم، ويوضح بداية أمر الإسلام، وترقيه في الزيادة إلى أن قوي واستحكم، وظاهر المثل: أن الزرع هو محمد ، والشطء: أصحابه، فقواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها، مما يتولد منها، حتى يعجب الزراع، وهذا الأمر يغيظ الكفار؛ لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم، وترقيهم في الزيادة والقوة[1].

ومن أمثلة هذا القسم: المثلان الناري، والمائي، اللذان ضربهما الله تعالى؛ ليصور حال المنافقين؛ فقد قال تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ [البقرة: 17] وقوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: 19]

وقد ضرب الله في هاتين الآيتين مثلين للمنافقين: مثلًا ناريًا في قوله: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً} لما في النار من مادة النور، ومثلًا مائيًا في قوله: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ} لما في الماء من مادة الحياة، وقد نزل الوحي من السماء متضمنًا لاستنارة القلوب وحياتها، وذكر الله حظ المنافقين في الحالين، فهم بمنزلة من استوقد نارًا للإضاءة، والنفع، حيث انتفعوا ماديًّا بالدخول في الإسلام، ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم، فذهب الله بما في النار من الإضاءة: {ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ} وأبقى ما فيها من الإحراق، وهذا مثلهم الناري.

وأما مثلهم المائي، فشبههم بحال من أصابه مطر، فيه ظلمة، ورعد، وبرق، فخارت قواه، ووضع أصبعيه في أذنيه، وأغمض عينيه؛ خوفًا من صاعقة تصيبه؛ لأن القرآن بزواجره، وأوامره، ونواهيه، وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق[2].

ومن الأمثال المصرحة أيضاً قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ**﴾ [الرعد: 35].

---

(1) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج4/ 348، وعون الحنان في شرح الأمثال في القرآن، علي الطهطاوي، ص 257.

(2) انظر: الأمثال في القرآن، ابن القيم، ص 9-10

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: 35].

القسم الثاني: الأمثال المرسلة: وهي جمل قد أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه، وكثر التمثيل بها، لما فيها من العظة والعبرة والإقناع[1].

والأمثلة على هذا القسم كثيرة أذكر منها:

قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: 249] . وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]. وقوله تعالى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف: 51] .

القسم الثالث: الأمثال الكامنة: "هي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها"[2].

ومن أمثلة هذا القسم:

1- ما في معنى قولهم: "خير الأمور الوسط":

قوله تعالى: ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: 68]

2- ما في معنى قولهم: "كما تدين تُدان"

قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: 123]

3- ما في معنى: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين":

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يوسف: 64]

فهذه أمثال لم تضرب لبيان حال خاصة، ولا لصفة معينة، ولا لتلخيص حادثة، ولم يصرَّح فيها بالتمثيل، ولكن مضمونها يدل على معنى يشبه مثلاً من أمثال العرب المعروفة، أي: أنها أمثال بمعانيها لا بألفاظها، فالتمثيل فيها كامن غير ظاهر، لهذا سميت بالأمثال الكامنة[3].

---

(1) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص 301.

(2) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مناع القطان، ص 295.

(3) انظر: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص 302.

المطلب الثالث: أهمية أسلوب ضرب الأمثال:

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد فيها أمثالاً كثيرة؛ فإن "ضرب الأمثال كثير جداً في القرآن"[1]، وما ذلك إلا لأهميتها في إبراز المعنى، "وقد أخبر الله تعالى أنه ضرب الأمثال لعباده في غير موضع من كتابه، وأمر باستماع أمثاله، ودعا عباده إلى تعقلها، والتفكر فيها، والاعتبار بها، وهذا هو المقصود بها"[2].

وقد صرَّف الله تعالى في القرآن الأمثالَ للناس؛ زيادةً في التأكيد، والتفصيل، والإيضاح، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا** ﴾ [الكهف: 54]، أي: رددنا وكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس؛ ليهتدوا إلى الحق، ويتعظوا، فعارضوا بالجدل والخصومة[3].

وقد ذكر الألوسي بعضاً من أهمية ضرب المثل، فقال: "يرفع الأستار عن وجوه الحقائق، ويميط اللثام عن محيا الدقائق، ويبرز المتخيل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولة صرفة...، فبضرب الأمثال تبرز في معرض المحسوس؛ فيساعد الوهم العقل في إدراكها، وهناك تنجلي غياهب الأوهام"[4].

وتكمن أهمية المثل في اشتماله أموراً لا تجتمع في غيره، حيث "يجتمع في المثل أربعة، لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، وجَوْدة الكناية، فهو نهاية البلاغة"[5].

ولأهمية الأمثال القرآنية جعل ابن عباس-رضي الله عنه- معرفتها من الحكمة التي يؤتيها الله لمن أحب، فقال في تأويل قوله تعالى: " وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا " يعني: "المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله"[6].

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج3/ 299.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ج1/ 149.

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج3/ 299.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عطية، ج1/ 165.

(5) مجمع الأمثال، النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ج1/ 6.

(6) الناسخ والمنسوخ، النحاس، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ص 50.

ومن أهمية ضرب المثل أيضاً، أنه إذا جاء في أعقاب المعاني، كساها أبهةً، وكسبها منقبةً، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً[1].

ولأهمية الأمثال جعله الْمَاوَرْدِيُّ من أعظم علوم القرآن، فقال: "من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والنّاس في غفلة عنه"[2].

المطلب الرابع: الآثار التربوية لأسلوب ضرب الأمثال.

إن لأسلوب ضرب الأمثال آثاراً تربوية كثيرة، منها:

1-الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس، فيتقبله العقل؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم[3]، ولعل هذا الأثر هو الأبرز لأسلوب ضرب الأمثال، فقد قال ابن القيم: أمثال القرآن "تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"[4].

2- الأمثال تثير النَّشاط الذِّهْني، وتربي العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم، حيث تنطوي معظم الأمثال على قياس تذكر مقدماته، ويطلب من العقل أن يتوصل إلى الأمثال القرآنية؛ لتحرك دوافع العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة[5].

3-تساهم الأمثال في تربية الإنسان على سلوك خير، فتدفعه إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وكذلك تهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى؛ تحقق للإنسانية الرخاء والعدالة، والتحرر من كل خرافة أو ظلم [6].

---

(1) انظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، النورسي، تحقيق: إحسان الصالحي، ص: 114.

(2) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، ج4/ 44.

(3) مباحث في علوم القرآن، القطان، ص 297.

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد إبراهيم، ج1/ 116.

(5) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص ص203-204.

(6) انظر: المرجع السابق، ص 203-204، والتربية الوقائية في الإسلام، الحدري، ص227، وأسس التربية الإسلامية في السيرة النبوية، الزنتاني، ص210.

4- استخدم القرآن الكريم أسلوب ضرْب المثَل؛ لإقناع الناس، وإقامة الحجَّة على مَن ضلَّ عن الطريق القويم، ولبيان الحقائق، وقد استخدمه الرسول ﷺ في هداية الناس، فالأمثال أبلغ في الوعظ، وأوقع في النفس، وأقوى في الزجر، وأقوم في الإقناع، فإنك عندما تعظ وتريد أن تكون موعظتك بليغة فعليك بأسلوب ضرب الأمثال.

5- ومن آثار ضرب المثل رسوخ الموعظة في الذهن، إذ تترك أثراً عميقاً في النفس، فعندما نوضح الموعظة بضرْب المثل، ممَّا يشاهِدُه النَّاس بأمِّ أعيُنِهم، ويقع تَحت حواسِّهم؛ يكون لذلك وقعه في النَّفس، "والأمثال كطريقة تربوية من أشهر طرق التربية والتعليم على وجه العموم، وذات أثر عميق في تنمية القيم الأخلاقية، والاجتماعية لدى النشء على وجه الخصوص"[1].

6-يضرب المثل لمدح الممثل، فيكون أبهى وأفخمَ، وأنبلَ في النفوس وأعظمَ، وأهزَّ للعِطْف، وأسرعَ للإلف، وأجلبَ للفرح، وأغلبَ على الممتدح، وأوجَبَ شفاعة للمادح، وتعلق القلوب به أجدر[2]، وقد مدح الله تعالى الصحابة بأسلوب ضرب المثل، فقال: ﴿**ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**﴾ [الفتح: 29]، "وكذلك حال الصحابة؛ فإنهم كانوا في بدء الأمر قليلًا، ثم أخذوا في النمو حتى استحكم أمرهم، وامتلأت القلوب إعجابًا بعظمتهم"[3].

7-الترغيب والترهيب: يضرب المثل للترغيب؛ أي: ليقرر الأمر المُرَغب فيه؛ كي تُقبل النفس عليه، وللترهيب ليبين المرهب منه، "فيثير المثل انفعال الخوف من الخسران، وإحباط العمل، وخسارة الثواب"[4]، وهذا الأمر يوفر الوقت والجهد على المربي، حيث يستطيع أن يرغب بعمل الخير، ويرهب من عمل الشر بصورة تشويقية، "تَأْتِي أَمْثَالُ الْقُرْآنِ مُشْتَمِلَةً عَلَى بَيَانِ تَفَاوُتِ الْأَجْرِ، وَعَلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ، وَعَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَعَلَى تَفْخِيمِ الْأَمْرِ أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر"[5].

---

(1) أسس التربية الإسلامية في السيرة النبوية، الزنتاني، ص210

(2) انظر: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان النورسي، تحقيق: إحسان الصالحي، ص 114.

(3) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص 298.

(4) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص 203.

(5) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1/ 486-487.

8- إثارة انفعال الرغبة في ثواب الله، والاعتزاز بكرمه، والشعور بفضله، ونعمته، وبهذه الإثارات إذا تكررت بنوعيها تربي عاطفة الشكر لله، والخضوع له، والشعور بقدرته وعظمته[1].

يتضح مما سبق أن ضرب المثل يعد من أبرز الأساليب الناجحة والمؤثرة في التربية، ولهذا ينبغي على المربين العمل على تحقيق هذا الجانب في تربية السلوك، والإرادة الطيبة، والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند المستمع .

(1) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، النحلاوي، ص 203.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد، فقد جاءت هذه الدراسة؛ لتجيب عن أسئلة طرحها الباحث في مقدمتها، وتحقيقاً لأهداف قد وضعها، فكانت النتائج على النحو الآتي:

1- إن توقير نبينا محمد واجب علينا؛ فقد نذر حياته لدعوته، وضحّى في سبيل أن تصل إلينا نقية بيضاء، وهو مستحق منا تعزيراً وتوقيراً، وبتطبيق ما أمرنا به، والابتعاد عن ما نهانا عنه، وتجنّب الغلوّ في حبنا له؛ هربًا من إطراء النصارى لعيسى الذي أدى بهم لتأليهه.

2- أسماء الله حسنى وعليا، وإحصاؤها حفظاً ومعرفة، وتطبيقها واقعاً سبيل فوز في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الآثار التربوية للإيمان بها؛ أنها تزيد الإيمان، وتملأ القلب اطمئناناً، وتزكي النفوس، وتثبت على الطاعة، وتزجر عن المعاصي.

3- من أهم صفات أبطال الفتح والتحرير الرحمة بينهم، والشدة على عدوهم، وكثرة ركوعهم وسجودهم.

4- أبرز الآثار المترتبة على التخلق بصفات أبطال الفتح، تماسك المجتمع، والنصر على الأعداء، والتمكين في الأرض.

5- من أعظم أسباب زيادة الإيمان معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، والإكثار من ذكر الله، والتأمل في آيات الله الكونية، ومخلوقاته، والأعمال الصالحة.

6- أهم الآثار المترتبة لزيادة الإيمان، الحياة الطيبة، والتمكين في الأرض، والثبات عند المحن، والقبول في الأرض، والسكينة.

7- من أبرز الآثار التربوية المترتبة على التصديق برؤيا الأنبياء زيادة إيمان المؤمن، وطمأنينته.

8- القلب أضرب ثلاثة وهي: القلب السليم الذي استقام على أمر الله، والقلب الميت الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً، والقلب المريض الذي يخلط بين الأعمال.

9- لصلاح القلب أسباب أهمها: الإيمان، وتلاوة القرآن وتدبره، وذكر الله، والدعاء، واجتناب المعاصي، ومفسدات القلوب، ومن أبرز آثاره: صلاح الفرد والمجتمع، وانتشار المحبة.

10- من أهم أسباب الحسد العداوة والبغضاء، والخوف من فوت المقاصد، والكبر، وخبث النفس، وطلب الجاه، وضعف الإيمان.

11- لعلاج الحاسد خطوات كثيرة أهمها: الايمان بالقضاء والقدر، وعلم الحاسد بحرمة الحسد، ومن آثاره انتشار الجرائم، وتمزق المجتمع، وزيادة العداوة والبغضاء.

12- لم يكلف الله تعالى الناس مالا يستطيعون من أعمال، فوضع الله تعالى الجهاد عن أصحاب الأعذار.

13- سبب ذل الأمة وهوانها تعلقها بالدنيا، وتركها لفريضة الجهاد، ولا عزة لها إلا به.

14- من أهم آثار الالتزام بالبيعة: عزة المسلمين، وتوحدهم، وقوتهم.

15- أسلوب ضرب الأمثال يربي العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم.

16- أسلوب الترغيب والترهيب أسلوب قرآني بامتياز، ومنهج تربوي ناجح.

17- التربية بالقدوة من أهم وسائل التربية؛ لاكتساب مكارم الأخلاق.

أهم التوصيات:

1- إعداد البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم، ونشرها بين المسلمين؛ لتعم الفائدة.

2- تربية المجاهدين على معاني سورة الفتح الجليلة؛ ليستحقوا وعد الله بالنصر.

3- إنشاء مراكز متخصصة في التربية، والعمل على تذليل الصعاب التي تواجه المربين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1- *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.

2- *أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة*، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، المدينة المنورة- السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1423هـ - 2003م.

3- *أحكام القرآن*، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1405 هـ.

4- *الإحكام في أصول الأحكام*، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، (د.ت).

5- *إحياء علوم الدين*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1995م.

6- *الأخلاق الإسلامية وأسسها*، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط5، 1420هـ -1999م.

7- *أدب الدنيا والدين*، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م.

8- *الأدب المفرد*، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1419 هـ - 1998 م.

9- *الأدب النبوي*، محمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي، بيروت، دار المعرفة، ط4، 1423هـ.

10- *الأذكار للنووي*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، 1425هـ- 2004م.

11- *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، 1323 هـ.

12- *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

13- *أَركانُ الإيمانِ*، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط4، 1431 هـ - 2010 م.

14- *أركان الإيمان*، علي محمد الصلابي، مصر، دار التوزيع والنشر، ط1، 1434هـ - 2013م.

15- *الأساس في التفسير*، سعيد حوّى، القاهرة، دار السلام، ط6، 1424 هـ.

16- *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط2، 1412 هـ - 1992 م.

17- *أسس التربية الإسلامية في السيرة النبوية*، عبد الحميد الزنتاني، ليبيا -تونس، الدار العربية للكتاب،ط2، 1993م.

18- *الأسماء والصفات للبيهقي*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، جدة – السعودية، مكتبة السوادي، ط1، 1413 هـ - 1993 م.

19- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، شركة سوزلر للنشر، ط3، 2002م.

20- *أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع*، عبد الرحمن النحلاوي، دمشق، دار الفكر، ط25، 1428هـ-2007م.

21- *أصول الدعوة وطرقها 4، مناهج جامعة المدينة العالمية*، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، (د.ط)، (د.ت).

22- *أصول الدعوة*، عبد الكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1421هـ-2001م

23- *أُصُوْلٌ بِلاَ أُصُوْلٍ*، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، القاهرة، دار ابن الجوزي، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

24- *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1415 هـ - 1995 م.

25- *أضواء على الثقافة الاسلامية*، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط1، 1422هـ - 2001م.

26- *الاعتصام*، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، السعودية، دار ابن عفان، ط1، 1412هـ - 1992م.

27- *إعلام الموقعين عن رب العالمين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1991م.

28- *الإفصاح عن معاني الصحاح*، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، (د.ط)، 1417هـ.

29- *إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي*، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1419 هـ - 1998م.

30- *الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله*، عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1424هـ-2003م.

31- *الأمثال في القرآن*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مصر، مكتبة الصحابة، ط1، 1406 هـ - 1986م.

32- *الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418هـ.

33- *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

34- *أهل الفترة ومن في حكمهم*، موفق أحمد شكري، دمشق- بيروت، مؤسسة علوم القرآن - عجمان، دار ابن كثير، ط1، 1409 هـ - 1988م.

35- *أوضح التفاسير*، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، القاهرة، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383 هـ - 1964 م.

36- *إيجاز البيان عن معاني القرآن*، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1415 هـ.

37- *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5، 1424هـ/2003م.

38- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط،1975م.

39- *باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن*، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة-، 1419 هـ - 1998 م.

40- بحر *العلوم*، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 2002م.

41- *بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار*، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت، لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1، 1420هـ - 1999م.

42- *البحر المحيط في التفسير*، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر،1420 هـ.

43- *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408، هـ - 1988 م.

44- *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م.

45- *بدائع الفوائد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط2، (د.ت).

46- *البرهان في علوم القرآن*، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1376 هـ - 1957م.

47- *بلوغ المرام من أدلة الأحكام*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سمير بن أمين الزهري، الرياض، دار الفلق، ط7، 1424 هـ.

48- *بناء المجتمع الإسلامي*، نبيل السمالوطي، القاهرة، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1418هـ-1998م.

49- *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ - 2002م.

50- *تاج التراجم*، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دمشق، دار القلم، ط1، 1413 هـ -1992م.

51- *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، (د.م)، دار الهداية، (د.ت).

52- *التاج والإكليل لمختصر خليل*، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ-1994م.

53- *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م

54- *تاريخ نزول القرآن*، محمد رأفت سعيد، المنصورة، مصر دار الوفاء، ط1، 1422 هـ - 2002 م.

55- *تأويلات أهل السنة*، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 1426 هـ - 2005 م.

56- *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984 هـ.

57- *تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة*، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1433 هـ - 2012م.

58- *تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن*، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط2، 1416 هـ - 1995 م.

59- التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، عاطف السيد، القاهرة، (د.ن)، ط1، (د.ت).

60- *التربية الوقائية في الإسلام*، خليل بن عبدالله بن عبد الرحمن الحدري، السعودية، مكتبة الملك فهد، (د.ط)، 1418هـ.

61- *ترتيب المدارك وتقريب المسالك*، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وسعيد أحمد أعراب، المغرب، مطبعة فضالة، ط1، (د.ت).

62- *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ.

63- *الترغيب والترهيب من الحديث الشريف*، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ.

64- *تسهيل العقيدة الإسلامية*، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، الرياض، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2، (د.ت).

65- *التسهيل لعلوم التنزيل*، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي،، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1416 هـ.

66- *تعظيم قدر الصلاة*، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، المدينة المنورة مكتبة الدار، ط1، 1406هـ.

67- *تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط3، 1415هـ - 1995م.

68- *التعليقات على متن لمعة الاعتقاد*، عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1416 هـ - 1995 م.

69- *تفسير أسماء الله الحسنى*، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية.

70- *تفسير أسماء الله الحسنى*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، المدينة المنورة- الجامعة الإسلامية، 1421هـ.

71- *التَّفْسِيرُ البَسِيْط*، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1430هـ.

72- *تفسير التستري*، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، منشورات محمد علي بيضون ودار الكتب العلمية، ط1، 1423 هـ.

73- *تفسير الشعراوي*، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، 1997م.

74- *تفسير القرآن العزيز*، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط1، 1423هـ - 2002م.

75- *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م.

76- *تفسير القرآن الكريم*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1410 هـ

77- *تفسير القرآن*، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ط1، 1418هـ- 1997م.

78- *التفسير القرآني للقرآن*، عبد الكريم يونس الخطيب، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).

79- *التفسير اللغوي للقرآن الكريم*، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1432هـ.

80- *تفسير المراغي*، أحمد بن مصطفى المراغي، مصر، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،ط1، 1365 هـ - 1946م.

81- *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.

82- *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، الفجالة – القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1997- 1998م.

83- *التفسير الوسيط*، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق دار الفكر،ط1، 1422 هـ

84- *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، بيروت- لبنان، دار طوق النجاة، ط1، 1421هـ - 2001 م.

85- *تفسير عبد الرزاق*، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: محمود محمد عبده، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.

86- *تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم*، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز القاهرة، مكتبة السنة، ط1، 1415هـ - 1995م.

87- *تفسير مجاهد*، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، ط1، 1410 هـ - 1989 م.

88- *تفسير مقاتل بن سليمان*، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث،ط1، 1423هـ .

89- *تفسير يحيى بن سلام*، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني، تحقيق: هند شلبي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

90- *تقريب التهذيب*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (المتوفى: 852هـ) تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط1، 1406هـ- 1986م.

91- *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد*، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1387 هـ.

92- *تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل*، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، مكة، دار عالم الفوائد، ط1، (د.ت).

93- *التَّنوير شَرْح الجَامِع الصَّغِير*، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، الرياض، مكتبة دار السلام، ط1، 1432 هـ - 2011 م.

94- *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

95- *التوحيد للناشئة والمبتدئين*، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1422هـ.

96- *التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب*، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1429هـ - 2008م.

97- *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دمشق – سوريا–، دار النوادر، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

98- *التوضيح والبيان لشجرة الإيمان*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، السعودية، (د.ن)، (د.ت).

99- *التوقيف على مهمات التعاريف*، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ–1990م.

100- *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ.

101- *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1422هـ..

102- ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1434 هـ – 2013 م.

103- *جامع البيان في تأويل القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ–2000 م.

104- *جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم*، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط7، 1422هـ – 2001م.

105- *جامع بيان العلم وفضله*، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ، 1994م.

106- *الجامع لأحكام القرآن،* أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ - 1964م.

107- *الجامع*، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، ط2، 1403 هـ.

108- *الجديد في شرح كتاب التوحيد*، محمد بن عبد العزيز السليمان القرعاوي، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، جدة مكتبة السوادي، ط5، 1424هـ -2003م

109- جلاء *الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الكويت، دار العروبة، ط2، 1407هـ - 1987م.

110- جمهرة *اللغة*، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م

111- *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المغرب، دار المعرفة، ط1، 1418هـ - 1997م.

112- *الجواهر المضية في طبقات الحنفية،* عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، كراتشي، مير محمد كتب خانه.

113- حاشية *العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني*، أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، دار الفكر، 1414هـ - 1994م.

114- *الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم*، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي، دمشق، دار القلم، ط1، 1418هـ-1998م.

115- *حقيقة شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.*

116- *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، مصر، السعادة 1394هـ - 1974م.

117- *خطبة الجمعة ودورها في تربية الأمة*، عبد الغني أحمد جبر مزهر، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1422هـ.

118- *خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ.

119- *الداء والدواء*، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (691 - 751)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ط1، 1429هـ.

120- *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون*، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم.

121- *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط1، (د.ت).

122- *درء تعارض العقل والنقل*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411 هـ - 1991 م.

123- *دراسات في علوم القرآن*، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط2، 1419هـ-1999م

124- *دراسة في السيرة*، عماد الدين خليل، بيروت، دار النفائس، ط2، 1425 هـ.

125- *دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1425هـ.

126- *الرحيق المختوم*، صفي الرحمن المباركفوري، (المتوفى: 1427هـ)، بيروت، دار الهلال، ط1.

127- *رد المحتار على الدر المختار*، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، بيروت، دار الفكر، ط2، 1412هـ - 1992م.

128- *الرسائل الأدبية*، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1423 هـ.

129- *الرسل والرسالات*، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ودار النفائس للنشر والتوزيع، ط4، 1410 هـ - 1989م.

130- *روح البيان*، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، بيروت، دار الفكر.

131- *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ .

132- *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.

133- *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام*، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1421هـ/ 2000م.

134- *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ -1983 م.

135- *الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين*، سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، أشبيليا، دار كنوز اشبيليا، ط1، (د.ت).

136- *زاد المسير في علم التفسير*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1422 هـ.

137- *زاد المعاد في هدي خير العباد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط27، 1415هـ .

138- *الزهد*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، بيروت- لبنان دار الكتب العلمية، ط1، 1420 هـ - 1999 م.

139- *زهرة التفاسير*، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

140- *زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه*، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة دار القلم والكتاب، ط1، 1416هـ- 1996م.

141- *سلامة الصدر، وخطر الحقد، والحسد، والتباغض، والشحناء، والهجر، والقطيعة - مفهوم، وأسباب، وآداب، وأحكام، وعلاج في ضوء الكتاب والسنة*، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، ط1، (د.ت).

142- *سلسلة الأحاديث الصحيحة*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1415 -1422 هـ.

143- *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الرياض، دار المعارف، ط1، 1412 هـ - 1992 م.

144- *سلم الوصول إلى طبقات الفحول*، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، تركيا، مكتبة إرسيكا، إستانبول،ط1، 2010 م.

145- *السنة*، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي، (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عطية الزهراني، الرياض، دار الراية، ط1، 1410هـ - 1989م.

146- *سنن ابن ماجه*، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.

147- *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.

148- *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395 هـ - 1975 م.

149- *السنن الكبرى*، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001م.

150- *السنن الكبرى*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط3، 1424 هـ - 2003 م.

151- *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.

152- *السيرة النبوية - دروس وعبر-*، مصطفى بن حسني السباعي، (المتوفى: 1384هـ)، المكتب الإسلامي، ط3، 1405 هـ - 1985 م.

153- *السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة*، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، (المتوفى: 1403هـ)، دمشق، دار القلم، ط8، 1427 هـ.

154- *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، بيروت، الكتب الثقافية، ط3، 1417 هـ.

155- *السيرة النبوية*، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ - 1955 م.

156- *شأن الدعاء*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط3، 1412 هـ - 1992م.

157- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

158- *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط8، 1423هـ- 2003م.

159- *شرح الأصول الثلاثة*، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427 هـ - 2006 م.

160- *شرح الأصول الثلاثة*، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427 هـ - 2006 م.

161- *شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية*، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ-1996م.

162- *شرح الطيبي على مشكاة المصابيح*، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417 هـ - 1997 م.

163- *شرح الطيبي على مشكاة المصابيح*، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكة المكرمة - الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1417 هـ - 1997 م.

164- *شرح العقيدة الأصفهانية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ.

165- *شرح العقيدة الطحاوية*، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1418 هـ.

166- *شرح العقيدة الواسطية*، محمد بن خليل حسن هرّاس، (د.م): دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط3، 1415 هـ.

167- *شرح رياض الصالحين*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط1، 1426 هـ.

168- *شرح صحيح البخاري*، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ - 2003م.

169- *شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب*، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الرياض، مكتبة المنهاج، ط2، 1431هـ.

170- *شرف المصطفى*، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد، مكة، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1424 هـ.

171- *الشفا بتعريف* حقوق *المصطفى*، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عمان، دار الفيحاء، ط2 - 1407هـ.

172- *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار المعرفة،1398 هـ/1978م.

173- *الصارم المسلول على شاتم الرسول*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، السعودية، الحرس الوطني السعودي.

174- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ - 1987م.

175- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407 هـ - 1987م.

176- *صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي*، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

177- *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت دار إحياء التراث العربي.

178- *صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، علي بن نايف الشحود*، ط2، 1433هـ 2012 م.

179- *صفات المنافقين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الرياض، وزارة الأوقاف السعودية، ط1، 1410 هـ.

180- *الصلاة وأحكام تاركها*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، السعودية، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، ط1، (د.ت).

181- *صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال*، حسين بن محمد المهدي، اليمن، وزارة الثقافة، ط1، 2009م.

182- *صيد الخاطر*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دمشق، دار القلم، ط1، 1425هـ- 2004م.

183- *الطب النبوي*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الهلال، ط1، (د.ت).

184- *طبقات الأولياء*، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: نور الدين شريبه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1415 هـ - 1994م.

185- *طبقات الشافعيين*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1413 هـ.

186- *طبقات الفقهاء الشافعية*، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1992م.

187- *طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها*، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1412 – 1992م.

188- *طرح التثريب في شرح التقريب*، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي، ط1، (د.ت).

189- *طريق الهجرتين وباب السعادتين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة- مصر، دار السلفية، ط2، 1394هـ.

190- *الطريق إلى الإسلام*، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، الرياض، دار بن خزيمة، ط2، (د.ت).

191- عقيدة *أهل السنة والجماعة*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط4، 1422 هـ.

192- *العقيدة في الله*، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط12، 1419 هـ - 1999 م.

193- *العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية*، أحمد سعيد الغامدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1401هـ.

194- *العلل الواردة في الأحاديث النبوية*، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الرياض: دار طيبة، ط1، 1405 هـ - 1985 م.

195- *علم الأخلاق الإسلامية*، مقداد يالجن محمد علي، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط1، 1413هـ- 1992م.

196- *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، (د.ت).

197- *عون الحنان في شرح الأمثال في القرآن*، على أحمد عبد العال الطهطاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

198- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مصر، مؤسسة قرطبة، ط2، 1414 هـ - 1993م.

199- *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.

200- *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.

201- *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، بَيروت، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، 1412هـ - 1992 م.

202- *فتح القدير*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (المتوفى: 1250هـ)، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414 هـ.

203- *فتح المنعم شرح صحيح مسلم*، موسى شاهين لاشين، (د.م)، دار الشروق، ط1، 1423 هـ - 2002 م.

204- *فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب*، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1414هـ/1994م.

205- *فتح رب البرية بتلخيص الحموية*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط1، (د.ت).

206- *فضائل الصحابة*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (المتوفى: 241هـ). تحقيق: وصي الله محمد عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1403 - 1983 م.

207- *الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ*، وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دمشق، دار الفكر، ط4، (د.ت).

208- *فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة*، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دمشق، دار الفكر، ط25، 1426 هـ.

209- *الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي*، مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1413 هـ - 1992م.

210- *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، نعمة الله بن محمود النخجواني، مصر، دار ركابي للنشر، ط1، 1419 هـ - 1999م.

211- *الفوائد في اختصار المقاصد*، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: إياد خالد الطباع، دمشق، دار الفكر المعاصر،ط1، 1416هـ.

212- *الفوائد*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1393 هـ - 1973 م.

213- *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، القاهرة- بيروت، دار الشروق، ط17، 1412 هـ.

214- *فيض القدير شرح الجامع الصغير*، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، 1356هـ.

215- *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426 هـ - 2005م.

216- *القدوة مبادئ ونماذج*، صالح بن عبد الله بن حميد، الرياض، وزارة الأوقاف السعودية، ط1، (د.ت).

217- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1426 هـ -2005 م.

218- *القيم الإسلامية*، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

219- *كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ

220- *كتاب التعريفات*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ -1983م.

221- *كتاب العين*، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، (د.ت).

222- *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ.

223- *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ.

224- *كشف الشبهات*، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ.

225- *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، دار الوطن، ط1، (د.ت).

226- *كشف المعاني في المتشابه من المثاني*، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، تحقيق: عبد الجواد خلف، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1410 هـ -1990 م.

227- *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1422، هـ - 2002 م.

228- *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

229- *لباب التأويل في معاني التنزيل*، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415 هـ.

230- *اللباب في علوم الكتاب*، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، بيروت- لبنان دار الكتب العلمية، ط1، 1419 هـ -1998م.

231- *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر، ط3،1414هـ.

232- *لطائف الإشارات*، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، (د.ت).

233- *ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية*، محمد بن عبد الله العوشن، الرياض، دَار طَيبة، ط1، (د.ت).

234- *مباحث في علوم القرآن*، مناع بن خليل القطان، (د.م)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ- 2000م

235- *المجالسة وجواهر العلم*، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، البحرين، جمعية التربية الإسلامية، ط1، 1419هـ.

236- مجمع *الأمثال*، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ط2، (د.ت).

237- مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*، سليمان بن عبد الله السويكت، الرياض، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط1، (د.ت).

238- مجمل *اللغة*، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1406 هـ - 1986 م.

239- مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.

240- *المجموع شرح المهذب*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الفكر، ط1، (د.ت).

241- مجموع *فتاوى العلامة* عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، القاهرة: دار الفكر، 2005م.

242- مجموعة *رسائل في التوحيد والإيمان*، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

243- محبة *الرسول بين الاتباع والابتداع*، عبد الرؤوف محمد عثمان، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط1، 1414هـ.

244- *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422 هـ.

245- *المحكم والمحيط الأعظم*، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421 هـ - 2000 م.

246- *المحلى بالآثار*، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، بيروت دار الفكر.

247- *مختار الصحاح*، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (المتوفى: 666هـ)، تحقق: يوسف الشيخ محمد، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1420هـ / 1999م.

248- *الْمُخْتَصَرُ النَّصِيحُ فِي تَهْذِيبِ الْكِتَابِ الْجَامِعِ الْصَّحِيحِ*، المُهَلَّبُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي صُفْرَةَ أَسِيْدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الأَسَدِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ، المَرِيِّيُّ، تحقيق: أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ السَّلوم، الرياض، دار التوحيد، دار أهل السنة، ط1، 1430هـ - 2009 م.

249- مختصر *قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر*، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، باكستان، حديث أكادمي، ط1، 1408 هـ - 1988 م.

250- *مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِين*، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، دمشق، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، ط1، 1398 هـ - 1978 م.

251- *المخصص*، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1417هـ 1996م.

252- *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1416 هـ - 1996م.

253- *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط1، 1419 هـ - 1998 م.

254- *المدخل*، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، دار التراث، ط1، (د.ت).

255- *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، بيروت، دار الفكر، ط1، 1422هـ - 2002م.

256- *المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك*، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دَار الغَرب الإسلامي، ط1، 1428 هـ - 2007 م.

257- *المستدرك على الصحيحين*، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م.

258- *مسند ابن أبي شيبة*، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزيدي، الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م.

259- *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1416 هـ - 1995م.

260- *مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، الرياض، مكتبة المعارف، ط1، 1408 هـ - 1987م.

261- *مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه*، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، بيروت، دار العربية، ط2، 1403 هـ.

262- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).

263- *المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، السعودية، دار العاصمة، ط1، 1419هـ.

264- *مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى*، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي، الرحيبانى، الحنبلي، المكتب الإسلامي، ط2، 1415هـ - 1994م.

265- *مطالع الأنوار على صحاح الآثار*، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1433 هـ - 2012 م.

266- *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،ط1 ، 1420هـ .

267- *معالم السنن*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1351 هـ - 1932 م.

268- *معاني القرآن وإعرابه*، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1408هـ.

269- *المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، 2001م.

270- معجم *اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

271- *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

272- *المعجم لابن المقرئ*، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الرياض، مكتبة الرشد، وشركة الرياض للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ- 1998 م.

273- معجم *لغة الفقهاء*، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ - 1988م.

274- معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

275- *المُعْلم بفوائد مسلم*، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، والمؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر والمؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط2، 1988 م.

276- *المغازي*، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، ط3، 1409هـ.

277- *مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج*، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.

278- *المغني*، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ط1، 1388هـ - 1968م.

279- *مفاتيح الغيب*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3،1420 هـ

280- *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، (د.ت).

281- *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412 هـ.

282- *مقاصد الشريعة الإسلامية*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (د.ت).

283- *المقدمات الممهدات*، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق: الدكتور محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1408 هـ -1988 م.

284- *مقدمة ابن خلدون*، ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش ، دمشق، دار يعرب، ط1 ، 1425هـ ، 2004م .

285- *مقدمة في التربية الإسلامية*، محمود أبو دف، غزة - فلسطين، مكتبة سمير منصور، ط4، 1435هـ 2014م.

286- *مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ونظر، وتطبيق*، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، ط1، (د.ت).

287- *مكارم الأخلاق للطبراني*، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1409 هـ - 1989م.

288- *مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ*، أحمد إبراهيم الشريف، (د.ت): دار الفكر العربي، ط1، (د.ت).

289- *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، دمشق، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، (د.ت).

290- *المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب*، يوسف عبد الله القرضاوي، قطر، مركز بحوث السنة والسيرة، ط1، 1988 م.

291- *منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عوض قاسم أحمد عوض، دار الفكر، ط1، 1425هـ-2005م.

292- *منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين*، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1409هـ.

293- *المنهاج الواضح للبلاغة*، حامد عوني، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، (د.ت).

294- *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.

295- *المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني*، أبو عبد الله الحَلِيمي، تحقق: حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط1، 1399 هـ - 1979م.

296- *منهج التربية الإسلامية*، محمد بن قطب بن إبراهيم، القاهرة، دار الشروق، ط16، (د.ت).

297- *المنهج الحركي للسيرة النبوية*، منير محمد الغضبان، الأردن، مكتبة المنار، ط6، 1411 هـ - 1990 م .

298- *منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام*، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، المدينة النورة- السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 1424هـ/2004م.

299- *المنهج المسلوك في سياسة الملوك*، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيرازي الشافعي، تحقيق: علي عبد الله الموسى، الزرقاء، مكتبة المنار، ط1، (د.ت).

300- *المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود*، محمود محمد خطاب السبكي، تحقيق: أمين محمود محمد خطاب، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1351 - 1353هـ.

301- *المهذب في فقه الإمام الشافعي*، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، القاهرة، دار الكتب العلمية، ط1، (د.ت).

302- *موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق*، ياسر عبد الرحمن، القاهرة، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1428 هـ - 2007 م

303- *موسوعة العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صنعاء، اليمن، تحقيق التراث والترجمة، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1431 هـ - 2010 م

304- موسوعة *الفقه الإسلامي*، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.

305- موسوعة *فقه القلوب*، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.

306- *موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية*، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، القاهرة- مصر، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، مراكش- بغداد، النبلاء للكتاب،ط1.

307- *الناسخ والمنسوخ*، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، ط1، 1408هـ.

308- *نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم* - ﷺ، عدد من المختصين، جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع،ط4، (د.ت).

309- *النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي*، آمال حمزة المرزوقي، ط1، 1402هـ.

310- *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

311- *النكت والعيون*، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

312- *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ - 1979م.

313- *نوادر الأصول في أحاديث الرسول* -ﷺ-، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، دار الجيل، ط1، 2000م.

314- *نيل الأوطار*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، دار الحديث، ط1، 1413هـ - 1993م.

315- *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه*، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي،، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا

والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

316- *الوابل الصيب من الكلم الطيب*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ط3، 1999م.

317- *الوافي بالوفيات*، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، (د.ط)، 1420هـ- 2000م.

318- *وظيفة الصورة الفنية في القرآن*، عبد السلام أحمد الراغب، حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1422 هـ – 2001 م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
لا يستوى القاعدون من المؤمنين	95	139
مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ	123	189
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ	136	65
بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً	138-139	113
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ	142	111
مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ	143	115
رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ	165	26، 26
المائدة		
وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى	2	176
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ	6	132
اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ	27	151
فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ	31	173
إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ	44	28
فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ	48	27
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ	54	53
الأنعام		
قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً	19	51

طرف الآية	رقمها	الصفحة
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ	107	139
الحج		
إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا	38	61
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ	46	85
المؤمنون		
قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	1	70
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا	115	63
النور		
مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ	35	189
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	55	60، 72
لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا	63	30
الشعراء		
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ	194-193	85
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ	89-88	86
فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ	62-61	157
القصص		
فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ	7	158
العنكبوت		
اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ	45	58، 70

الصفحة	رقمها	طرف الآية
105	16	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
		الطلاق
163	3	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ
		التحريم
53، 130	9	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
		القلم
169، 175	4	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ
		نوح
		المزمل
90	6	إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً
		النازعات
129	40-41	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
70	40	وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى
		المطففين
92	14	كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
		الاعلى
50	7	إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى
		الفلق
148، 141	5	وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
17.	إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي	صحيح البخاري	179
18.	إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ	صحيح مسلم	22
19.	إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ	صحيح مسلم	85
20.	إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ	الترمذي	183
21.	إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ	صحيح البخاري	61
22.	إِنَّ أُولَئِكَ كَانُوا يُسِرُّونَ نِفَاقَهُمْ	مصنف ابن أبي شيبة	120
23.	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ	صحيح البخاري	50، 74
24.	أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ	صحيح مسلم	29، 64
25.	أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ	صحيح مسلم	58
26.	إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ	صحيح البخاري	83
27.	إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ	صحيح البخاري	127
28.	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا	صحيح البخاري	39، 40
29.	أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	صحيح البخاري	23
30.	انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ	صحيح البخاري	131
31.	انْطَلِقْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ	صحيح مسلم	101
32.	إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ	صحيح البخاري	51
33.	إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ	صحيح البخاري	25

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
.34	إِنَّهُ لَيُغَانُ	صحيح مسلم	91
.35	إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ	صحيح البخاري	174
.36	إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ	صحيح البخاري	80
.37	اهْجُوا قُرَيْشًا	صحيح مسلم	53
.38	أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ	مسند أحمد	90
.39	أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ	صحيح البخاري	75
.40	إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ	صحيح البخاري	148
.41	الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ	صحيح مسلم	65
.42	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ	صحيح مسلم	82
.43	بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ	صحيح مسلم	150
.44	بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ	صحيح البخاري	101
.45	بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ على إقام	صحيح البخاري	102
.46	بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ	صحيح مسلم	106
.47	بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ	صحيح مسلم	100
.48	بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا	صحيح البخاري	100
.49	البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ	الترمذي	35
.50	تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ	الترمذي	57

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
51.	تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ	صحيح مسلم	86
52.	تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ	صحيح مسلم	112
53.	تَهَادَوْا تَحَابُّوا	الأدب المفرد	57
54.	ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ	صحيح البخاري	55، 69
55.	ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَأَمَرَ عَامِرًا	سنن ابن ماجه	150
56.	جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ	مسند أحمد	130
57.	جِئْتُ بِأَخِي أَبِي مَعْبَدٍ	صحيح مسلم	105
58.	خَرَجْنَا فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ	فضائل الصحابة	100، 103
59.	دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم	مسند أحمد	152
60.	ذَاكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ	الترمذي	30
61.	رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاثَةٍ	مسند أحمد	133
62.	الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ مِنَ اللَّهِ	صحيح البخاري	77
63.	شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	صحيح البخاري	166
64.	صَلوا كَمَا رَأَيْتُمُوني أُصَلِّي	صحيح البخاري	27
65.	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ	صحيح مسلم	73، 88
66.	عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ	سنن ابن ماجه	149
67.	عَلِمْتُ أَنَّ رِزْقِي لَا يَأْكُلُهُ غَيْرِي	شعب الإيمان	164

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
.68	فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ	صحيح البخاري	135
.69	فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ	فضائل الصحابة	100
.70	فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا	صحيح البخاري	106
.71	فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ	صحيح البخاري	144
.72	فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ	صحيح البخاري	146
.73	فقالت: لا هجرة اليوم	صحيح البخاري	105
.74	فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى	صحيح البخاري	32
.75	فِيمَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ	صحيح البخاري	106
.76	قُمْ بِنَا نَزْدَد إِيمَانًا	الخلال	66
.77	قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ	مسند أحمد	35
.78	قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ	صحيح مسلم	182
.79	قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا	صحيح البخاري	80
.80	كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ	صحيح البخاري	28
.81	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ	الترمذي	50
.82	كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ	سنن ابن ماجه	95
.83	لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا	صحيح مسلم	57
.84	لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى	صحيح البخاري	33

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
85.	لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ	صحيح البخاري	49
86.	لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ	صحيح البخاري	32
87.	لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	صحيح البخاري	127
88.	لِمَ خَلَعْتُمْ نِعَالَكُمْ	مسند أحمد	174
89.	لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ	صحيح البخاري	114
90.	اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيمَانًا	الخلال	71
91.	اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ	صحيح البخاري	104
92.	لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ	الترمذي	163
93.	لَيْسَ صَلاَةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ	صحيح البخاري	111
94.	مَا شِئْتَ	الترمذي	35
95.	مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا	صحيح البخاري	160
96.	ما قال عبد قط إذا أصابه هَمٌّ	مسند أحمد	39
97.	ما يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ	صحيح مسلم	127
98.	مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ	صحيح البخاري	67
99.	مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ	سنن الترمذي	127
100.	مَثَلُ الْمُنَافِقِ	صحيح مسلم	115
101.	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ	صحيح مسلم	55، 94،

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
			176
102.	المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ	سنن الترمذي	129
103.	المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ	صحيح البخاري	62
104.	مَضَتِ الهِجْرَةُ لِأَهْلِهَا	صحيح البخاري	105
105.	مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ	سنن أبي داود	66
106.	مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	صحيح مسلم	183
107.	مَنْ خَافَ أَدْلَجَ	الترمذي	72
108.	مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ	صحيح مسلم	111
109.	مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ	صحيح مسلم	35
110.	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ	صحيح البخاري	61
111.	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ	صحيح البخاري	74
112.	مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ	صحيح مسلم	97
113.	نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ	صحيح البخاري	134
114.	نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ □	صحيح مسلم	67
115.	هَلْ أَعْلَمْتَهُ ذَلِكَ	مسند أحمد	56
116.	هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ	صحيح البخاري	79
117.	والذى نفسى بيده	صحيح البخاري	134
118.	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ	صحيح مسلم	67

م	طرف الحديث	اسم الكتاب	رقم الصفحة
.119	والله الذي بعثك بالحق	مسند أحمد	104
.120	وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ	صحيح البخاري	55
.121	إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ	سنن أبي داود	136
.122	وضَعَ ثَوْبَهُ ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ	مسند أحمد	159
.123	وَيْلَكَ، وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا	صحيح البخاري	32
.124	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ	سنن الترمذي	163
.125	يَعِدُنَا مُحَمَّدٌ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ	المعجم الكبير	159

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس الكلمات الغريبة

رقم الصفحة	الكلمة	المسلسل
164	القُر	16-
86	كالكوز مجخيًا	17-
53	لَأَفْرِيَنَّهُمْ	18-
150	لاَمَّةٍ	19-
23	لِعَلَّاتٍ	20-
91	لَيُغَانُ	21-
16	ليقضي	22-
149	المخبأة	23-
86	مربداً	24-
84	المُضْغَةُ	25-
25	النَّذِيرُ العُرْيَانُ	26-
16	نزرت	27-
106	وعلى أثرة علينا	28-